التراث اللغـوى العـربى

تأليف

أستاذ دكتور

محمد صالح توفيـق

أستاذ دكتور

إبراهيم عبد المجيد ضَوَّة

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

المحتويات

الموضوع الصفحة

القسم الثاني

المكتبة العربية

مقدمـة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم – وبعد...

هذه – بحمد الله – طبعة جديدة لمقرر (التراث اللغوى العربى) لطلاب برنامج اللغة العربية والعلوم الإسلامية بالتعليم المفتوح، ونود أن نشير إلى أن هذه الطبعة الجديدة لا يقصد من ورائها الاستقصاء لمعالم التراث اللغوى العربى، ولكن نهدف إلى شيء من الوقوف المتأنى أمام جملة من الموضوعات التراثية، نجلىّ بعض جوانها؛ لتكون زادًا قريبا لكل من يريد الحفاظ على إرثنا المشرف ويرغب فى تجديده فى آن واحد.

وحسب هذه الصفحات أننا كتبناها بعد طول تفكير، وأناة ، وتأمل، وتقليب وجوه الرأى والنظر فى شأن اللغة العربية التى تستحق أن نفخر بها بعد أن وسعت كتاب الله لفظا وغاية، وما ضاقت عن آي به وعظات، وحُقّ أن يكون لها يوم عالمى للاحتفال بها، بعد أن أدرك الغرب أنها اللغة التى نقلوا عنها العلوم والفكر التى بنوا بها حضارتكم الأوربية .

وعالجت الدراسة فى هذا الكتاب قسمين كبيرين:

أولهما: ركزنا فيه على تاريخ العربية الطويل، والتى أكدتة المقارنات السامية بخمسة وأربعين قرنا، وقد اختصرنا الحديث فى هذا المجال اكتفاء بذكر الملامح الأساسية والأمثلة التى توضح ذلك، ثم تحدثنا عن مصادر اللغة العربية وناقشنا ما أثير بخصوص هذا الموضوع من قضايا، وبينا الظواهر اللهجية الصوتية والصرفية والنحوية فى كتب التراث العربى. وكلها موضوعات كبيرة ذكرت فى صفحات محدودة، رغبة منا فى التزام الوضوح والصدق والموضوعية فى عرضها.

أما القسم الثانى من الدراسة فى هذا الكتاب فقد عالج المكتبة اللغوية، بعرض مفصل لبعض أمهات كتب التراث اللغوى العربى، وأهمها كتاب سيبويه

الذى هو محصلة الجهد الجماعى لسابقيه، والمنقول منه لكل لاحقيه، لا فرق فى ذلك بين كوفى، وبصرى، ومصرى، وبغدادى، وأندلسى، واخترنا من القرن الرابع الهجرى كتاب (الخصائص لابن جنى)؛ إذ إن ابن جنى بحث فى أصول اللغة، والاطراد، والشذوذ، ومقاييس العربية، والألفاظ والمعانى، وثبت من خلال كتابه أنه مارس العربية ومرن عليها، وظهرت براعته فى إقامة العلاقة بين الأمور التى ارتبطت ذات صبغة فلسفية عامة وإن اتصلت باللغة العربية.

وعرضنا لكتاب (المزهر فى علوم اللغة) للسيوطى وقد ركز فيه على بحوث تتصل بمسائل اللغة مثل: الاشتراك، والترادف، والإبدال، والقلب، والنحت، والتصحيف، وهى موضوعات تدور حول مفردات اللغة بوجه ما، وليست ذات صبغة عامة يمكن دراستها فى منهج الدراسات الفلسفية، كما صنع ابن جنى من قبل. وختمنا هذا القسم بنصوص لغوية مختارة من كتب التراث العربى.

إننا نقرر – عن إيمان – أن جهدنا المتواضع فى هذا الكتاب قد تمثل فى استخلاص مافى التراث من ظواهر لغوية، وتقديمها فى أسلوب علمى واضح يناسب الدارسين فى برنامج التعليم المفتوح، ونأمل أن نخرج كتاب تطبيقات فى هذا المقرر للتيسير والتدريبات بتقديم أسئلة مجاب عنها ، وأخرى نطلب من الدارس الإجابة عنها من خلال المحاضرات واللقاءات الأسبوعية المتكررة .

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، أن يوفقنا لخدمة طلاب العلم والدين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

المؤلفان

القسم الأول

اللغة العربية ولهجاتها ومصادرها

أ.د. محمد صالح توفيق

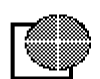
مقدمة

باسم الله نبدأ، وعلى بركته نسير ونتوكل، ونصلى ونسلم على رسولنا الكريم. وبعد

فهذا القسم الأول من الكتاب يركز على اللغة العربية والتى هى أم اللغات السامية، ولذلك وجدناها أدق تصريفا ونحوا، وأكثرها تطورا، وقد بدا ذلك حين نزل بها القرآن الكريم وهى صافية عذبة رقراقة كماء زمزم.

ولكى تتضح طفولة اللغة العربية كان لابد من الحديث عن حالتها قبل الإسلام، وصلتها بالفصيلة السامية كما تحدثنا عن اللهجات العربية القديمة وألقابها، ومدى صلتها باللهجات العربية الحديثة، وختمنا هذا القسم بالحديث عن مصادر اللغة العربية وما يحتج به ، وهى على الترتيب: القرآن الكريم– القراءات القرآنية– الحديث النبوى الشريف– الشعر والنثر.

وجزى الله خيرًا علماءنا الأفاضل الذين جمعوا لنا التراث اللغوى العربى، وأخذناه من ورائهم؛ لنشرب بعد ما حلبوا والله نسأل أن يجعل هذا نافعا لكل دارس فى برنامج اللغة العربية والعلوم الإسلامية.



الوحدة الأولى

اللغة العربية وعلاقتها باللغات السامية

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغى أن يكون الدراس قادرًا على أن:

١- يتعرف على موقع اللغة العربية بين اللغات السامية.

٢- يتعرف على أهمية معرفة اللغات السامية فى البحث اللغوى العربى.

٣- يلم بالمصطلحات المستخدمة فى دراسة اللغة العربية.

٢- يتعرف على وجود الشبه والخلاف بين العربية وأخواتها.

٥- يبرز الظواهر اللغوية التى فيها تشابه بين العربية وأخواتها .

العناصر:

١- اللغة العربية واللغات السامية؛ المصطلح والرؤية.

٢- تصنيف اللغات السامية.

٣- اللغويون العرب واللغات السامية.

٤- أهمية الدراسات السامية فى البحث اللغوى العربى.

المبحث الأول

اللغة العربية واللغات السامية: المصطلح والرؤية

أولاً- مصطلحات تاريخية:

١- مصطلح (التراث):

يدور المعنى اللغوى للتراث حول الإرث، والتاء فى (تراث) بدل من حرف الواو، لأنها من الورث، كما كانت التاء فى كلمة (تجاه) بدلا من الواو أيضا؛ لأنها من الوجه.

والإرث والورث يعنى ما تركه الأسلاف للخلف جيلا بعد جيل ليبقى بعد فناء التارك. والتوارث يشير إلى أخذ اللاحق من السابق.

وصار مصطلح (التراث العربى) يدل على ما وصل إلينا من الفكر العربى قبل الإسلام وبعده على مختلف العصور، يحمل إلينا جوانب الحضارة العربية جاهلية وإسلامية. وشاعت كلمة (التراث) فى العصر الحديث فى دلالتها على ماضى التاريخ، ماضى الحضارة، والفن، والآداب، والعلم، وكل ما يمت إلى القديم.

٢- مصطلح (الفصائل اللغوية):

هذا مصطلح حديث يرجع إلى نهاية القرن الثامن عشر، وهو عنوان النظرية فى تصنيف اللغات البشرية إلى عائلات ثلاثة هى: الفصيلة الهندو أوربية والفصيلة الحامية، والفصيلة السامية، ويقوم هذا التقسيم على أساس القرابة اللغوية، بعد ملاحظة وجود صلات وثيقة بين مجموعة من اللغات اصطلح على تسميتها بالفصيلة.

٣- مصطلح (اللغات السامية):

هذا المصطلح حديث الاستعمال، وجد نتيجة الاهتمام بالعائلات اللغوية فى مقابل العائلة الهند وأوربية فى أوربا، وأول من استخدم هذا المصطلح عالم اللغة النمساوى شلوتسر فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى، وقد استعاره من قائمة الشعوب المذكورة فى الإصحاح العاشر من سفر التكوين فى التوراة. ويراد به اللغات (الأكادية – الآرامية – الكنعانية – الفينقية – العربية الجنوبية – العربية الشمالية – العبرية – الأوجاريتية).

وقد ثبت أن المصطلح (سامى) قد دل على التقارب اللغوى بين مجموعة اللغات التى أطلق عليها (اللغات السامية) بالإضافة إلى الجوار الجغرافى والاشتراك الثقافى بين شعوب المنطقة، ومع ذلك فقد ثبت أن الموطن الأصلى لهذه المجموعة السامية هو شبه الجزيرة العربية، والتى انطلقت منها الهجرات بحثا عن الرعى والماء.

فإذا أضفنا إلى ذلك أصالة العربية وبقاءها حية فى المكان والزمان دلّ ذلك على أن المصطلح (سامية) غير سديد، وأريد به تزييف الحقائق التاريخية، وسلب حق العروبة والعربية من نسبة المصطلح إليهم حقا.

ولذلك وجدنا طائفة من الباحثين فى العراق والشام تجنبوا هذا المصطلح (اللغات السامية) واختاروا بدلا منه (اللغات الجزرية) نسبة إلى الجزيرة العربية، وأكد ذلك الأستاذ العقاد والأستاذ الدكتور محمد سالم الجرح الذى ذكر أن "العرب والعربية أصل الشعوب واللغات السامية، بل إننا لنستطيع أن نسمى الشعوب السامية كلها بالشعوب العربية، واللغات السامية كذلك باللغات العربية، فنحن نمثل الجذع الذى تفرعوا منه جميعا"(١).

ومع ذلك أقول: سوف أكون مضطرا لاستخدام المصطلح الشائع "اللغات السامية" أحيانا، خاصة عند نقل كلام المستشرقين الذين تخصصوا فى دراسة هذه اللغات، وهذا الاضطرار لا يقف حائلا دون مطالبة المتخصصين والغيورين على اللغة العربية وتاريخها من نشر المصطلح البديل وهو "اللغات الجزرية" للدلالة على لغة الأقوام التى كانت تعيش فى شبه الجزيرة العربية، وهى فى الأصل لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق، وتخوم فلسطين وسيناء.

٤- مصطلح (اللغة العربية):

العرب هم الشعب الوحيد الذى تخلف فى شبه الجزيرة العربية عن اللحاق بالهجرات السامية الكبرى التى قام بها الأكاديون والكنعانيون والآراميون. وأصل كلمة (عرب) آت من الجذر الدال على الغروب، ثم انتقل للدلالة على الصحراء بعلامة التأنيث فى نهايتها (عربا) وبهذا الاسم عرفت شبه الجزيرة والمنطقة المتاخمة لها جنوب الهلال الخصيب.

والحقيقة اللغوية التى يجمع عليها علماء المقارنات السامية هى أنه لا يُعقل

---

(١) التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية ص٤، والسامية والعروبة: الرؤية والمصطلح د. أحمد صالح توفيق مجلة كلية دار العلوم ع ٢٠ .

حصر اللغة العربية فيما لا يزيد عن قرن ونصف من الزمان قبل ظهور الإسلام وما لا يزيد كثيرا عن قرن آخر بعد ظهور الإسلام، وأن تاريخ اللغة العربية يرجع إلى الوراء حتى يبلغ أول إنسان عاش فى شبه الجزيرة العربية وتكلم بها هو وأولاده، ومنذ ذلك الزمن السحيق وإلى يومنا هذا كانت مراحل اللغة العربية، والتى أكدت وحدة الأصل بين العربية وأخواتها، وهذه اللغات قد وجدنا فيها آثار واضحة من التركيب الصوتى والصرفى والدلالى فى العربية وفى اللغات السامية الأخرى على حد سواء مما جعلنا نؤكد أصالة العربية وعراقتها فى القدم، وهى التى موصولة إلى يوم الدين.

المبحث الثانى

تصنيف اللغات السامية

ثبت أن تقسيم اللغات المسماة بالسامية تمّ على أساس جغرافى وتاريخى، مع أن هذه الأسس الجغرافية والتاريخية ليست دائما دقيقة وعلمية بسبب تداخل المجموعات اللغوية بعضها مع بعض، وكثرة التنقلات لأصحاب اللغات القديمة مما يجعل عملية الاستثناء واردة فى هذا التقسيم الجغرافى والتاريخى.

وفيما يلى أهم الفروع القائمة على التقسيم الجغرافى:

الفرع الأول– السامية الشمالية الشرقية:

أولى لغات هذا الفرع وأهمها **(**اللغة الأكادية القديمة**)** التى عاشت منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد إلى بداية الألف الثانى قبل الميلاد (أى حوالى خمسة قرون).

وكان الأكاديون قد غزوا العراق بعد هجرتهم من شبه جزيرة العرب، وتغلبوا على سكانها السومريين، ونتيجة اختلاط الشعبين استفاد الأكاديون من حضارة السومريين، كما تأثرت اللغة السومرية باللغة الأكادية؛ لأنها لغة الغزاة.

وقد تفرعت عن اللغة الأكادية لغتان تعدان من أثرى اللغات القديمة هما

"اللغة البابلية" و"اللغة الأشورية" وقد بدأ هذا الانفصال بين فرعى الأكادية منذ بداية الألف الثانى قبل الميلاد، واستمرت هذه الثنائية إلى أن سقطت آشور، فأصبحت البابلية منذ ذلك الحين هى الممثل الوحيد للغات الأكادية؛ لأن بابل قد احتفظت باستقلالها الثقافى حتى بعد سيطرة الفرس عليها.

وقد ماتت اللغة الأكادية بفرعيها (الأشورية – البابلية) ولم يبق منها إلا النقوش التى نقرأ من خلالها الخصائص السامية المغرقة فى القدم ومنها ظاهرة الإعراب على نحو ما هو معروف فى العربية، وهناك تقارب كبير استخلصه علماء السامية المقارن فى كثير من الألفاظ بين العربية والأكادية.

الفرع الثانى– السامية الشمالية الغربية:

يراد بها اللغات التى تكلمت بها الشعوب فى المنطقة السورية – الفلسطينية، وأهم لغات هذا الفرع (السامى الشمالى الغربى):

١– اللغات الكنعانية:

وأقدم هذه اللغات الكنعانية (اللغة الأوجاريتية)، وقد تم اكتشافها سنة ١٩٢٩م، وقد سميت بذلك نسبة إلى مدينة أوجاريت المدينة القريبة من اللاذقية على الساحل السورى.

ومن اللغات الكنعانية (اللغة الفينقية) وهى لغة التجار الذين سكنوا مدن صور وصيدا وجبيل، وهى من اللغات الميتة الآن. وقد وصلت إلينا فى عدة نقوش، وقد كتبت اللغة الفينقية بخط أبجدى متطور عن الخط الأوجاريتى، حيث اتخذ أشكالا هندسية مختلفة، ويشبه إلى حد ما الخط العبرى.

ومن اللغات الكنعانية الجنوبية (اللغة العبرية). ومن أهم النصوص التى كتبت باللغة العبرية (العهد القديم) كتاب اليهود المقدس الذى يشتمل على التوراة الممثلة فى الأسفار الخمسة الأولى فى سفر التكوين، والتى تنسب لموسى عليه السلام ، كما يشتمل العهد القديم أيضا على كتب الأنبياء والمكتوبات.

ومن العبرية ما عرف بـ (عربية المنشا) وهو الكتاب المقدس الثانى عند اليهود، وقد دوّن بعد اكتمال تدوين العهد القديم.

ومن العبرية ما عرف بـ (العبرية الوسيطة) وهى التى ألفت بها الكتب الدينية وغير الدينية فى العصور الوسطى، وفى هذه الفترة تأثرت العبرية بالعربية وفروعها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وتجويد وأدب، واستطاع اليهود آنذاك ترجمة المؤلفات الدينية والفلسفية من العربية إلى العبرية، وتأثروا بالعرب فى أسمائهم وبخاصة أسماء الخلفاء. ومن ذلك أبو الوليد مروان بن جناح، وموسى بن ميمون الذى كان طبيب الوزير ولبس الجبة والقفطان شأن العرب فى زيهم.

وهناك (العبرية الحديثة) التى أحيوها من ممات فى العصر الحديث. وهى تختلف فى أصواتها وبنيتها وتراكيبها وكتابتها عن العبرية القديمة إذ حدث فيها تغيير لغوى كبير، ووجدت بها ألفاظ أوربية عديدة تبعا لاختلاف المتكلمين بها من المهاجرين إلى أرض فلسطين المحتلة.

والذى يعنينا من هذه الفترات العبرية القديمة حيث كتبت فيها التوراة وشروحها وأهم كتب التراث العبرى، وهى التى تفيدنا فى الوقوف على أوجه التشابه مع العربية، وهى نصوص مدونة قديما قبل الميلاد، ونقف من خلالها على حياة العرب وعلاقتهم بغيرهم.

٢- اللغات الآرامية:

وصلت إلينا الآرامية فى عدد من المستويات اللغوية المتطورة عبر العصور منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلى اليوم. ويرجع هذا إلى تقسيم مواطن الآراميين إلى قسمين: أحدهما فى الشمال الغربى على تخوم البلاد الكنعانية، وقسم فى الشرق على حدود بابل وآشور. ومن لهجات هذه المجموعة اللهجة المعروفة الآن باللغة السريانية.

وقد انتشرت اللغة السريانية شيئًا فشيئًا مع ظهور المسيحية وانتشارها حتى إنها صارت لغة منطقة كبيرة فى الشام والعراق إذ ذاك، وغدت لغة ثقافية

معروفة، وقد وجدت بالسريانية ألفاظ يونانية وعبرية نتيجة لاقتراضها من هاتين اللغتين، وقد كتب الكتاب المقدس المسيحى بالسريانية.

كما ورثت اللهجات الآرامية الغربية اللغات السامية التى عاشت فى المنطقة من اللغات الكنعانية (العبرية – الفنيقية)، وأصبحت الآرامية هى اللغة السائدة فى التخاطب فى العراق وسوريا وفلسطين. وكان من مظاهر انتصار الآرامية على العبرية أن صار العبريون لا يستطيعون فهم لغتهم الأصلية (العبرية) ولا التحدث بها إلا بعد ترجمتها إلى الآرامية، وهذا ما كان يفعله رجال الدين لهم من أجل أن يفهموهم نصوص التوراة.

وقد ظلت اللغة الآرامية ثابتة الأركان حتى قضت عليها اللغة العربية، وإن بقيت آثار السريانية فى المناطق الجبلية النائية فى سوريا والعراق، وبخاصة الموصل فى شمال العراق، مما جعل هؤلاء السريان فى العراق ينشئون لهم مجمعا لغويا، اندمج فيما بعد فى المجمع العلمى العراقى.

الفرع الثالث– السامية الجنوبية الغربية:

يراد بها اللغات التى وجدت فى شبه الجزيرة العربية، وعلى الساحل الغربى الجنوبى للبحر الأحمر. وقد انقسمت المجموعة الجنوبية الغربية إلى العربية الشمالية والعربية الجنوبية والحبشية وفيما يلى الحديث عن أهم لغات هذا الفرع.

١– اللغات الحبشية:

يراد بها اللغات التى نشأت فى الحبشية، نتيجة لهجرة جاءت من جنوب الجزيرة العربية إلى تلك البلاد المقابلة لهم– أى من اليمن– لذلك تجد تشابها بين ما دُوِّن بالحبشية وما عرف فى النقوش العربية الجنوبية.

وتعدّ اللغة الجعزية أقدم اللغات الحبشية فى إثيوبيا. وتكمن أهميتها ليس فقط فى قدمها بل فى كونها اللغة السامية الخالصة من التأثيرات الأجنبية القادمة من القارة الإفريقية، حتى ذهب أدور ألندوف إلى أن "الحبشية الجعزية هى اللغة

التى تطورت على أرض إثيوبيا نتيجة لدخول عرب الجنوب إلى قرى إفريقيا"[١].

ولم يطل عمر الجعزية فى مجالات التحدث، بل حلت محلها الأمهرية وصارت الجعزية لغة الأدب والدين بعد انقراضها فى أكثر المناطق الحبشية. أما اللغة الأمهرية فهى اللغة المستخدمة الآن فى التخاطب فى معظم مناطق الحبشة السامية اللسان. وإلى هذا اليوم تكتب اللغات الحبشية بخط معقد يقوم على نظام قديم فى اللغات السامية هو نظام المقاطع ، فالحرف الواحد يرمز إلى صوت مع حركة، ومن المعلوم أن الحركات كثيرة فى اللغات الحبشية. وقد يطلق على هذه اللغة سم (اللغة الأثيوبية) بعد مرور هذه الكلمة فى الكتاب المقدس فأحبها الأحباش مع تحولهم إلى النصرانية ، فجعلوها اسما لبلادهم.

٢- اللغات العربية الجنوبية:

وتعرف أيضا بـ (اللغات اليمنية القديمة) أو (القحطانية) ومن أشهر ألقابها (الحميرية) (السبئية) وذلك من قبيل تسمية الكل باسم الجزء.

وقد عرفت العربية الجنوبية من خلال النقوش المدونة على التماثيل والقبور والأعمدة والصخور والنقود، وذلك فى الفترة من القرن التاسع قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادى. ولغات هذه النقوش هى: السبئية والمعينية والقتبانية والحضرمية. وتعدّ السبئية أكثر لهجات النقوش اليمنية تطورًا.

وهذه اللغات العربية الجنوبية شديدة التشابة فيما بينها حتى ليمكن القول إنها جميعا تمثل لهجة واحدة فى الأصل، وعلى كل فهذه اللغات العربية الجنوبية تختلف أحيانا فى ظواهرها اللغوية مع العربية الشمالية، ولكنه أشبه بالاختلاف الموجود بين لغتى قريش وتميم أو أسد وهذيل. وقد تحوّلت اللغات العربية الجنوبية إلى العربية الشمالية بعد انهيار سد مأرب، وقد نظم شعراء الجنوب قبل الإسلام شعرهم بعربية الشمال، ومن هؤلاء امرؤ القيس.

---

(١) انظر : علم اللغات السامية المقارن ص١٧٧.

٣- اللغة العربية الشمالية:

هى اللغة التى انتشرت فى جزيرة العرب، وتحدث بها الحجازيون، ومن جاورهم من الشماليين. ولكن ما وصل إلينا من آثارها القديمة جدا يعدّ حديثا إذا قورن بما دوِّن فى الأكادية والعبرية وغيرهما.

وعلى ضوء ما وصل إلينا من آثار العربية الشمالية يمكن تقسيمها قسمين: (العربية البائدة) (والعربية الباقية) وإليكم كلمة موجزة عن كل قسم على حدة:

أولاً- العربية البائدة (عربية النقوش):

يطلق هذا المصطلح على لهجات عدد من القبائل العربية التى كانت تسكن شمال الحجاز على مقربة من حدود الآراميين، وقد بادت هذه اللهجات قبل ظهور الإسلام.

وقد يسميها المستشرقون "العربية الأولى" لأن نقوشها سبقت الآثار الرسمية التى وصلت إلينا من العربية الفصحى.

وقد اكتشفت هذه النقوش أول ما اكتشفت فى أواخر القرن التاسع عشر، وهى نقوش مكتوبة بخط مشتق من الخطوط العربية الجنوبية، كما بدا من خلا هذه النقوش أن أصحابها كانوا فى عزلة عن عرب نجد والحجاز، وأنهم صبغوا بالحضارة الآرامية والنبطية، وظهر فى هذه النقوش التأثر الواضح باللغة الآرامية، ووجدنا اختلافا واضحا فى هذه النقوش عن العربية الباقية، ومن مظاهر ذلك الاختلاف فى أداة التعريف التى هى الهاء فى هذه النقوش كما هو الشأن فى العبرية، على حين أنها (ال) فى العربية الباقية.

وأقدم هذه النقوش هو ما اشتهر لدى العلماء باسم النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية.

أ- النقوش الثمودية:

ذكر القرآن الكريم فى سورة الأعراف ثمود كمثل على شعب مات ؛ لأنه لم يتقبل رسالة نبيه صالح عليه السلام. وقد أطلقت كلمة (ثمود) على عشرات

الآلاف من النصوص القصيرة المكتوبة بخط مشتق من الخط العربى الجنوبى، ويرجع تاريخ هذه النقوش من القرن السادس قبل الميلاد إلى الرابع الميلادى، واكتشف معظمها فى دومة الجندل والحجر وواحة تيماء. وتركز هذه النقوش على ذكر أسماء الأعلام، ولا تخبرنا الشئ الكافى عن تركيب تلك اللغة.

ب- النقوش اللحيانية:

وهى نقوش تنسب إلى قبائل لحيان، ولم يثبت تأريخ هذه النقوش حتى الآن، ولكن يبدو أن أقدمها يرجع إلى ما بين القرن الرابع والثانى قبل الميلاد، وأحدثها لا يتجاوز القرن السادس بعد الميلاد. وقد اكتشفت هذه النقوش فى منطقة العلا شمال الحجاز. وتظهر هذه النقوش تعداد ملوك لحيان وألقابهم. وهى أجزاء من نقوش تعبر عن كثير من الخصائص العربية التى ما زلنا نعرفها حتى اليوم.

ج- النقوش الصفوية:

وجدت هذه النقوش فى المنطقة الواقعة بين جيل الدروز فى لبنان وتلال أرض الصفاة الواقعة جنوب شرق دمشق.

وتعود هذه النقوش الصفوية إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد، وقد استطاع العلماء الوقوف على الأبجدية الصفوية من خلال هذه النقوش، وحدودا حروفها بثمانية وعشرين حرفا كالعربية، كما لا حظوا خلوها من حروف العلة، فمثلا "أنا" تكتب هكذا (أن) بدون ألف.

وقد ذكر "ليتمان" أن هذه النقوش تشتمل على كثير من الأسماء المتصلة بحياة العرب مثل: إبل ، جمل ، بقر ، حمار ... إلخ.

وقد ثبت أن الصفوية قد احتفظت ببعض الألفاظ السريانية، والعبرية، وأفعال غير مألوفة مثل "خرص" بمعنى "قتل" و"مطى" بمعنى "غنم".

وبالإجمال فهذه أهم النقوش التى تمثل ما يسمونه بالعربية البائدة. وهناك نقوش أخرى كثيرة، تمثل مرحلة الانتقال إلى العربية الباقية مثل نقش "حوران"

ونقش "زيد" ونقش "النمارة" وهى نقوش جاهلية قريبة إلى العربية من حيث مادتها وأسلوبها أكثر من قرب "الثمودية والصفوية واللحيانية".

ولا شك فى أن هذه النقوش قد مهدت لنا الوصول إلى تأريخ اللغة العربية فى مرحلة ما قبل الإسلام- وهى مرحلة الجاهلية- وحسبنا أن نرى شهادات مكتوبة باللغة العربية فى مراحلها الأولى تمثل عناصر تطور لما رأينا من لغة ناضجة ومتكاملة وفنية فى نصوص الأدب الجاهلى ونثره، وما وجدناه فى هذه النقوش يعرف لنا حياة العرب بداية من القرن الأول الميلادى بما استخدموه من لغة تشبه العربية الفصحى.

ثانيًا- العربية الباقية:

يراد بها (عربية التراث) تلك اللغة العربية التى وردت إلينا نصوصها ممثلة فى الشعر الجاهلى، والأمثال العربية القديمة، وما روى عن خطباء العرب وكهانهم فى الفترة التى سبقت بعثة النبى ﷺ، كما تشمل أيضا نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف، وأقوال الصحابة وخطبهم ووصاياهم، وتمتد مرحلة هذه العربية حتى نهاية القرن الثامن الهجرى.



ملخص الوحدة الأولى

أولاً- مصطلحات تاريخية:

١- اللغة العربية واحدة من اللغات السامية، وهناك علاقة قرابة قوية بين ما عرف بـ "اللغات السامية".

٢- ثبت أن هذا المصطلح غير دقيق، وأريد به تزييف الحقائق التاريخية وسلب حق العروبة والعربية.

٣- المصطلح السديد هو "اللغات الجزرية" نسبة إلى الجزيرة العربية.

٤- مصطلح "التراث" يعنى ما تركه الأسلاف للخلف جيلا بعد جيل ليبقى بعد فناء التارك من حضارة، وفن، وآداب، وعلم.

٥- مصطلح "اللغة العربية" لا يمكن حصره فيما لا يزيده عن قرن ونصف من الزمان قبل الإسلام، وإنما يعود تاريخ اللغة العربية إلى الوراء حتى يبلغ أول إنسان عاش فى جزيرة العرب هو وأولاده.

ثانيًا- تصنيف اللغات السامية:

١- هاجرت طوائف ممن يعيشون فى جزيرة العرب إلى بلاد الرافدين والشام، وصار لكل طائفة لغتها الخاصة بها.

٢- تحولت لهجة كل طائفة إلى لغة فيها عناصر جديدة نتيجة الصراع بين اللغة الوافدة ولغات سكان البلاد الأصليين.

٣- اللغات الأكادية تنسب إلى إقليم "أكاد" وأصحابها هم (البابليون- الأشوريون) ولذلك سميت اللغات بـ "البابلية "الأشورية" بدلا من "الأكادية".

٤- اللغات الكنعانية هى لغة الشعوب التى نزلت أرض كنعان وأقامت بها، ومن هذه اللغات "الفينقية" "العبرية".

٥- اللغة الفينقية ظلت مستعملة حتى قضت عليها اللغة الآرامية فى القرن

الأول قبل الميلاد.

٦- اللغة العبرية مرت بمراحل عديدة منذ نشأتها (قديمة- متوسطة- حديثة)، والذى يهمنا هو العبرية القديمة المتمثلة فى لغة النقوش التى عثر عليها وفى لغة العهد القديم بأقسامه الثلاثة، وهى: (التوراة- أسفار الأنبياء- أسفار المكتوبات).

٧- اللغات الآرامية تعود إلى الألفية الأولى قبل الميلاد، وقد كانت لغة الحديث فى سوريا من بداية القرن العاشر قبل الميلاد على الأقل حتى قضت عليها العربية.

٨- أهم اللغات الآرامية الشرقية هى (اللغة السريانية) وهى لغة الكتابات الدينية المسيحية حتى القرن الثامن الميلادى.

وما تزال بعض أنماط الآرامية الحديثة حية فى بعض المناطق السورية. والعراقية، حتى صار لهم مجمع لغوى خاص بهم.

٩- تعدّ اللغة الجعزية أقدم اللغات الحبشية فى إثيوبيا، وحلت محلها الأمهرية التى صارت لغة التخاطب فى معظم مناطق الحبشة.

١٠- اللغات اليمنية القديمة تختلف فى بعض ظواهرها مع العربية الشمالية، ولكنه الاختلاف الموجود بين لغتى قريش وتميم.

١١- تنقسم العربية الشمالية إلى العربية البائدة والعربية الباقية ويراد بالبائدة التى انقرضت قبل مجئ الإسلام وتمثلها النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية.

١٢- هذه النقوش تمثل المهاد أو العربية الأولى التى سبقت عربية العصر الجاهلى، وفيها عناصر التطور للعربية الفصحى التى هى امتداد العربية الباقية.

أسئلة على الوحدة الأولى

أولاً- أسئلة نظرية:

س١: ماذا يعنى مصطلح "لغات سامية"؟ واذكر وجهة نظرك.

س٢: ذهب بعض المستشرقين إلى أن طفولة العربية بدأت مع العصر الجاهلى. ناقش ذلك.

س٣: من اللغات الكنعانية اللغة العبرية وضح ذلك وبين أهم مراحلها.

س٤: تحدث عن أقسام العربية الشمالية، وفصّل القول فى قسم منها.

ثانياً- أسئلة تطبيقية:

س٥: ضع علامة (صح) أو (خطأ) بين القوسين مع ذكر السبب:

١- اللغة العبرية لغة سامية جنوبية.

٢- اللغة السريانية إحدى اللغات الكنعانية التى تغلبت عليها العربية الفصحى.

٣- اللغة الحبشية إحدى اللغات السامية الشمالية.

٤- العربية الباقية تختلف عن عربية النقوش فى ظواهرها اللغوية.

٥- أغلب المستشرقين ذهب إلى أن طفولة اللغة العربية تبدأ مع العصر الجاهلى المكتوب لدينا.

نموذج إجابة ☑

إجابة السؤال الأول:

هذا المصطلح أطلق على مجموعة اللغات ذات القرابة اللغوية والجغرافية وهى (العربية بنوعيها: الجنوبية والشمالية– الأكادية– الكنعانية– الآرامية– الفينقية– العبرية– الأوجاريتية... إلخ).

وهذه اللغات لأناس هاجروا من جزيرة العرب. والمصطلح الأمثل هو أن يكون (اللغات الجزرية) نسبة إلى جزيرة العرب مكانا وزمانا.

إجابة السؤال الثانى:

هذا الكلام غير صحيح، فليست هناك لغة تولد فتية وناضجة كما وجدنا العربية فى المعلقات وغيرها، ولابد لها من مراحل متدرجة لهذه اللغة تعثرت فيها، ولا يعقل أن نحصر اللغة فيما لا يزيد عن قرن ونصف، فتاريخها يعود إلى خمسة وأربعين قرنا شأن اللغة الأكادية التى وجد فيها ظاهرة الإعراب كاملة كالعربية تماما، وقد أجمع المستشرقون على عودة الأكادية إلى هذا التاريخ.

إجابة السؤال الثالث:

اللغة العبرية إحدى اللغات الكنعانية، وقد مرت بمراحل عديدة هى (العبرية القديمة– الوسيطة– الحديثة) وأهم مراحلها العبرية القديمة التى كتب بها التراث العبرى ممثلا فى كتب العهد القديم (التوراة– أسفار الأنبياء– المكتوبات) وهى التى تفيدنا فى الوقوف على أوجه الاتفاق والتشابه مع لغتنا العربية.

إجابة السؤال الرابع:

العربية الشمالية هى اللغة التى انتشرت فى جزيرة العرب، ولم تفارقها وتحدث بها الحجازيون ومن جاورهم، وقد قسمها العلماء قسمين هما: العربية البائدة والعربية الباقية.

أما القسم الأول وهو العربية البائدة فقد قصد به عربية النقوش التى اكتشفت

فى هذه المنطقة وهى (الثمودية– اللحيانية– الصفوية) وهذه النقوش تسبق زمنا ما جاءنا مدونا قبل العربية الفصحى، ولذا أطلق عليها مصطلح "العربية الأولى". وقد ثبت أن هذه النقوش كتبت بخط مشتق من الخطوط العربية الجنوبية، كما بدا فيها التأثر باللغة الآرامية، وأنها تختلف فى بعض مظاهرها عن العربية الفصحى، ومنها أداة التعريف (الهاء) عندهم فى مقابل (أل) للتعريف فى العربية الباقية.

إجابة السؤال الخامس:

١- خطأ، لأن العبرية إحدى اللغات الكنعانية، وهى لغة شمالية.

٢- خطأ، لأن اللغة السريانية إحدى اللغات الآرامية التى وجدت فى بلاد العراق، والتى قضت عليها اللغة العربية.

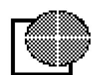
٣- خطأ، لأن اللغة الحبشية تتآلف مع اللغات اليمنية واللغة العربية بنوعيها فى مجموعة اللغات السامية الجنوبية.

٤- صواب، لأن عربية النقوش هى العربية البائدة التى تأثرت كثيرًا باللغة الآرامية، فى حين أن العربية الباقية تمثلت فى اللغة النموذجية الأدبية التى كتب بها الشعر الجاهلى والقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف.

٥- صواب، فأغلب المستشرقين رأى أن اللغة العربية هى أحدث اللغات السامية تدوينا، وهى تبدأ مع العصر الجاهلى. ورأيهم غير صحيح، فلا توجد لدينا لغة تولد ناضجة وقوية كما رأينا العربية فى العصر الجاهلى. وتوجد مراحل زمنية سابقة تعود إلى خمسة وأربعين قرنا من الزمان، شأن اللغة الأكادية التى وجد فيها الإعراب كاملا.

قائمة بأهم مصادر الوحدة الأولى

١- فى اللهجات العربية.	أ.د. إبراهيم أنيس
٢- فصول فى فقه العربية.	أ.د. رمضان عبد التواب
٣- علم اللغة العربية.	أ.د. محمود فهمى حجازى
٤- من قضايا اللغة والنحو.	أ.د. أحمد مختار عمر
٥- التطور النحوى للغة العربية.	لبرجشتراسر، علق عليه د. رمضان عبد التواب
٦- دراسات فى فقه اللغة.	د. صبحى الصالح
٧- العربية الفصحى لهنرى فليش.	تعريب د. عبد الصبور شاهين
٨- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها.	لكيس فرستيغ ترجمة محمد الشرقاوى
٩- الوجيز فى فقه اللغة.	لمحمد الأنطاكى
١٠- فقه اللغة العربية.	د. كاصد ياسر الزيدى



الوحدة الثانية

بين العربية الفصحى واللهجات العربية

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغى أن يكون الدارس قادرًا على أن:

١- يثبت أن أصول العربية الفصحى مأخوذة من عربية الشعر الجاهلى.

٢- يعرف علاقة العربية الفصحى باللهجات العربية القديمة.

٣- يعرف العلاقة بين اللغة واللهجة، وأهمية دراسة اللهجات.

٤- يقف على سمات اللغة العربية المشتركة وخصائصها.

العناصر:

١- تكوّن اللغة العربية المشتركة وصلتها باللهجات العربية.

٢- لغة قريش وموقعها من اللغة المشتركة.

٣- صفات العربية المشتركة وسماتها.

٤- بين اللغة واللهجة ومدى الحاجة إلى دراستها.

٥- الظواهر اللغوية فى اللهجات العربية.

أولاً- تكوّن اللغة العربية المشتركة وصلتها باللهجات العربية:

ثبت أن المتحدثين بالعربية الباقية لم يكونوا طائفة واحدة رغم انتسابهم إلى العرب، وإنما كانوا قبائل كثيرة متفرقة فى أنحاء الجزيرة العربية، بينهم اختلاف فى الثقافة والمعرفة.

ومن الثابت أيضا أن العربية فى الجاهلية كانت لغة كل العرب. وقد حاول بعض العلماء إثبات أن أصل العربية الفصحى الكلاسيكية هو عربية الشعر

الجاهلى، والتى سادت فى نجد وشرق الجزيرة العربية ويقولون: إن لغة الشعر الفصيحة هذه قد انتشرت من هذا الإقليم لغيره من مناطق الجزيرة، فمن نجد انتقلت لغة الشعر إلى مملكة الحيرة فى الشمال.

ومن المفروض أيضا أن تكون تلك اللغة الوليدة قد انتقلت إلى المراكز التجارية المنتعشة فى الجزيرة كمكة والمدينة. وليس من المدهش أن تكون تلك اللغة هى نفس اللغة التى نزل بها القرآن الكريم فى مكة بسبب مكانتها الاجتماعية المرتفعة، واستغراقها لقبائل العرب.

وقد غالى أصحاب هذه الرأى فذهبوا إلى أن كل اللهجات هى من أصول لغة واحدة، فلغة الكلام الدارجة فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام لم تكن تختلف اختلافا كبيرًا عن لغة الشعر ولغة القرآن الكريم.

وكان العرب أيضا ينظرون إلى الشعراء وشعرهم على أنهم حماة نوع رفيع من اللغة بما فيه من نظام الإعراب، وهى لغة أعلى من مستوى المتكلم العادى.

وقد تشكك الباحثون الغربيون فى هذا الرأى الذى لا يتفق مع التطور اللغوى، وقالوا: هناك فارق كبير بين اللغة الأدبية واللغة الدارجة وهما كائنان منفصلان تماما فى الجاهلية[١].

إن اللغة الأدبية النموذجية التى صادفها الإسلام وقت ظهوره زادها ونماها القرآن الكريم بعد نزوله، وهى لا تنفى وجود اللهجات العربية المختلفة قبل الإسلام وبعده. ومن المؤكد أن عامة العرب لم تكن تنطق بلهجاتها الخاصة بل كانت تتفوه باللغة الأدبية والتى عرفت بالعربية الفصحى.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن "أقدم ما نستطيع تصوره فى شأن شبه الجزيرة العربية، هو أن نتخيلها وقد انتظمتها لهجات محلية كثيرة، انعزل بعضها

---

(١) انظر: اللغة العربية لـ تيس فرستيغ ترجمة محمد الشرقاوى. المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣ بتصرف ص٦٣-٦٤.

عن بعض، واستقل كل منها بصفات خاصة، ثم كانت تلك الظروف التى هيأت لبيئة معينة فى شبه الجزيرة فرصة ظهور لهجتها ثم ازدهارها، والتغلب على اللهجات الأخرى[١].

ومع ذلك فالروايات اللغوية قد أكدت فى كثير من نصوص اللهجات العربية صلتها القوية باللغة العربية الفصحى، وكثيرًا ما ذكرت كتب اللغة والنحو والأدب شواهد من لغة تميم، وقيس، وأسد، وطيء وغيرها، وقد سجلت هذه الشواهد ظواهر لهجية تميز بها هؤلاء الأقوام عن أولئك، ومع كل ما سبق فهى ذات صلة قوية بما نجده فى العربية الفصحى.

لقد أبقى الشعر على خصائص اللغة الأدبية المشتركة، وجاء القرآن الكريم فزاد هذه الخصائص تثبيتا، كما ساعد على إضعاف شأن اللهجات التى لا ترقى إلى مستوى العربية الفصحى.

وعلى الرغم من أن الأمية قد أثرت فى كيان اللغة الأدبية المشتركة بضياع تراثها، فإن حرص العرب على إقامة الأسواق الأدبية فى العصر الجاهلى، وحرصهم الدائم على تسجيل مآثرهم فى قصائدهم وما عرف بـ "المعلقات" قد حافظ على تراث هذه اللغة، ولاختفى كثير من خصائص العربية الفصحى قبل نزول القرآن الكريم بها.

ثانيًا- موقع لغة قريش من اللغة المشتركة:

لقد كانت لغة قريش يوما ما لهجة من اللهجات العربية قبل أن تتغلب عليها قبيل الإسلام، ويبدو أن قبائل العرب كانت تفكر فى اختيار لغة للتفاهم تجمع بينهم، فاختاروا آنذاك سيدة اللهجات، التى أصبحت لغة أدبية ممتازة، مختارة الألفاظ، يعمد إليها الشاعر والخطيب كلما عنّ له القول، والظاهر أن احتفاء الأدباء والشعراء بهذه اللغة القرشية كان من أقوى العوامل التى ساعدت على تغلب عربية قريش على غيرها من اللهجات العربية، وعدت لغة قريش أفصح اللغات.

---

(١) مستقبل اللغة العربية ص٧.

وقد بدا للباحثين أن لغة قريش كانت النواة لظهور اللغة الأدبية المشتركة، وقد ساعدها فى تحقيق هذا الأمر عوامل كثيرة هيأت للغة قريش أن تحافظ على شخصيتها، وتصبح بعد ذلك لغة العرب فى شتى بقاع الأمة العربية، وأهم هذه العوامل:

١- العامل الدينى:

كانت مكة تضم البيت الحرام، الذى كانت العرب تعظمه وتحج إليه فى جاهليتها، وتزور الأصنام، وتقدم لها النذور والقرابين. ولذلك صار القرشيون أصحاب السلطان الدينى على بقية القبائل العربية.

٢- العامل الاقتصادى:

كما تمتع القرشيون بالنفوذ الدينى تمتعوا أيضا بنفوذ اقتصادى كبير من خلال التجارة فى رحلتى الشتاء والصيف إلى الشام واليمن. وأصبح لذلك أهل قريش قبلة أنظار العرب جميعا، فضلا عن وجود الثروات لدى أهل قريش فى مكة، وصدق الله العظيم فى آياته الكريمة: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾.

٣- العامل السياسى:

هذا النفوذ هو نتيجة طبيعية للعاملين السابقين الدينى والاقتصادى وأيضا لموقع بلادهم، وما كانت تمتاز به من حضارة وعلم، فأصبح لهم نفوذ عند العرب جميعا.

وكان أهل مكة يعرفون هذه السيادة والمكانة الرفيعة لهم ولهذا كان فخر أبى بكر ﵁ على الأنصار حين طعموا فى الخلافة واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة، قال لهم: "لا يدين العرب إلا لهذا الحى من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله" ومعنى: (لا يدين) أى: لا يخضع ويعترف بالرياسة.

٤- العامل اللغوى:

كانت لهجة قريش أوسع اللهجات العربية ثروة، وأغزرها مادة، وأرقها أسلوبا، وأدناها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير فى فنون القول المختلفة.

قال الفراء: "كانت العرب تحضر الموسم فى كل عام، وتحج البيت فى الجاهلية. وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغاتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ[١].

ولهذا أخذت اللغة المشتركة من لغة قريش أكثر مما أخذت من غيرها بسبب التفوق والتميز على بقية اللهجات العربية منذ العصر الجاهلى. ولا شك فى وجود لهجات أدمجت فى لهجة قريش فكانت اللغة المشتركة التى نزل بها القرآن الكريم.

والمعروف أن اللغة المتأثرة تأخذ ما تأخذه وتتمثله، بمعنى أنها تخضعه لقوانينها الصوتية ولطريقة آدائهم وقواعدها اللغوية ونحو ذلك. وهكذا صنعت لغة قريش، أخذت من هذه ومن تلك، وتمثلت ما أخذته فأصبح ينتمى إليها ويعرف بها[٢]. ولا غرو فى ذلك فقد كانت معدة لنزول القرآن الكريم بها.

ثالثًا- صفات اللغة العربية المشتركة وسماتها:

اللغة العربية استمدت مادتها من مجموع ما تكلمت به القبائل العربية فى مختلف أرجاء الأرض العربية، وهى مادة منتقاة من أجود الكلام العربى وأعذبه، ولذا أطلق على اللغة العربية المشتركة مصطلحات "اللغة الأدبية النموذجية" "اللغة الإمام" لأنها لغة خلت من عيوب اللهجات، اصطفاها العرب منذ عهود بعيدة على لغاتهم جميعا.

وسنحاول- فيما يلى- أن نذكر لكم طائفة من صفات اللغة العربية المشتركة:

١- هى لغة عالية الأسلوب، فوق مستوى العامة من الناس. وقد بلغت غاية السمو والروعة فى أسلوب القرآن الكريم المعجز، الذى هو ينبوع التراث

---

(١) انظر: المزهر فى علوم اللغة للسيوطى ٢٠٩/١.

(٢) المدخل إلى دراسة النحو العرب فى ضوء اللغات السامية للدكتور عبد المجيد عابدين ص٥٢.

العربى، وخير من يمثل قمة اللغة العربية المشتركة.

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب: "إذا اتخذنا القرآن الكريم نموذجا للغة المشتركة، وبحثنا فى المستوى القرآنى أمام العرب، وجدناهم ينظرون إلى القرآن الكريم، وإلى أسلوبه نظرة أسمى حتى من آثارهم الأدبية الأخرى، ذلك لأنه تحداهم وأعجزهم، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله ... نحن لا نغالى إذن، حين نقول إن أسلوب القرآن الكريم– وهو يمثل قمة اللغة العربية المشترك– كان فوق مستوى العامة من العرب، كما كان فى بعض الأحيان فوق مستوى الخاصة[١].

٢- إن اللغة المشتركة لا ينتمى صفاتها أو عناصرها إلى بيئة محلية بعينها، فهى ليست لغة قبيلة بعينها بل هى مزيج من لغات القبائل تكونت له شخصيته وكيانه، وأصبح مستقلا عن كل اللهجات.

ولنضرب مثالا لتوضيح ذلك، فنقول: إن اللغة المشتركة قد أخذت تحقيق الهمز من تميم، مع أن لغة قريش تسهل الهمز، وهى الأفصح. وقد أحس الناس فى صدر الإسلام أنه من الأفضل أن تستخدم الهمزة فى تلاوة القرآن الكريم، وهذا يعنى أن اللغة العربية المشتركة لم تكن لغة قريش وحدها بدليل وجود الهمز فيها، وقريش لا تهمز، كما وردت إلينا الروايات المختلفة بذلك، وإنما هى لغة موحدة، اعتمدت فى نشأتها على بعض الصفات الطيبة، فى اللهجات العربية المختلفة، سواء فى ذلك لهجة قريش أو غيرها.

حقا يمكن القول بأن لهجة قريش أسهمت فى تكوين العربية الفصحى بعناصر كثيرة، فلا مبالغة إذن، فى إطلاق عبارة: "لغة قريش" على اللغة العربية الفصحى. وهذا فيما يبدو ما كان يقصده "فندريس" بقوله: "تقوم اللغات المشتركة دائما، على أساس لغة موجودة، حيث تتخذ هذه اللغة الموجودة لغة مشتركة من جانب أفراد مختلفى التكلم"[٢].

---

(١) فصول فى فقه العربية ص٨١–٨٢ بتصرف .

(٢) انظر: فصول فى فقه العربية ص٨٤، واللغة لفندريس ص٣٢٨.

سمات اللغة العربية المشتركة

ارتبطت اللغة العربية المشتركة بالقرآن الكريم، فزادت قوتها، واكتسبت مزيدًا من الجلال والبهاء والجمال، والقدرة الفائقة على المغالبة والاستمرار.

وسنحاول– فيما يلى– أن نعرض عليكم طائفة من خصائصها، وجملة من سماتها: فى مجال الأصوات، والمفردات، والتراكيب.

١– فى مجال الأصوات:

النظام الصوتى للغة العربية هو نظام متكامل، يستوعب أكثر الأصوات التى يمكن أن ينتجها جهاز النطق الإنسانى؛ ولهذا يندر أن يوجد صوت فى أى لغة يصعب نطقه فى اللسان العربى. وهذا شأن اللغة العربية إذا قورنت بأخواتها من اللغات السامية، فهى تتميز بوجود أصوات الحلق كاملة، وكذلك أصوات الإطباق، وأصوات ما بين الأسنان، وهى أصوات تطورت فى سائر اللغات السامية.

٢– فى مجال المفردات:

تميزت اللغة العربية بفصاحة الكلمة، والانسجام الصوتى فى الكلمة، وخلوها من التنافر بين الحرف.

٣– فى مجال التراكيب:

اتسمت العربية بسمات عديدة منها:

أ– التعبير عن المعنى الواحد بصور متعددة بحسب تعدد المواقف، واختلاف الظروف والأحوال.

ب– الميل إلى الإيجاز وتفضيله، وقد برع العرب فى الإيجاز، وكانت لهم آثار رائعة وحكم باقية فى تراثهم العربى القديم.

ج– قدرة اللغة العربية على التعبير العلمى، وعلى نقل المصطلحات العلمية الدقيقة إليها، وأنها قادرة على ملاحقة التقدم العلمى فى مختلف مجالاته.

وقد سجل التاريخ أنه بين القرنين الثامن والسادس عشر لم يكن بالعالم بأسره

إلا لغتان يكتب بهما العلم والفلسفة، وهما العربية فى الشرق واللاتينية فى الغرب.

وينبغى فى هذا الصدد أن ننبه على حقيقة نود ذكرها هنا وهى أن اللغة العربية الفصحى قد تميزت منذ فترة التقعيد بصفتين لم تكونا موجودتين فى العربية من قبل، وهما:

١- كونها لغة لا تكتسب فى مرحلة الطفولة، وهى المرحلة التى يكون الإنسان فيها مهيئا، لأن تصبح اللغة التى تعلمها فطرية لديه، يفهم وبنشئ عباراتها بالسليقة، بذلك يكتسب متكلم العربية الفصحى مهارة "الكفاية اللغوية"، لكنه لا يحصل عادة على مستوى مساو فى "الأداء الكلامى" للمستوى الذى يحصل عليه فى لهجته الدارجة.

٢- أصبح يخلط فيها بين مستويات اللغة ؛ لم يعد يفرق فيها بين نصوص الشعر ذات القواعد المختلفة ونصوص النثر، كما عوملت نصوص النثر فى الفنون المختلفة معاملة واحدة، كل ذلك كان يتم بحثا وراء النصوص التى يجد فيها النحاة دعما لقواعدهم، ولأن العامل المهم فى جمع وتقعيد هذه الفترة من اللغة هو الزمن الذى حدد تحديدا صارما من جهة وأماكن وجود المتكلمين بهذه النصوص من جهة أخرى[١].

من كل ما تقدم نستطيع أن نقرر نحن مطمئنون أن اللغة العربية حفظها الله بتنزيل القرآن الكريم بها، ولولاه لتحولت اللهجات العربية إلى لغات مستقلة بعضها عن بعض تمام الاستقلال . ولم يقتصر دور القرآن الكريم على الحفاظ على العربية المشتركة وإنما ذوّب الفوارق بين اللهجات.

رابعًا- بين اللغة واللهجة ومدى الحاجة إلى دراستها:

اللغة أهم ظاهرة من ظواهر الحياة الإنسانية، يتوارثها الأجيال تباعا، وتعد خاصية من خواص الإنسان، دعته الحاجة إليها منذ التقائه بغيره من بنى جنسه.

---

(١) انظر: أبعاد العربية د. فالح شبيب العجمى ص١٧١.

وقد لاحظ ذلك الفلاسفة والعلماء قديما فقالوا: الإنسان حيوان ناطق، ويقصدون بذلك أن النطق هو الميزة الكبرى التى امتاز بها الإنسان.

١- مصطلح (اللغة):

ولقد استخدم مصطلح "اللغة" فى التراث العربى استخدامات عديدة منها:

أ- أن تستعمل مفردة: بمعنى اللهجى، وقد ظهر ذلك عند ابن جنى فى قوله "باب اختلاف اللغات وكلها حجة"(١).

ب- أن تستعمل مفردة بمعنى اللغة الإنسانية بوجه عام، ومن ذلك قول ابن جنى "باب القول على أصل اللغة أ إلهام أم اصطلاح"(٢).

ج- أن تستخدم مفردة بمعنى الطريقة الخاصة فى نطق كلمة ما، مثال ذلك قولهم: "تقع فى الكلمة الواحدة لغتان كقولهم "الصِّرام، والصَّرام، والحِصاد والحصَاد، وتقع فى الكلمة ثلاث لغات نحو: الزُّجاج والزِّجاج الزَّجاج"(٣).

د- أن تستعمل مضافة إلى أمة أو إلى جماعة تنتمى إلى هذه الأمة، مثال ذلك قول ابن جنى: "لغة الحجازيين أو لغة التميميين، وهى هنا بمعنى اللهجة(٤).

ويبدو أن مصطلح (اللغة) قد تأخر ظهوره بين العرب إلى ما بعد صدور الإسلام فلم يرد هذا المصطلح فى القرآن الكريم ولو مرة واحدة وإنما عبر القرآن الكريم عن اللغة بمصطلح (لسان) ثمانى مرات، منها قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ومنها قول الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ

---

(١) الخصائص ١٠/٢ .

(٢) السابق ٤٠/١ .

(٣) الصاحبى لابن فارس ص٦٧ .

(٤) الخصائص ١٠/٢ .

الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾. ويبدو أن كلمة (اللسان) تعبر فى أخوات العربية أيضا عن اللغة، كما فى العبرية (لاشون) تطلق على اللغة، وهى تساوى كلمة (لسان) العربية وكذلك كلمة (شفة) وهى أعضاء النطق أطلقها اليهود على اللغة فقالوا (سافاه) أى لغة. ومن هنا ظن بعض العلماء أن كلمة (لغة) ليست عربية أصيلة، بل إنها تعريب لكلمة (Lαgos) الإغريقية التى تعنى كلمة أو فكرة، وربما عزز هذا الرأى التشابه الكبير بين الكلمة العربية والكلمة الإغريقية[١].

ولكن الدكتور حسن ظاظا اعترض على هذا الرأى حيث قال: "ونعتقد أن مجرد التشابه بين اللفظين العربى واليونانى ليس كافيا للحكم على عدم أصالة الكلمة فى العربية، نعم لقد أصاب كلمة (لغة) فى العربية تطور فى معناها، وهى مشتقة من اللغة الذى كان يعنى فى البداية الكلام الذى لا معنى له، إلا أنه لما كانت الألفاظ الخاصة ببعض القبائل غير مفهومة أو غريبة على سمع غير أبنائها سمى ذلك لغة، أى أن اللغة أطلقت فى البداية على الألفاظ التى لا معنى لها، ثم على الألفاظ الخارجة عن المألوف لدى عامة العرب، أو على تلك التى تخص قبيلة بعينها، ثم عمل استعمال الفعل (لغا) بمعنى تكلم مطلقا"[٢].

وقد أشار ابن جنى فى القرن الرابع الهجرى إلى أن "اللغة" لفظ عربى، وأنها على وزن (فعة) من لغوت أى تكلمت ... وفى الحديث (من قال فى الجمعة: فقد لغا) أى: تكلّم[٣].

وما سبق قد ركز على المعنى اللغوى لكلمة (لغة) من حيث اشتقاقها من (لغا يلغو) أو من (لغا يلغى) وأما معنى كلمة لغة فى الاصطلاح، فحسبنا أن نركز على تعريف ابن جنى للغة حيث قال: "أصوات يعبر بها كل قوم عن

---

(١) فصول فى لهجات العرب د. محمد عبد الحفيظ العريان ص٣٨-٣٩ .

(٢) اللسان والإنسان د. حسن ظاظا ص١٣٠ .

(٣) الخصائص ٣٣/١ .

أغراضهم"[١]. ويبدو أن هذا التعريف قد لاقى القبول من اللغويين العرب بوجه عام فتناقلوه فيما بينهم. ويبدو أن ابن جنى قصد اللغة الإنسانية بوجه عام، ولم يتكلم عن لغة معينة. ولذلك نجد فى هذا التعريف أهم العناصر التى يحتاج إليها الإنسان فى تصور اللغة، مثل:

أ- اللغة أصوات: بمعنى أن اللغة فى صورتها الخارجية إنما هى نظام من الأصوات.

ب- اللغة عرفية: بمعنى أن أصحاب اللغة اتفقوا على دلالة هذه الأصوات.

ج- اللغة اجتماعية: بمعنى أن اللغة تؤثر وتتأثر بالمجتمع الذى يعبر بها عن أغراضه.

د- وظيفة اللغة هى التعبير عن الأغراض، مهما كانت تلك الأغراض التى يهدف إليها الإنسان.

٢- مصطلح (اللهجة):

اللهجة مصطلح حديث، لا تعرفه الدراسات العربية القديمة، ولكن معرفة المصطلح شئ وإدراك حقيقته شئ آخر، فالعلماء القدامى رصدوا أهم الظواهر اللغوية التى تنتمى إلى بيئات مختلفة، وعبروا عن مصطلح (اللهجة) بـ (اللحن) أو (اللغة) مع تخصيص لفظها بالإضافة إلى البيئة التى ظهرت فيها اللهجة، دفعا للبس مع اللغة فى مدلولها الشامل. ومن هنا كثر فى كلامهم: لغة طيء، لغة تميم، لغة قريش ... إلخ.

أما اشتقاق كلمة (لهجة) بإسكان الهاء أو فتحها، فهى من لهج بمعنى امتص كقولهم لهج الفصيل ضرع أمه أى: امتص ما فيه من اللبن؛ لأن الإنسان يتلقى اللغة من مخالطيه كما يتلقى الفصيل اللين من أمه.

كما يصح أن يكون اشتقاق (اللهجة) من (لهج) بمعنى أوله وأغرم، لأن

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

مداومة المتكلم النطق على منحى معين فكأنه أولع بذلك النطق فلم يعدل عنه إلى غيره، وكلا الاشتقاقين يناسب معنى اللهجة وتعريفها.

أما اللهجة اصطلاحا فهى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة معينة، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

وفى تعريف آخر: اللهجة هى العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة" ومعنى ذلك أن اللهجة هى لغة مجموعة من الناس يتكلمون بطريقة اعتادوا عليها فى كلامهم، نطقوا بها منذ نعومة أظفارهم.

وعلى هذا تكون العلاقة بين اللغة واللهجة هى علاقة العام بالخاص أو الجزء بالكل؛ لأن اللغة تشتمل على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها– وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التى تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

هذه العلاقة بين اللغة واللهجة حقيقة نراها فى جميع اللغات وليست خاصة باللغة العربية، فالقانون اللغوى العام يقضى بانقسام كل لغة إلى مجموعة من اللهجات، وقد تنمو اللهجة فتصير لغة يخرج منها لهجات، وهكذا دواليك.

وربما كانت عبارة الدكتور إبراهيم أنيس من أقوى ما يوضح العلاقة بين اللغة واللهجة حيث قال: "بيئة اللهجة هى جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا فى مجموعة من الظواهر اللغوية التى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما يدور بينهم من حديث فهما، يتوقف على قدر الرابطة التى تربط بين هذه اللغات، وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات هى التى اصطلح على تسميتها باللغة، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التى تؤلف

لغة مستقلة عن غيرها من اللغات"[١].

إن علماء العربية القدامى عرفوا ما يدل عليه مصطلح (اللهجة) وأدركوا حقيقته، وإن كانوا لم يستعملوا لفظه، وعبروا عنه بـ (اللغة) أو (اللحن). وكانت عنايتهم بذكر اللهجات عناية خاصة فى إشارات لطيفة فى مؤلفاتهم، ثم جاء علماء اللغة المحدثون وتنبهوا إلى أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة، لأمور نوجزها فيما يلى:

١- دراسة اللهجات العربية الحديثة يؤكد إرجاع كثير منها إلى اللهجات العربية القديمة أكثر من رجوعها إلى اللغة العربية الفصحى.

٢- دراسة اللهجات العربية القديمة تفيد فى معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة التى رويت لنا بلا نسب إلى لهجة معينة.

٣- دراسة لغة الشعر العربى القديم فى ضوء اللهجات العربية القديمة وتحديد مدى صلة لغة الشعر بالعربية الفصحى التى صارت نموذجا للغة القرآن الكريم بعد ظهور الإسلام.

خامسًا- الظواهر اللغوية فى اللهجات العربية:

اللغة العربية هى فى الأصل لهجة فى بدايتها، سُرْعان ما صارت لغة كبيرة، انبثقت منها طائفة من اللهجات انتشر أصحابها فى أماكن متفرقة فى الجزيرة العربية، واختارت كل قبيلة مكانا لها فى أرض الجزيرة، وظهرت الفروق اللغوية فى هذه اللهجات، بينها وبين اللغة الأدبية المشتركة، أو بين بعضها وبعض.

وقد سجلت المصادر العربية القديمة طائفة من أسماء القبائل، ونسبت إليها عددًا من الظواهر اللغوية، وما روى من هذه الظواهر قليل من كثير، وأمثلتها ذكر بعضها بأسمائها، أو بوصفها فى مراجع متقدمة ككتاب سيبويه، والخصائص لابن جنى، والبيان والتبين للجاحظ، والصاحبى لابن فارس.

---

(١) فى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ص١٦ من الطبعة الخامسة.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: وأول ما ينبغى أن نقف عنده هو هذه الألقاب المأثورة لظواهر اللهجات، وما علاقتها بمدلولها؟ إن كثيرًا منها لا علاقة بين معناه اللغوى ومعناه الاصطلاحى، فالكسكسة صفة خِلقية تعنى قصر الأسنان، أو نقص الفك الأعلى عن الفك الأسفل، ولا علاقة بين هذه فى المعنى وبين قلب الكاف سينا، أو زيادة السين بعد الكاف فى ألسنة بعض القبائل العربية، وقس على ذلك الكشكشة، والعجرفية، والقطعة، والتلتلة، والوهم، واللخلخانية ... إلخ "[١].

وقد عبّر الدكتور رمضان عبد التواب عن هذه الألقاب تعبيرًا جيدًا فقال: "وقد درج اللغويون العرب، على تلقيب كثير من اللهجات العربية بلقب يدور فى مؤلفاتهم، ويحاولون شرح تلك الألقاب، فيغمض بعضهم، ويختلفون فيما بينهم فى عزو هذا اللقب أو ذاك، إلى هذه القبيلة أو تلك.

وأغلب الظن أن العرب لم تكن تعرف هذه الألقاب للهجاتها من الجاهلية، وأن المسئول عن تلقيب كل لهجة بلقب معين، وهو رجل من "جَرم" لم تذكر المصادر اسمه، وكان ذلك فى مجلس من مجالس معاوية بن أبى سفيان، وأقدم أخبار هذا المجلس، يرويه الجاحظ فيقول: "وقال معاوية يوما: من أفصح الناس؟ فقال قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، وتيامنوا عن كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قضاعة، ولا طمطمانية حمير. قال: من هم؟ قال: قريش، قال: ممن أنت؟ قال: من جَرم. قال: اجلس، قال: اجلس "... ومع اختلاف هذه الروايات السابقة، فى عدد القبائل والألقاب، ونسبة هذه الألقاب إلى القبائل، فإنها تتفق جميعا فى أن قريشا هى القبيلة الفصحى، وهى التى تباعدت عن الاتصاف بهذه الألقاب المذكورة فى تلك الروايات".

ونبادر هنا فنقول: من الطبيعى أن نرى فروقا لغوية فى هذه اللهجات، سجلتها المصادر العربية القديمة، وهى تمثل السمات الخاصة بلهجات القبائل التى تنتسب إليها. وسوف نعرض لاحقا لأهم هذه الظواهر كما سجلها علماء

---

(١) فى التطور اللغوى ص٥٤-٥٥ من الطبعة الثانية ١٩٨٥م .

اللغة المحدثون، ونقسمها حسب مستويات اللغة فى العصر الحديث، ملتزمين بالترتيب الهجائى لكل قسم فى داخله .

(١) الظواهر الصوتية والصرفية فى اللهجات العربية:

الأساس الذى يميز بين اللهجات هو الجانب الصوتى فى المرتبة الأولى، أى أن اللهجات المختلفة تتفق فى كل شىء ما عدا بعض الصفات الصوتية، التى تتصل بنطق صوت معين. وحسبنا أن نشير إلى ألقاب اللهجات العربية التى تعود إلى اختلاف بعض الأصوات فيها، فهى تمثل الكم الأكبر من اللهجات التى أشارت إليها مراجع اللغة القديمة. وسنلزم أنفسنا بالترتيب الهجائى فى ذكر هذه الظواهر الصوتية أو الصرفية. وسوف نكتفى بذكر الشائع منها فى بطون كتب اللغة.

أ- الاستنطاء:

هذه اللهجة تنسب إلى عدد من القبائل، فقد روى هذا اللقب منسوبا إلى لهجة "سعد بن بكر" وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار، كما روى أنه "لغة أهل اليمن".

وهى عبارة عن جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء. وهذا هو تعريف الاستنطاء فى المصادر العربية، غير أنها لم تمثل له إلا بمثال واحد، وهو: (أنطى) بدلا من (أعطى).

وهذا المثال الواحد يؤكد أن الاستنطاء ليس ظاهرة عامة عند القبائل العربية التى رُوى عنها، وإنما هو خاص بكلمة (أعطى) وحدها.

ويمكن جعل تعريف الاستنطاء على هذا النحو : قلب العين الساكنة فى الفعل (أعطى) نونا، ليكون (أنطى) وعليه قراءة: (إنا أنطيناك الكوثر)، وحديث الدعاء: (لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت)، وحديث: (اليد المنطية خير من اليد السفلى).

وهذا الإبدال فى كلمة (أعطى) نراه شائعا فى اللهجات العربية الحديثة

وبخاصة لدى أهل العراق، وأهل الأعراب بصحارى مصر.

وتفسير هذه الظاهرة فى ضوء القوانين الصوتية صعب وعسير؛ لأن العين والنون يختلفان فى كثير من الصفات الصوتية الخاصة بكل منهما، وإن كان يجمعهما عند بعض العلماء أنهما من الأصوات المتوسطة بين الرخاوة والشدة.

ومن المعلوم أن مصطلح (الاستنطاء) مشتق من مزيد الفعل (أنطى) الذى هو محور الظاهرة.

ويبقى السؤال عن السر الحقيقى فى إبدال العين نونا فى هذه الكلمة العربية (أعطى) عند بعض القبائل العربية.

ويأتينا الجواب لدى الدكتور رمضان عبد التواب الذى يفترض أن كلمة (أنطى) هى افتراض من أخوات العربية لفعل سامى قديم هو (نطا)، قال: "إننا إذا رجعنا إلى اللغات السامية، لنبحث فيها عن مقابلة كلمة: (أعطى) وجدنا فى العبرية أى نون وتاء ونون، وفى السريانية مع إدغام النون الأولى فى التاء، والنون الثانية فى لام الجر. ولعلّ ما حدث فى لغة هذه القبائل، التى روى عنها الاستنطاء هو عملية نحت لما فى هاتين اللغتين واللغة العربية، فأخذ فاء الفعل من العبرية والسريانية، وبقيت عينه ولامه كما هما فى العربية[(١)].

أما الدكتور إبراهيم السامرائى فيرى أن الفعل: "أنطى" مأخوذ من الفعل: "أتى" بمعنى أعطى، الذى دخله التضعيف فصار "أتىُّ" وحين فك الإدغام بالنون فصار: "أنتى" ثم أبدلت التاء طاء فصار الفعل ينطق (أنطى). قال: "وملاك الأمر فى هذه "النون" أنها لم تكن مقابلة للعين فى "أعطى" وإنما جاءت من أن الفعل كان "أتى" بمعنى أعطى، ثم ضعف الفعل فصار "أتى" بتشديد التاء. ومعلوم أن فك الإدغام فى العربية وفى غيرها من اللغات السامية يقتضى إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين ... وعلى هذا "أتىّ" بتشديد التاء تصبح "أنتى"

(١) فصول فى فقه العربية ص١٢٢ .

بفك الإدغام، ثم يحصل إبدال الطاء من التاء"(١).

ويترجح لدينا وجود علاقة دلالية بين الأفعال: "أعطى أنطى، أتّى، آتى" وكلها متفرعات من مادة لغوية واحدة تعنى الإتيان، وصارت كل كلمة تمثل مرحلة من مراحل تطورها فى العربية وأخواتها. ويؤكد ما ذهبنا إليه هنا القراءة القرآنية لابن مسعود : (وأنطاهم تقواهم) فى قوله تعالى: (وآتاهم تقواهم)، ولعل هذه القراءة تكون بابا لتفسير صوتى معقول فى هذه الكلمة، وما زال العراقيون حتى يومنا هنا يستعملون اللفظة، فيتخاطبون فيما بينهم فى الهاتف مثلا، ويقول: (أنطينى الخط) و(انطينى رقمك الجوّال) وهكذا.

ب- التلتلة:

جاء فى كثير من المصادر العربية أن هذه الظاهرة (كسر حرف المضارعة) هى لقب لقبيلة بهراء، ولكن ابن منظور عزاها إلى كثير من القبائل العربية، فقال: "وتِعلم، بالكسر، لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعة، وعامة العرب. وأما أهل الحجاز، وقوم من أعجاز هوازن، وأزد السراة، وبعض هذيل، فيقولون: تَعلم، والقرآن عليها. وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا تِعلم بالكسر(٢).

وكما اختلف الرواة فى نسبتها إلى عدة قبائل حتى نسبت لعامة العرب، فقد اختلفوا فى تحديد حرف المضارعة المكسور، فهل هو التاء فحسب، أو هو التاء والنون كما يقال "نِستعين" أو هو كل أحرف المضارعة؟

والذى نرجحه أن كسر أحرف المضارعة قد جاء إلى هذه القبائل تأثرًا بالأمم السامية المجاورة التى تطور فيها النطق فيها إلى الكسر منذ العصور المبكرة فى التاريخ. ومن المعلوم أن أحرف المضارعة الثلاثة (الياء والتاء والنون) حركتها الكسرة الصريحة، فى حين أن الهمزة حركتها الكسرة الممالة التى هى أقرب إلى الفتح.

---

(١) فقه اللغة المقارن ص٢٥٨ .

(٢) فصول فى فقه العربية ص١٢٤ .

وكسر أحرف المضارعة الثلاثة لها ما يسوغها فى الدراسات الصوتية، فهى من أصوات مقدم الفم، والكسرة حركة أمامية يسهل البدء بها مع الأصوات المتقدمة، ولكن الهمزة صوت حنجرى، أقرب إلى منطقة الفتحة، ولذلك يفتح حرف المضارعة الذى بعده همزة مثل (تأكل) أى أن الكسر هو الشائع مع أحرف المضارعة، ولا يكون الفتح أو الضم إلا بسبب صوتى.

ويؤيدنا فى هذا الرأى أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب فى مقولته: "وهذه الظاهرة سامية قديمة، توجد فى العبرية والسريانية والحبشية. والفتح فى أحرف المضارعة حادث فى رأيى، فى العربية القديمة بدليل عدم وجوده فى اللغات السامية الأخرى، وبدليل ما بقى من الكسر فى بعض اللهجات العربية القديمة.

وهناك دليل ثالث، على أصالة الكسر فى حرف المضارعة وهو استمراره حتى الآن فى اللهجات العربية الحديثة كلها، إذ نقول مثلا: "مين يقرا ومين يسمع" بكسر حرف المضارعة فى لغة التخاطب اليومية . ولم يبق فتح حرف المضارعة فى اللهجات الحديثة، فيما أعلم، إلا فى لهجة نجد، إذا كانت فاء المضارعة ساكنة، مثل: يَرْمى، ويلعب، ويركض. ولا يكسر حرف المضارعة فى هذه اللهجة إلا إذا كان ما بعده متحركا، مثل: يِسوق، ويِسابق، ويِلاكم، ويِهاوش، وغير ذلك[1].

ولدينا نصوص رواها الثقات تمثل ظاهرة كسر حرف المضارعة فى العربية الفصحى فى الفعل المضارع (إخال) ومن ذلك قول أبى سلمى:

وما أدرى وسوف إخال أدرى ... أقوم آل حصن أم نساء

وقول العباس بن مرداس:

قد كان قومك يحسبونك سيِّدا ... وإخال أنك سيِّد معيون

وبقيت هذه الظاهرة اللغوية ممتدة حتى شاعت فى اللهجات العربية الحديثة،

---

(١) فصول فى فقه العربية ص١٢٥ .

وسمعنا من يقول: "تِقدر تيجى نلعب زيّ ما غيرنا بيلعب" ومن أمثلتها فى فلسطين قولهم: إنت تدرى .. وتعرف إنك شاكر . إنت لازم تِسرى من الصبح ويشترى من السوق ما تريد.

ج- الطّمْطمانية:

هذه الظاهرة ينسبها الرواة إلى قبيلة حمير اليمنية، وعرفت هذه الظاهرة بهم ونسبت إليهم، يقال: طمطمانية حمير. وهى: نطق أداة التعريف (أم) فى مقابل نطقها (أل) فى العربية الفصحى. وقد روى لها شاهد قول رسول الله ﷺ : "ليس من أمبر أمصيام فى أمسفر" حين خاطب وفدا يمنيا بلهجتهم والحديث فى أصله: (ليس من البر الصيام فى السفر).

كما روت كتب النحو قول أحد الشعراء الطائيين:

ذاك خليلى وذو يواصلنى يرمى ورائى بأمسهم وأمسلمة

وما زالت هذه الأداة (أم) مستخدمة فى تعريف الأسماء فى مناطق يمنية حديثة حسبما أفادنى طلابى من اليمن، وقد سمعت أحدهم يقول: امسجد، امدرسه ويقصد: المسجد، المدرسة. ولدينا فى مصر كلمة (امبارح) والمقصود: (البارحة).

والتفسير الصوتى لهذه الظاهرة هو أن اللام والميم من الأصوات المتوسطة، وسهل التبادل بينها فى العربية وحدها وبين العربية وأخواتها من اللغات السامية.

د- العجعجة:

ينسب هذا اللقب إلى قبيلة قضاعة، ومكانها أقصى الشمال الشرقى من الجزيرة العربية، وهى من القبائل البدوية التى نجد فى نطقها خلافا عن سنن الفصحى.

والعجعجة هى قلب الياء الساكنة، ومن ذلك قول الشاعر:

خالى عُويفٌ وأبو علجّ المطعمان الضيف فى العشجّ

وتفسير ذلك صوتيا وجود علاقة قوية بين الياء والجيم، وكلاهما من أصوات وسط الحنك، وكلاهما مجهور، والفارق بينهما أن الياء من الأصوات

المتوسطة، أما الجيم فهى صوت شديد.

وقد جمع سيبويه بين مخارج الياء والجيم والشين، وأطلق المحدثون على هذه الأصوات الثلاثة اسم الأصوات الغارية نسبة إلى غار الفم.

وقد علق الدكتور رمضان عبد التواب على عجعجة قضاعة بقوله: "غير أن الباحث فى كتب اللغة يعثر على أمثلة كثيرة أبدلت فيها الياء المخففة جيما؛ يقول ثعلب: "أبدلت من الياء الجيم فى التشديد لقرب مخرجها، ولا بأس أن تجئ فى الياء المخففة، مثل: حجتى. وأنشد:

يـــــا ربّ إن كنــــــت قبلــــــت حجــــــتج

فــــــلا يــــــزال شــــــاحج يأتيـــــك بــــــج

يريد هذا الراجز: حجتى، ويأتيك بى، وهى أمثلة الياء المتكلم وهى ليست ياء مشددة[١].

وهذه الظاهرة نراها موجودة فى عصرنا الحاضر، فى بعض قرى العراق، وبعض بلدان الخليج العربى، إذ يقولون فى نطق (مسجد) مثلا: (مَسْيِد) وفى: (دجاج): (دياى) وهكذا.

هـ- العنعنة:

ذهب ابن فارس إلى نسبة العنعنة إلى تميم، وقال فى باب اللغات المذمومة: "أما العنعنة التى تكثر فى بنى تميم فقلبهم الهمزة فى بعض كلامهم عينا، يقولون : سمعت عن فلانا قال كذا، يريدون "أن . [٢] "وجاء فى مجالس ثعلب عند الحديث عن فصاحة قريش : "ارتفعت قريش فى الفصاحة عن عنعنة تميم ... فأما عنعنة تميم فإن تميما تقول فى موضع أنّ عنّ، تقول: عَنّ عبد الله قائم"[٣].

---

(١) فصول فى فقه العربية ص١٣١ .

(٢) الصاحبى لابن فارس ص٣٥ .

(٣) الخصائص لابن جنى ١١/٢ .

ويفهم من مصطلح "العنعنة" أنه مأخوذ من تكرار الأداة التى تحدث فيها الظاهرة وهى (أن) التى تنطق لدى تميم (عن)، وهذا يعنى قصور الظاهرة على هذه الأداة. ويبدو أن العرب توسعوا فى هذه الظاهرة، فلم يقصروها على تميم، بل نسبها الفراء إلى تميم وقيس وأسد ومن جاوره[١]. وجعلوا إبدال الهمزة عينا يرد فى أول الكلمة أو وسطها أو فى آخرها، وصرح بذلك السيوطى فقال: "... ومن ذلك العنعنة، وهى فى كثير من العرب فى لغة قيس وتميم، تجعل الهمزة المبدوء بها عينا، فيقولون فى أنك (عنّكَ)، وفى أسلم (عسلم) وفى (أذن) (عُذن) [٢].

وليس بغريب أن يحدث الإبدال بين الهمزة والعين، نزوعا إلى إظهار صوت حنجرى مهموس هو الهمزة فى صورة صوت حلقى قريب منه، ولكنه مجهور، وهو العين.

ومن المعلوم أن (الهمز) صفة بدوية، كانت فاشية فى تميم ويبدو لى أن إبدال الهمزة عينا وراءه الحرص على تحقيق الهمزة والمبالغة فى نطقها، كما يفعل أهل الصعيد يقولون: (لع) بدلا من (لأ). والسودانيون ينطقون: (أسعل سعال) يريدون: أسأل سؤال وفى أريا فى فلسطين يقولون: بدّى أسعلك، أى: أريد أن اسألك.

وهكذا يبدو لنا أن هذه الظاهرة تتفق والطبيعة البدوية التى تحرص على جهر الصوت، فتنطق العين مكان الهمزة، ونسب هذا إلى بنى تميم الذين يحرصون التحقيق الكامل الهمزة. ولعل هذا الإبدال نراه عاما فى كل همزة، عند تميم ومن جاورهم.

و- الفحفحة:

ينسب هذا اللقب إلى قبيلة هذيل، باتفاق جميع اللغويين، ويراد بها قلب

---

(١) اللسان مادة عنن .

(٢) المزهر للسيوطى ٢٢٢/١ .

الحاء عينا. وقد قرئ به فى القرآن الكريم فى قوله تعالى "عتى حين" بدلا من "حتى حين" وقد روى عن عمر بن الخطاب ﷺ لما بلغه أن ابن مسعود ﷺ يقرئ الناس (لَيَسْجُنُنَّهُ عَتَّى حِينٍ) كتب إليه: "إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش"[١]. وفى هذا النص ما يوضح نسبة "حتى" إلى قريش و"عتّى" إلى هذيل.

وقد تحدث الدكتور عبد الصبور شاهين عن اقتصار هذه الظاهرة على مثال واحد يتيم، وهى نطق هذيل لكلمة (حتى) (عتى) بالعين بدلا من الحاء قال: "وقد حاولنا من خلال تتبعنا لقراءة عبد الله بن مسعود، الصحابى الجليل، وهو هذلىّ أيضا، أن نجد فى قراءته ما يؤيد هذه الظاهرة الصوتية فإذا نحن لا نعثر إلا على قراءته: "عتىّ حين" فى: "حتى حين".

والغريب أنه يقلب حاء (حتى) ويترك حاء (حين) دون قلب ... ومن اليسير على أية حال تفسير قلب الحاء عينا فى هذا المثال، فى بيئة هذيل، فهما صوتان متحدان فى المخرج، وهما أيضا رخوان احتكاكيان ولا يميز بينهما سوى الجهر فى العين، والهمس فى الحاء، فتحوّل الحاء فى (حتى) إلى (عتى) هو جهر أصابها فى هذه الكلمة"[٢] وصارت لدينا صورتان للكلمة، إحداهما تستخدم فى البيئة البدوية بالعين والأخرى حضرية بالحاء.

ولو قارنا (حتى) فى اللغة العربية بما يقابلها فى اللغات السامية فإننا نجد ما يقابلها فى العبرية (عد) وهى بالعين أيضا فى الآرامية والحبشية، وقد حرصت هذه اللغات الثلاث على استخدام صوتى الجهر العين والدال فى مقابل ما وجد فى العربية بالهمس وهما صوتا الحاء والتاء فى (حتى). وربما تأثر الهذليون بالنطق السامى القديم، حيث تسرّب إليهم من البلاد المجاورة.

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان ٣٠٧/٥ .

(٢) فى التطور اللغوى ص٥٧-٥٨ .

ز- القُطعة:

نسبها صاحب اللسان إلى طيىء حين قال: إن القطعة فى طيىء كالعنعنة فى تميم، وهو أن يقول: يا أبا الحكا، يريد يا أبا الحكم فيقطع كلامه"(١). وهذا النص منقول بنصه عن الخليل بن أحمد فى كتابه "العين" ويبدو أن الخليل بن أحمد ومن وافقه على هذا التنظير بين قطعة طيىء وعنعنة تميم إنما سببه الشيوع والانتشار لكل ظاهرة فى قبيلتها، ولا نجد شبها آخر لهذا التشبيه بينهما.

والقطعة بناء على هذا هى نوع من ترخيم اللفظ، كما ننطق بذلك فى لهجاتنا المعاصرة، ونقول: (ياوَل) بدلا من: (ياولد)، وبعض الناس يزيد فى الاختصار فيقول: (سلخى) بدلا من تحية المساء (مساء الخير) ولا يأتى هذا إلا نتيجة طابع السرعة فى الأداء الذى يسقط معه مقطع أو أكثر من نهاية الكلمة.

ح- الكشكشة أو الكسكسة:

تابعت كتب اللغة القديمة ما ذكره سيبويه الذى وصف ظاهرة الكشكشة بأنها إبدال الكاف شينا أو إلحاق الكاف شينا قال سيبويه: "فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان فى الوقف، لأنها ساكنة فى الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث، بهذا الحرف، كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون، حين قالوا: ذهبوا وذهبن وأنتم وأنتن، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها؛ لأنها مهموسة، كما أن الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموسا من الحلق؛ لأنها ليست من حروف الحلق، وذلك قولك: إنشي ذاهبة، ومالش ذاهبة، تريد: إنك ومالك... وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة فى الوقف، كما أبدلوها مكانها للبيان، وذلك قولهم: أعطيتكش، وأكرمتكش، فإذا وصلوها تركوها .. (٢).

ويفهم مما سبق ذكره أن الكشكشة تأتى على أربع صور:

---

(١) لسان العرب مادة قطع .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤/١٩٩-٢٠٠ .

أ- إضافة شين إلى كاف المؤنث فى الوقف فقط.

ب- إضافة شين إلى كاف المؤنث فى الوصل والوقف.

ج- إبدال كاف المؤنث شينا فى الوقف فقط.

د- إبدال كاف المؤنث شينا فى الوصل والوقف.

وهذه الصور الأربعة المتقدمة ذكرتها الروايات المختلفة على أنها (الكسكسة) ولكن بأن تحل السين محل الشين. ولهذا ذهب بعض العلماء أن الكسكسة هى تصحيف وتحريف للكشكشة لأنه لا يعقل أن تنسب الظاهرتان إلى قبيلة واحدة وهى ربيعة[1] يقول الدكتور رمضان عبد التواب: "ولارتباط هذا اللقب (الكسكسة) بلقب (الكشكشة) ولخلط اللغويين أحدهما بالآخر نعالجهما علاجا واحدًا بعد عرض آرائهم فى (الكشكشة)... والآن وبعد أن انتهينا من سرد الروايات الخاصة بالكسكسة والكشكشة، فى بطون كتب اللغة والأدب فى العربية، نلاحظ ما يلى:

- تعزو الروايات التى بين أيدينا ظاهرتى الكسكسة والكشكشة أحيانا إلى قبيلة واحدة، كنسبة الفراء "الكسكسة" إلى ربيعة ومضر، والشائع هو نسبة "الكشكشة" إليهما... ويبدو أن المسئول عن هذا الخلط هو قبول الكلمة للتصحيف فى السين والشين.
- يبدو من مجموع الروايات أن ظاهرتى: "الكسكسة و"الكشكشة تتحصران فى أمرين: إلحاق الكاف المكسورة سينا (فى الكسكسة) وشينا (الكشكشة) أو إبدالها سينا أو شينا كذلك. والظاهر أن الأمر الأول تفسير من اللغويين لما سمعوه، ولم يستطيعوا كتابته، إذ إن هذه الكاف لم تلحق بسين أو شين، كما ظنوا، وإنما تحولت إلى صوت من الأصوات المزدوجة، المسماة باللاتينية Affricata ... وما تزال هذه الكسكسة، بتلك الصورة،

---

(١) فى اللهجات العربية د/ أنيس ص١٢٢ .

حية فى مناطق نجد من الجزيرة العربية، فقد سمعتهم يقولون مثلا: (تْسيف حالك) فى (كيف حالك ؟)، كما أن الكشكشة لا تزال مسموعة فى جنوبى العراق والكويت والبحرين، وبعض قرى محافظة الشرقية فى مصر إذ تسمعهم هناك يقولون: (تشلب) فى: (كلب) مثلا[1].

ويبدو أن اللغويين القدامى لم يجدوا رمزا كتابيا فى أبجديتهم يعبر عن الصوت المزدوج (تش) فرمزوا له بالشين فقط، صوت بين الجيم والشين. ومن هنا جاء مصطلح (الكشكشة) مأخوذ من الجمع بين المبدل منه والبدل فى بنية الكلمة، فالكاف هى (المبدل منه) والشين هى (البدل) وبذلك أمكن بناء المصطلح من تكرار المقطع (كش).

ط- الوتم:

يراد به نطق التاء فى موضع السين، لدى بعض القبائل اليمنية، كما روى "النات" فى "الناس" و"الأكياس" فى "الأكياس".

ومن السهل تفسير قلب السين تاء؛ لأنهما من الناحية الصوتية بينهما تناظر فى الرخاوة والشدة، فهما يتفقان فى المخرج، وهو الأسنان واللثة. كما أن كليهما مهموس ومرقق. ويتضح من ذلك أن الاختلاف فى شدة التاء ورخاوة السين.

ى- الوكم والوهم:

نسبت الظاهرتان إلى بنى كلب، وربيعة، وناس من بكر بن وائل وتعنى الأولى: كسر كاف الخطاب قبل ميم الجمع فى مثل: عليكُم وبكُم وتعنى الأخرى: كسر هاء الغيبة قبل ميم الجمع فى مثل: منهِم وعنهِم ففى هذه الأمثلة السابقة ينطبق ضمير الجمع بالكسر هكذا: كِم، هِم مخالفين بذلك لما عليه عامة العرب.

وتعليل هذه الظاهرة يخضع لقانون المماثلة بين الأصوات المتجاورة، إذ تأثرت ضمة الكاف أو الهاء بما قبلها من كسر أو ياء فقلبت كسرة، لتنسجم مع ما قبلها.

---

(١) فصول فى فقه العربية ص١٤٥-١٤٦ .

وربما كان هذا المسلك اللغوى لدى هذه القبائل العربية قد جاءهم من مجاورة المتحدثين باللغات السامية فى بلاد الشام والعراق، مثل: العبرية والآرامية، وكلتاهما آثرت الكسر فى ضمائر الغائبين والمخاطبين.

ولعل لهذه الظاهرة صلة بما روى عن العرب من كسر ما كان على وزن "فعيل" مثل: شعِير، وبعير، فيقولون: شعير، وبعير وهو سلوك واد على ألسنتنا الآن فى مثل: كبِير وسِجين وغيرهما.

ولدينا متفرقات لهجية أخرى صوتية وصرفية، نذكر منها:

- الاختلاف فى صيغة اسم المفعول من الأجوف. فالتميميون لا يحذفون العين فيقولون: مقوول ومبيوع وعامة العرب يقولون: مقول ومبيع.
- قلب الميم باء والباء ميما عند قبيلة مازن.
- الوقف على المؤنث بالتاء لا بالهاء فى لغة طيء واليمن.
- اختلاف الحجاز وتميم فى حركة عين المضارع فى الأفعال الثلاثية، فأهل الحجاز يقولون: يبطِش بالكسر، وتميم يقولون: يبطُش بالضم.

وقد لاحظ العلماء أن حركة العين هذه غير مستقرة فى اللهجات العربية؛ لأنها غير قياسية، وقد أدرك لغويا القدامى مثل هذا.

(٢) الظواهر النحوية فى اللهجات العربية:

بدأ البحث النحوى عند العرب فى مرحلة تالية لجمع اللغة، وهذا أمر بدهى، لأن وضع القواعد يؤخذ من مادة لغوية يقوم الدارس باستقرائها وفحصها. وكثير من الخلافات النحوية يمكن ردها إلى خلافات بين اللهجات. وأظهر ما يكون ذلك فى الإعراب خاصة إعمال الأدوات والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ- مجئ الخبر منصوبا بعد ما النافية فى لهجة الحجاز فى مقابل أن أهل تميم يبقون الخبر مرفوعا، وقد سرت هذه اللهجة الحجازية إلى اللغة المشتركة، وبها نزل القرآن الكريم: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ ولعل فى ذلك

إشارة واضحة إلى أن القرآن الكريم وحدّ اللهجات العربية، وجعل أهلها يقرؤون بما ورد فى المصحف.

ب- مجئ خبر ليس منصوبا مطلقا عند الحجازيين ومرفوعا فى لهجة تميم. إذ إن بنى تميم يحملون "ليس" على "ما" التى ينتقض نفيها بإلا، فتكف عن العمل فى مثل: (ليس الطيبُ إلا المسك).

وقد روى أن بعض العلماء أراد أن يمتحن أعرابيا من تميم على النصب فى مثل: (ليس الشراب إلا العسل) فلم يقو لسانه عليه. وفعل ذلك مع حجازىّ أراده على الرفع فلم يستطع أيضا.

ج- لزوم المثنى الألف فى جميع الحالات الإعرابية لدى قبيلة بنى الحارث بن كعب وبطون من ربيعة، وهذا يخالف ما عليه عامة العرب فى إعراب المثنى بالألف رفعا، وبالياء نصبا وجرا. ويبدو أن هذه المجموعة من القبائل سلكت هذا المسلك ذاته مع الأسماء الستة، فخالفت عن العامة وجعلتها بالألف دائما، وعلى هذه اللغة فى البابين وجه النحاة قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها ... قد بلغا فى المجد غايتاها

ويبدو أن بنى الحارث الذين التزموا الألف مع المثنى دائمًا يتفق هذا مع لغتهم التى كانوا يتحدثون بها فى اليمن، وهى اللغة العربية الجنوبية التى فقدت ظاهرة الإعراب، ومن ثم فإن إلزامهم المثنى حالة واحدة إنما هو لون من ألوان تأثرهم بلغتهم الأصلية.

د- يعرب التميميون أسماء الأعلام المؤنثة إذا كانت على وزن فعال إعراب ما لا ينصرف فيقولون: مررت بحذامَ، فى حين أن الحجازيين يلتزمون بالبناء على الكسر دائما. ويرى سيبويه أن لهجة التميميين تتفق والقياس دون اللهجة الحجازية، إذ يقول: "إن بنى تميم ترفعه وتنصبه

وتجريه مجرى اسم لا ينصرف، وهو القياس"[١].

هـ- إلحاق الفعل علامة التثنية أو الجمع إذا كان الفاعل مثنى أو جمعا، وهو ما يعرف بـ (لغة أكلونى البراغيث) أو تسمية ابن مالك لها بجزء من الحديث النبوى الشريف (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار).

وقد نسب هذا النمط إلى عديد من القبائل العربية، منها قبيلة طيىء وبنى كعب وأزد شنوءة، فى حين أن العربية المشتركة يسود فيها إفراد الفعل مع الفاعل أيا كان نوعه، ولذلك نجد أنفسنا أمام نمطين مختلفين فى تركيب الجملة التى يكون فاعلها مثنى أو جمعا على النحو التالى:

- النمط الأول تمثله اللغة العربية المشتركة هكذا.

الفعل + الفاعل مثنى أو جمعا، مثل:

نجح الطالبان – نجح الطلاب – نجحت الطالبات

- النمط الثانى: الفعل + علامة التثنية أو الجمع + الفاعل، مثل:

نجحا الطالبان – نجحوا الطلاب – نجحن الطالبات

وهذه الظاهرة واردة فى الشعر الجاهلى والقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، وهى شائعة فى أخوات العربية كالعبرية، والآرامية، والحبشية، وهذا مما يؤكد أصالة الظاهرة، ويفسر وجودها فى العاميات المصرية قى مثل: عزمونا الجيران، فهمونا الناس، ظلمونى الحبايب.

وكان على النحاة الذين جاءوا بعد سيبويه أن يتنبهوا إلى أنه لا فرق بين الواو فى (نجحوا الطلاب) والألف فى (نجحا الطلاب) وبين التاء فى (نجحتْ فاطمة)، وكان عليهم توحيد منهجهم، إما بجعل تاء التأنيث ضميرا متصلا، فتعرب فاعلا، وإما بجعل الواو والألف علامتان للجمع والتثنية كالتاء هى علامة للتأنيث، وليستا ضميرًا يعرب فاعلا حين يكون الفاعل اسم ظاهر مجموع بعدهما.

---

(١) انظر: الكتاب ٤٠/٢ .



ملخص الوحدة الثانية



١- اللغة العربية المشتركة هى التى وردت إلينا نصوصها ممثلة فى الشعر الجاهلى والأمثال العربية القديمة، وما روى عن خطباء العرب كما تشمل أيضا نصوص القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وأقوال الصحابة وخطبهم ووصاياهم- رضوان الله عليهم أجمعين-.

٢- اللهجات العربية القديمة هى التى كان يتعامل بها أفراد القبائل المختلفة فى حياتهم اليومية وأحاديثهم ذات الطابع المحلى.

٣- لغة قريش كانت يوما ما إحدى اللهجات العربية قبل أن تتغلب عليها قبيل الإسلام، وأصبحت سيدة اللهجات بما انتقته من ألفاظ وتراكيب من هذه اللهجات، وبما توفر لها من عامل دينى، واقتصادى، وسياسى، ولغوى.

٤- اللغة الأدبية النموذجية لا تنتمى صفاتها أو عناصرها إلى بيئة محلية بعينها، فهى ليست لغة قبيلة بعينها، بل هى مزيج من لغات القبائل صارت له شخصيته واستقلاله عن كل اللهجات العربية.

٥- اللهجة هى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة معينة، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

٦- العلاقة بين اللغة واللهجة هى علاقة العام بالخاص أو الجزء بالكل، فاللغة تشتمل على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها.

٧- الأساس الذى يميز بين اللهجات هو الجانب الصوتى فى المرتبة الأولى؛ ولذلك نجد ألقاب اللهجات العربية أساسها إبدال حرف مكان آخر كإبدال العين نونا أو الحاء عينا، أو كسر حرف المضارعة، ولذلك من النادر أن يكون وراء اللهجة تغيير البنية الصرفية أو التركيب النحوى، كما فى لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة).

أسئلة على الوحدة الثانية

أولاً- أسئلة نظرية:

س١- هل تجد صلة بين العربية الفصحى واللهجات العربية؟ ولماذا.

س٢- ما مفهوم اللهجة؟ وكيف عبر العلماء القدامى عنها؟

س٣- ما العوامل التى ساعدت لهجة قريش على سيادة اللهجات العربية؟

س٤- ما الرأى الصحيح حول تكوّن اللغة الأدبية المشتركة؟

س٥- النظام الصوتى فى اللغة الأدبية المشتركة نظام متكامل. وضح ذلك.

س٦- استخدم مصطلح (اللغة) فى التراث العربى استخدامات عديدة. وضح ذلك.

س٧- ما العلاقة بين اللهجة واللغة؟

س٨- وضح المقصود بالظواهر اللهجية التالية، وإلى أى قبيلة تنسب؟

- الاستنطاء - التلتلة - الكشكشة

ثانيًا- أسئلة تطبيقية:

س٩: ضع علامة (صح) أو (خطأ) بين القوسين، مع ذكر السبب.

١- ليس من السهل التفرقة العلمية بين اللغة واللهجة.

٢- لهجة قريش أقل اللهجات العربية ثروة لغوية.

٣- نزل القرآن بلغة قريش وحدها، ولم ترد فيه لغات أخرى.

٤- العلاقة بين اللغة واللهجة هى علاقة التضاد بينهما.

٥- اللغة العربية المشتركة لا تنتمى صفاتها إلى بيئة مجلية.

٦- مصطلح (اللغة) تأخر ظهوره بين العرب إلى ما بعد صدور الإسلام.

٧- علماء العربية القدامى أدركوا حقيقة مصطلح (اللهجة) ولكنهم عبروا عن اللغة.

٨- التلتلة هى فتح أحرف المضارعة لدى أهل الحجاز.

٩- الاستنطاء هو إبدال اللام الساكنة نونا.

١٠- الفحفحة هى إبدال كل حاء عينا لدى قبيلة هذيل.

النمط الثانى:

س١٠: ضع خطًا تحت الإجابة الصحية فيما يأتى مع ذكر السبب:

١- التفريق بين اللغة واللهجة من الناحية العلمية: محدد – نسبى – معلوم.

٢- الاتجاه القوى فى دراسة اللغة هو: التوحد اللغوى– الانقسام والتوزيع.

٣- اللغة النموذجية المشتركة فى اللغة العربية تنسب إلى: لغة قريش وحدها– لغة تميم وما جاورها– بيئات الجزيرة العربية.

٤- من مصادر اللهجات العربية القديمة: المعلقات السبع– القراءات القرآنية– المعرّب والدخيل.

٥- الاستنطاء من اللهجات العربية القديمة، ويراد به: إبدال العين حاء– إبدال الحاء عينًا– إبدال العين الساكنة نونًا إذا جاورت طاء.

٦- ظاهرة الجعجعة إحدى الظواهر اللهجية، المقصود بها: إبدال الياء جيمًا– إبدال لام التعريف ميمًا– قطع اللفظ قبل تمامه

☑ نموذج إجابة

إجابة السؤال الأول:

نعم. هناك صلة قوية بين العربية الفصحى واللهجات العربية، ولدينا شواهد من لغة تميم كتحقيق الهمز الذى وجد فى العربية الفصحى، وبها نزل القرآن الكريم.

إجابة السؤال الثانى:

اللهجة لغة: من الفعل (لهج) بمعنى امتص اللغة من مخالطيه كما يتلقى الفصيل اللبن من ضرع أمه.

واللهجة اصطلاحا: هى مجموعة من الصفات اللغوية التى تنتمى إلى بيئة معينة، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

إجابة السؤال الثالث:

هناك العامل الدينى، والعامل الاقتصادى، والعامل السياسى، والعامل اللغوى المتمثل فى اتساع الثروة اللغوية للهجة قريش بعد احتكاكها دينيا واقتصاديا وسياسيا مع ناطقى اللهجات الأخرى.

إجابة السؤال الرابع:

هناك رأى يقول: لهجة قريش هى التى أصبحت اللغة الأدبية النموذجية التى يتحدث بها الشعراء والأدباء فى مجالسهم، ولكنّ الرأى الصحيح هو أن اللغة الأدبية الموحدة أخذت من القبائل العربية كلها، ويبدو أن لغة قريش كانت النواة الأولى لظهور اللغة الموحدة بعد أن اختار أهلها أفضل ما لدى القبائل العربية.

إجابة السؤال الخامس:

النظام الصوتى فى لغتنا العربية نظام متكامل إذا قورن بالنظام الصوتى فى سائر اللغات السامية، فهو نظام يتميز بوجود أصوات الحلق كاملة وأصوات الإطباق كاملة، وأصوات ما بين الأسنان؛ مما يؤكد تفرد العربية بهذه الأنواع من الأصوات.

إجابة السؤال السادس:

- لمصطلح (اللغة) استخدامات عديدة فى التراث العربى.
- اللغة معناها: اللهجة، كما ذكر ذلك ابن جنى فى خصائصه عن اختلاف اللغات.
- اللغة يراد بها: اللغة الإنسانية بوجه عام، كحديث ابن جنى عن نشأة اللغة.
- اللغة يراد بها: طريقة النطق لبعض الكلمات، يقال: تقع فى الكلمة الواحدة لغتان كقولهم: الحَصاد والحِصاد..
- اللغة مضاف إلى قوم لتدل على اللهجة كأن يقال: لغة قريش، لغة تميم.

إجابة السؤال السابع:

هى علاقة الخاص بالعام، والجزء بالكل، وكل لغة تشتمل على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، واللهجة يكثر المتكلمون بها تصير لغة مستقلة تختلف عن بقية اللغات.

إجابة السؤال الثامن:

- الاستنطاء هو إبدال العين الساكنة نونا فى كلمة (أعطى) تصير (أنطى) كما فى القراءة القرآنية: (إنا أنطيناك الكوثر) وهو شائع فى العراق حتى اليوم. وقد نسب قديما إلى سعد بن بكر وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار، وروى أنه لغة أهل اليمن.
- التلتلة: يراد بها كسر حرف المضارعة، وقد عزاها ابن منظور إلى كثير من القبائل العربية، كما اختلف فى تحديد حرف المضارعة المكسور، هل هو التاء أم النون أم الياء أم هؤلاء الثلاثة، دون الهمزة، ويبدو أن هذه الظاهرة شائعة فى أخوات العربية كالعبرية والآرامية وهى تنسب إلى عدة قبائل عربية، وإن أضافوها فقالوا: تلتلة بهراء.

– الكشكشة: هى إبدال كاف المؤنثة فى الوقف شينا، أو إلحاقها شينا، وهو لقب نسب إلى ربيعة ومضر وبكر، وبعض من تميم وأسد يقال: (أعطيتكش) فى (أعطيتك)، و(ما لشِى)، بدلا من (مالك).

إجابة السؤال التاسع:

١- العبارة صحيحة؛ لأن التفريق بين اللغة واللهجة نسبى فقط، وكل لهجة هى جزء من اللغة، وحين ينعزل أهلها فترة من الزمن تصبح لغة. واللغة العربية الفصحى هى إحدى اللهجات العربية فى الأصل.

٢- العبارة خاطئة. والعكس هو الصحيح، لأن لهجة قريش هى أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة بما أخذته من اللهجات الأخرى، فصارت مفهومة بذلك لدى جميع القبائل.

٣- العبارة خاطئة؛ إذ إن القرآن الكريم نزل فى الأغلب بلغة قريش، وما استحسنته من اللغات الأخرى مثل تحقيق الهمز لدى تميم، ولذلك لا يمكن أن ننسب اللغة النموذجية المشتركة إلى قبيلة بذاتها وإنما هى للعرب جميعا.

٤- العبارة خاطئة، لأن العلاقة بينهما هى علاقة العام بالخاص وكل لهجة خاصة هى جزء من اللغة التى هى أعم وأشمل.

٥- العبارة صحيحة؛ لأن اللغة العربية المشتركة فوق مستوى العامة من الناس، وليس لغة قبيلة بعينها، بل هى مزيج من لغات القبائل العربية جميعا.

٦- العبارة صحيحة، لأن هذا المصطلح لم يرد ذكره فى القرآن الكريم مرة واحدة وإنما عبّر القرآن الكريم عن اللغة بمصطلح (لسان) ثمانى مرات، وهو المصطلح الذى ساد فى أخوات العربية كالعبرية والآرامية وغيرهما.

٧- العبارة صحيحة، فالعرب قديما لم يستعملوا كلمة (لهجة) وإنما استخدموا مصطلح (لغة) للدلالة على البيئة التى تنطق بصفات لغوية خاصة بهم، وصارت جزءًا من حياتهم العادية.

٨- العبارة خاطئة؛ لأن التلتلة هى كسر حرف المضارعة لدى بهراء، وقيل لدى جميع العرب عدا أهل الحجاز.

٩- العبارة خاطئة، لأن الاستنطاء هو إبدال العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء فقط فى مثل: أنطى بدلا من أعطى، وهذا ما يدل عليه لقب اللهجة (استنطاء) مصدر الفعل (استنطى).

١٠- العبارة خاطئة، لأن الفحفحة ظاهرة لهجية هذلية اقتصرت على إبدال الحاء عينا فى كلمة (حتى) فقط، كما فى قراءة ابن مسعود (عتى حين) بإبدال الحاء عينا فى (حتى) وبقائها كما هى فى (حين).

إجابة السؤال العاشر:

١- نسبى؛ لأن اللهجة متداخلة مع اللغة فى خصائصها اللغوية.

٢- التشعب اللغوى؛ لأن عوامل التوحد اللغوى أقوى من عوامل الانقسام فى اللغة.

٣- بيئات الجزيرة العربية؛ لأن القرآن الكريم، وهو أفصح اللغة النموذجية المشتركة. نزل بلغة قريش فى الأغلب وما استحسنته من القبائل الأخرى.

٤- القراءات القرآنية؛ لأن أغلب اللهجات العربية القديمة يمكن إرجاعها إلى لهجات عربية قديمة؛ ولهذا نزل القرآن على سبعة أحرف.

٥- إبدال العين الساكنة نونًا إذا جاورت طاء؛ لأن كتب التراث نصت على ذلك من خلال القراءة القرآنية (إنا أنطيناك الكوثر) وغيرها.

٦- إبدال الياء جيمًا؛ لأن هذه الظاهرة تنسب إلى قضاعة التى تبدل الياء جيماً كما فى (حجتج) بدلاً من (حجتى).

قائمة بأهم مصادر الوحدة الثانية

١- فصول فى فقه العربية — د. رمضان عبد التواب

٢- علم اللسان العربى — د. عبد الكريم مجاهد

٣- الفصحى ولهجاتها — د. عبد الفتاح البركاوى

٤- دراسات فى اللغة العربية — د. فتحى محمد جمعه

٥- علم اللغة العربية — د. محمود فهمى حجازى

٦- فى التطور اللغوى — د. عبد الصبور شاهين

٧- الصاحبى فى فقه اللغة — لابن فارس

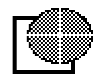
٨- فى اللهجات العربية — د. إبراهيم أنيس

٩- الكتاب لسيبويه — تحقيق أ/ عبد السلام هارون

١٠- المزهر فى علوم اللغة للسيوطى — تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين

١١- الخصائص لابن جنى — تحقيق محمد على النجار

١٢- فقه اللغة المقارن — د. إبراهيم السامرائى



الوحدة الثالثة

مصادر اللغة العربية

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغى أن يكون الدارس قادرًا على أن:

١- يعرف مفهوم مصادر اللغة العربية وماهيتها.

٢- يوضح بعض الجوانب الغامضة حول مصادر الاحتجاج اللغوى.

٣- يحرر القول فى مصدرين مهمين هما: القراءات القرآنية والحديث الشريف.

٤- يقف على امتداد جهد العرب فى التأثير على الشعوب الأخرى بوفرة مصادر اللغة لديهم.

العناصر:

١- القرآن الكريم.

٢- القراءات القرآنية.

٣- الحديث النبوى الشريف.

٤- الشعر.

٥- النثر.

يقصد بها المادة اللغوية الموثقة التى اعتمد عليها اللغويون والنحاة فى تقعيد اللغة، ووضع الضوابط والمعايير الخاصة باللغة العربية، سواء أكان ذلك فى المعاجم العربية بتحديد معانى المفردات واستعمال الكلمات، أو فى كتب النحو والصرف التى استخلصت ضوابطها وقواعدها من لغة العرب.

والناظر فى كتب اللغة والنحو يجد أن اللغويين القدامى والنحاة قد صاغوا قواعدهم واستدلالاتهم بناء على أقوال العرب الموثوق فى لغتهم، فاحتجوا بأقوالهم

واستشهدوا بشواهدهم.

ومن المعلوم أن الرواة حين ارتادوا أماكن القبائل لجمع مفردات اللغة وشواهدها فرقوا بين القبائل فى درجة الفصاحة فرفضوا الأخذ عن تلك القبائل المتطرفة التى كانت مساكنها حدود الجزيرة العربية، فلم يأخذوا عن قضاعة لمجاورتها بلاد الرومان واحتمال تأثرهم بلغة الروم فى حدود سوريا وفلسطين. كما رفضوا الأخذ عن تغلب والنمر لقربهم من أرض الجزيرة وتأثرهم بالفارسية واليونانية. كما أنكروا الفصاحة على بكر لاتصالهم بالفرس والنبط. وقالوا أيضا: إن اختلاط اليمن بالحبشة قد أضعف من فصاحتهم، وإن اتصال لخم وجذام بمصر قد جعل لغتهم موضع الشك، فلا يحتج بها فى الروايات اللغوية(١).

ومن الثابت لدينا أن القرآن الكريم هو كتاب العربية الأول، والنص الصحيح الأوحد، الذى وصل إلينا سليما من عبث الزمان والوضاع. ووجود هذا النص القرآنى فى يد دارس العربية يعدّ مزية عظمى، فهو الوثيقة اللغوية الصحيحة التى مضى عليها أربعة عشر قرنا؛ ولذلك اهتم العلماء القدامى بدراسة القرآن وجعله أساسا لدراسة العربية الفصحى، وإن كانت جهود القدماء فى الاستشهاد اللغوى بالقرآن أقل كثيرًا من اهتمام الباحثين الغربيين بنصوصهم المقدسة.

والعجب أن كثيرًا من نحاة العربية لم يعرجوا على الآيات القرآنية ليستشهدوا بها بدلا من بيت مجهول أو مصنوع، ولو أنهم استشهدوا بالقرآن لرجعوا إلى النص الصحيح الأقدم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما أن الفائدة الأعم تعود على طالب النحو الذى يستشهد بالنص القرآنى، لأنه سيحفظه ويقوم لسانه، وينمى فيه الحس اللغوى.

وكان من أثر هذا أن اتصل الدين باللغة اتصالا وثيقا فى العصور الإسلامية كلها، وكان الباعث على جمع الشواهد اللغوية وتقعيد اللغة هو ضبط نصوص القرآن الكريم، وتعليم الطلاب لغة القرآن الكريم. وقد بدا ذلك واضحا

---

(١) المدخل إلى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية. د. عبد المجيد عابدين ص٤٥-٤٦ مايو ١٩٥١ .

فى مناهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية حيث المزج بين المعارف الدينية واللغوية، فى الكتاتيب والمساجد والمدارس المنتظمة فيما بعد.

وقد حدد اللغويون مصادرهم للغة فى خمسة هى:

١- القرآن الكريم.

٢- القراءات القرآنية.

٣- الحديث النبوى الشريف.

٤- الشعر.

٥- النثر.

وسوف نتناول بالحديث عن كل مصدر منها على حدة موضحين فى كل مصدر دوره فى الاحتجاج والاستشهاد والتوثيق اللغوى، ومدى التفاوت من الناحية العملية بين مصدر وآخر، فلم يكن الاعتماد على هذه المصادر بدرجة متساوية.

أولاً- القرآن الكريم:

القرآن لغة: مصدر الفعل الثلاثى (قرأ) بمعنى: تلا، كالرّجحان والغفران، ثم نقل هذا المعنى المصدرى، وصار يدل على الكتاب الذى أنزله الله تعالى على نبيه عليه السلام، معجزة باقية على مدى الدهر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن ذلك المعنى المصدرى قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أى: قراءته – وهذا هو الرأى الراجح، وهناك آراء أخرى نذكرها للإفادة.

قيل: إن القرآن وصف على (فعلان) مشتق من (القُرء) بمعنى: الجمع، يقال فى اللغة: قرأت الماء فى الحوض: أى جمعته فيه وسمى به كتاب الله؛ لأنه يجمع الآيات والسور فيضمها إلى بعض، أو لأنه يجمع القصص والأوامر والنواهى، وغير ذلك.

وقيل: إن القرآن مشتق من قرنت الشىء بالشىء إذا ضممته إليه، وسمى القرآن به لأن الآيات والسور قرن فيه. وقيل: إنه مشتق من القرائن، لأن الآيات

فيه يصدق بعضها بعضا، ويشابه بعضها بعضا، وهى قرائن: أى أشباه ونظائر[١] ولفظ القرآن على هذين القولين الأخيرين النون فيه أصلية.

والقرآن اصطلاحًا: هو الكلام المعجز المنزل على النبى محمد ﷺ، المكتوب فى المصاحف، المنقول، بالتواتر، المتعبد بتلاوته[٢].

وللقرآن الكريم منزلة سامية فى نفوس أولئك الذين هداهم الله إلى الإسلام، وهؤلاء حريصون على المحافظة على القرآن الكريم فى ألفاظه وتراكيبه، لتظل المعجزة باقية على وجه الدهر، وارتبط الحفاظ على القرآن الكريم بالحفاظ على اللغة العربية؛ لأنها المرجع فى حفظه والسبيل إلى فهمه، وصار كل عدوان على اللغة العربية يعدّ عدوانا على القرآن الكريم، وكل تكريم لها وإشادة بها هو تكريم له وإشادة به، ولعلّ هذا هو سر مهاجمة الملحدين للغة العربية، والتشكيك فى ماضيها، فهم يرون أن هذا سبيل قريب أو بعيد للنيل من القرآن.

ولم يوجد خلاف بين النحويين على أن القرآن الكريم هو عنصر الاستشهاد الأول فى اللغة العربية بوصفه أفصح أساليب العربية على الإطلاق، الذى لم يطرأ عليه تعديل وتغيير، وبناؤه المحكم سجل قيم لظواهر العربية الفصحى، وكان على النحاة أن يجعلوه الأساس الأول فى شواهدهم النحوية وأن يعتمدوا نصوصه قبل غيرها لتقعيد القواعد، فلا يمارى أحد فى أن القرآن الكريم هو الأوثق على الإطلاق مما نقله إلينا الرواة من شعر أو نثر.

يقول الشيخ محمد الخضر حسين عن الاحتجاج بالنص القرآنى: "وأفضل ما يحتج به فى تقرير أصول اللغة القرآن الكريم، فإنه نزل بلسان عربى مبين، ولا يمترى أحد فى أنه بلغ فى الفصاحة وحسن البيان الذروة التى ليس بعدها مرتقى، فنأخذ بالقياس على ما وردت عليه كلمه وآياته من أحكام لفظية، ولا فرق

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٣٧٤/١ .

(٢) مناهل العرفان للزرقانى ١٩/١ .

عندنا بين ما وافق الاستعمال الجارى فيما وصل إلينا من شعر العرب ومنثورهم، وما جاء على وجه انفرد به، ولا نتبع سبيل من يحيدون عن ظاهره ويذهبون به مذهب التأويل ليوافق آراءهم .." [١].

والحق ما قاله الشيخ محمد الخضر حسين، فمكانة القرآن الكريم العالية تجعله فى مقدمة الاحتجاج به، وكل لغة وردت فى القرآن هى أفصح مما فى غير القرآن، ولا خلاف فى ذلك، وقد أجمع علماء العربية القدامى على أن القرآن الكريم هو المقياس الأول للفصاحة والصواب.

وهذه شهادة اسرائيل ولفنسون التى سجلها فى كتابه (تاريخ اللغات السامية) قال: "... وقد ظل القرآن منذ ذلك الحين هو الينبوع الفياض الذى يرتوى منه علماء الدين واللغة جميعا، والمنار المضىء الذى يهتدون بنوره إلى محجة الصواب، كلما أظلم عليهم الجو أو أشكل عليهم الأمر فى أى فرع من هذين الفرعين"[٢].

ومع أن القرآن الكريم هو كتاب العربية الأول، والنص الصحيح الذى وصلنا سليما من عبث الزمان والوضاع فإن النحاة العرب لم يوفقوا إلى الاستفادة الحقة من هذا النص القيم.

يقول الدكتور عبد المجيد عابدين: "إن النحاة أنفسهم لم يسلكوا فى سبيل الاستفادة من هذه النصوص الطريق الصحيح فقد رأيناهم يمثلون فى كثير من المواضع بالبيت المجهول، وبـ (ضرب زيد عمر)، وبـ (كان زيد آكلا طعامك)، وبـ (عندى درهم ولى وطر)، وبأمثالها. ثم لا تجدهم إلا فى القليل النادر يعرجون على نصوص القرآن الكريم فيستشهدون بآيات منه بدلا من هذا البيت المجهول، أو هذه العبارات السقيمة، أو تلك التراكيب المصنوعة، ولو أنهم استشهدوا بالقرآن لرجعوا إلى النص الصحيح الأقدم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

---

(١) دراسات فى العربية وتاريخها الشيخ محمد الخضر حسين ص٣٠، ٣١ ط٢ سنة ١٩٦٠.

(٢) تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون ص٢١٥ .

خلفه. يقول الفخر الرازى: (وإذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى) أضف إلى ذلك ما فى الاستشهاد بالقرآن من فائدة عظمى لطلاب النحو، إذ يجدون فى متناول أيديهم طائفة من آيات القرآن يحفظونها، فتقوم لسانهم، وتنمى فيهم الحس اللغوى"[١].

لولا القرآن الكريم لاندثرت اللغة العربية الفصحى، فقد ارتبطت به ككتاب مقدس سماوى، قامت حوله العلوم العربية لخدمة الدين الإسلامى، فما وضع النحو إلا لصون القرآن الكريم من التحريف على ألسنة الأعاجم، ثم ألفت علوم البيان والمعانى والبديع لتوضيح الأساليب القرآنية؛ ولذلك صار القرآن الكريم أعرب وأقوى فى الاستشهاد من الشعر.

ثانيًا- القراءات القرآنية:

القراءات فى اللغة جمع قراءة، والقراءة مشتقة من مادة: (ق : ر : أ) وهى مصدر الفعل (قرأ)، وهى على وزن فِعالة، ولها معنيان:

١- الجمع والضم، أى : جمع الشىء إلى بعضه وضمه إليه.

٢- التلاوة، وهى النطق بالكلمات المكتوبة، يقال: قرأت الكتاب، أى: تلوته[٢].

أما اصطلاحا: هى اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى كتبة الحرف أو فى كيفيتها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما. وهى توجد فى بعض ألفاظ القرآن فقط.

ويعدّ نزول جبريل عليه السلام بالقرآن على النبى ﷺ بأحرف السبعة أول مرحلة من مراحل نشأة علم القراءات. وسبب ذلك أن النبى محمد ﷺ أشفق على أمته أن تقرأ القرآن على حرف واحد فيشق عليها، فسأل ربه أن يخفف عنها، فأنزل الله القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، كما ثبت فى الأحاديث المتواترة.

وقد وضع علماء القراءات ضابطا دقيقا لقبول القراءات بعد تفرق القراء فى

---

(١) المدخل إلى دراسة النحو العربى ص٩٧-٩٨ .

(٢) المعجم الوسيط مادة : قرأ .

الأمصار، وكثرة الرواة، ولذلك استقر الأمر على أركان ثلاثة، اتفق على اثنين منها، واختلف فى واحد، وهذه الأركان هى:

١- موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية، وهذا أمر أجمع عليه سلف الأمة وخلفها، إلا من لا يعتدّ بمخالفتهم.

٢- موافقة اللغة العربية، والمقصود: موافقة القراءة المنقولة وجها سائغا فى اللغة العربية، مجمع عليه أو مختلف فيه.

٣- التواتر. وهذه مسألة خلافية، فمن العلماء من اشترط التواتر، ومنهم من اكتفى بصحة السند لكن مع الشهرة، وقال بعضهم: إن الخلاف لفظى.

وقد قام علماء القراءات والنحاة واللغويون بجمع القراءات للمحافظة عليها، وميزوا بين الصحيح المتواتر والشاذ الفريد، وأول من نهض بهذا العبء هو ابن مجاهد الذى اختار بعد البحث والفحص الطويل سبعة من أئمة القراءات، كما ألف كتابا فى ذكر الشواذ من القراءات. وقام تلميذه أبو على الفارسى بوضع كتابه "الحجة فى علل القراءات السبع" وجاء ابن جنى- تلميذ أبى على الفارسى- فذكر الوجوه النحوية والتعليلات الإعرابية واللغوية للقراءات الشاذة.

ثم كانت الخصومة بين النحاة والقراء، إذ ثار النحاة على بعض قراءات القرآن واعتبروها شاذة أو خطأ. وامتلأت كتب النحاة بالخلاف الشديد حول هل يجوز الاستشهاد بقراءات القرآن أو ببعضها، ووجدنا من النحاة حين تقابله قراءة قرآنية يضعها إلى جانب غيرها من النصوص، ويوازن بينها، ويبنى القاعدة على الكثير الشائع، ولذلك جاء ردّ بعض النحاة للقراءات على مستوى الاستشهاد النحوى، وليس على مستوى وقوعها وثبوت القراءة بها.

بل وجدنا من النحاة الأوائل من كان يلحن القراء، ويتعرض لهم باللحن والتخطئة، فهذا أبو عمرو بن العلاء يخطئ نافعا وابن عامر فى قراءتهما: أتحاجونى (بنون خفيفة)، ويخطئ قراءة الحسن وسعيد بن جبير وغيرهما: هؤلاء

بناتى هن أطهرَ لكم (بنصب أطهر) [١].

وقد ركز الدكتور مهدى المخزومى على اختلاف نحاة البصرة عن نحاة الكوفة فى موقفهم من القراءات، وذكر أن النحاة الأوائل يغلطون ما يعجزون عن تأويله، والآخِرون يقبلون كل قراءة ويحتجون بها، ويعقدون على ما جاء فيها كثيرا من أصولهم وأحكامهم.

وقد علق على هذا الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر فقال معترضًا: "ولا يسعنا كذلك أن نسلم بهذا الرأى بعد أن تبين لنا تساوى الجميع فى موقفهم من القراءات، ونقدهم القراءة بناء على مقاييسهم هم، وتخطئتهم ما يعجزون عن فهمه أو توجيهه. ونعرض من بين القراءات التى خطأها الكوفيون الأمثلة الآتية:

١- تخطئة الفراء لقراءة ﴿بمصرخى﴾ فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾

٢- تخطئة الفراء لقراءة حمزة : واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام.

٣- استقباح الكسائى لقراءة أبى عمر والكوفيين: (بيت طائفة) (بإدغام التاء فى الطاء).

حقا إن الكوفيين كانوا أقل تخطئة للقراءات من البصريين ولكن ذلك لا يرجع إلى اختلاف موقفهم من القراءات، وإنما إلى ما عرفوا به من توسع فى أصول اللغة، وقياس على القليل، واعتداد بالمثال الواحد، فأمكنهم بذلك تخريج كثير من القراءات وتوجيهها على مقتضى أصولهم، ومن هنا قلت تخطئتهم لها"[٢].

ثالثًا- الحديث النبوى الشريف:

هو المصدر الثالث بعد القرآن وقراءاته للاحتجاج والاستشهاد به. ونود أن

---

(١) البحث اللغوى عند العرب د. أحمد مختار عمر.

(٢) مقال: البحوث العربية المعاصرة حول تاريخ اللسانيات العربية ضمن ندوة اللسانيات العربية ص١٩.

نركز على قضيتين تحتاجان إلى إيضاح هنا:

١- مفهوم الحديث الشريف.

٢- موقف قدامى اللغويين من الاستشهاد بالحديث.

ونبدأ بالحديث عن مفهوم الحديث عند علماء اللغة قديما وحديثا، فبينهما اختلاف جعل باب الاستشهاد بالحديث فى مجال باللغة مفتوحًا على مصراعيه، ويشمل ذلك ثلاثة جوانب:

أ- الاستشهاد بالحديث النبوى، وزادوا على ذلك كلام أهل البيت والصحابة، وهناك أمثلة كثيرة فى كتب اللغة لاستشهادات اللغويين بالأحاديث الموقوفة التى تروى عن الصحابى، ولا ترفع إلى النبى ﷺ ، يقول ابن خلدون فى مقدمته عن الاستشهاد بكلام الصحابة: "... والسبب فى ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام فى القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثلهما[١].

ب- اختلاف طرق علماء اللغة وأسانيدهم عن طرق المحدثين وأسانيدهم. وقد ثبت بالتتبع أن كثيرا من الأحاديث الواردة فى كتب اللغة لا وجود لها فى كتب الحديث. والسبب واضح فى ذلك، فالاستدلال اللغوى ليس فى خطورة الاستدلال الشرعى، ولذا يكتفى فى الأول برواية الآحاد، ولا يبالى اللغوى أن يكون الحديث موقوفا، أو مرسلا، أو مرفوعا، فهو فى جميع حالاته صادر عن عربى فصيح، ولا يترتب على قبوله حكم شرعى، ولا تحليل أو تحريم.

ج- مساواة اللغويين فى الاستشهاد بين روايات الحديث الشريف كما ساووا بين روايات الشعر، واعتبروا كل رواية حجة إذا رواها فصيح. ومن هؤلاء العلماء ابن منظور، وابن مالك. ومن علماء اللغة المحدثين

(١) مقدمة ابن خلدون جـ٣ /١٣١٦ تحقيق د٠ على عبد الواحد وافى .

الشيخ محمد الخضر حسين، ومما قاله: "وأرى فى النهاية أن مسألة الاستشهاد بالحديث النبوى مسألة مهمة، ولا يجوز ترك الاستشهاد به تحت أى سبب كان، ذلك أن النبى ﷺ كان أفصح العرب وقد أتى بألفاظ جديدة دائمًا ما يقول العلماء عند ورود أحدها فى الحديث: "وهذا اللفظ لم يجئ إلا فى الحديث، ولم نسمعه إلا فيه"[(١)].

أما موقف قدامى اللغويين من الاستشهاد بالحديث فقد شابه خلط كثير، فالذين رفضوا الأخذ به فى الاستشهاد على مسائل النحو، محتجين بأنه قد سمحت الرواية فيه، بمعناه لا بلفظه، كما أن بعض رواته كانوا غير عرب بالطبع، تعلموا لسان العرب بصناعة النحو، فدخل فى روايتهم له ألفاظ وتراكيب ليست من كلام النبى ﷺ.

وعلق الدكتور رمضان عبد التواب على موقف الرافضين فقال: "حجة واهية بالطبع، فإن رواة الأحاديث كانوا يعيشون فى حيز عصور الاحتجاج. وحتى لو سلمنا جدلا بأنهم رووا الأحاديث بالمعنى، وصاغوها بعباراتهم فإنهم ممن يحتج بلغتهم. ولعل السبب الحقيقى فى بعد النحويين الأوائل عن الاستشهاد بالحديث إيثارهم الابتعاد عن موطن تزل فيه الأقدام بعد شيوع الوضع فى الحديث، فى العصور الإسلامية الأولى، وكثرة اتهام بعض الناس لبعض بهذا الوضع. وليس معنى هذا أن المؤلفات النحوية الأولى، تخلو من ذكر الحديث تماما، فعند سيبويه، والفراء، وأبى على الفارسى مثلا بعض الأحاديث. غير أن أول من أكثر من الاستشهاد بالحديث كان هو النحوى الأندلسى: ابن خروف (المتوفى ٦٠٩هـ) وتابعه على ذلك ابن مالك، صاحب الألفية (المتوفى سنة ٦٧٢هـ) [(٢)] والذى سمى الظاهرة اللهجية بجزء من الحديث النبوى (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار).

---

(١) انظر: دراسات فى العربية وتاريخها ص١٦٧ .

(٢) فصول فى فقه العربية ص٩٧-٩٨ .

ويقول الدكتور أحمد مختار عمر: "أول ما ينقض هذه الدعوى– القدماء لا يحتجون بالحديث– أن القدماء أنفسهم الذين نسب إليهم رفضهم الاستشهاد بالحديث لم يثيروا هذه المسألة، ولم يصرحوا برفض الاستشهاد بالحديث. وثانى ما ينقض هذه الدعوى أن كتب القدماء من لغويين ونحاة لم تخل من الاستشهاد بالحديث، ومعجم العين تحت أيدينا، والأحاديث فيه تتجاوز المئات إن لم تبلغ الآلاف. كما أن سيبويه قد استشهد فى كتابه بثلاثة عشر حديثا، وكذلك فعل المبرد فى المقتضب.

والأدهى من ذلك أن أبا حيان نفسه صاحب الاعتراض لم تخل كتبه من بعض الحديث، وقد حصرت خديجة الحديثى لأبى حيان فى كتابه ارتشاف الضرب، ومنهج السالك ثمانية وعشرين حديثا انفرد فى الاحتجاج بها، وبنى عليها حكما جديدًا، أو معنى جديدًا، أو استعمالا جديدًا"(١).

وقد فطن كثير من علماء العربية القدامى إلى ما تضمنته كتب الصحاح من مادة غنية وثروة قيمة لعالم اللغة، فأشاروا إلى الإفادة من المصدر الثالث وهو الاستشهاد بالحديث النبوى بما فيه من ألفاظ وتراكيب عربية تفيد مؤرخ اللغة فائدة عظمى؛ لأنها على الأقل نصوص قد دوّنت منذ أكثر من عشرة قرون، كما رواها قوم ثقات يتقنون العربية، سواء أكانوا عربا أم غير عرب.

رابعا– الشعر العربى الفصيح:

الشعر ديوان العرب، فقد سجل مآثر العرب ومفاخرهم وحروبهم وعزهم ومجدهم. وليس هناك خلاف بين علماء اللغة على الاستشهاد بالشعر إلا أن بعضهم قصر الاستشهاد به على عصور دون عصور، وأجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين.

ونتج عن هذا أن اللغويين قد قسموا الشعراء إلى طبقات أربع هى:

---

(١) مقال : البحوث العربية المعاصرة ص٢٠ .

أ- الشعراء الجاهليون. وهم شعراء قبل الإسلام كـ زهير وطرفة.

ب- الشعراء المخضرمون وهم الذين أدركوا الإسلام والجاهلية كالخنساء وحسان وكعب.

ج- الشعراء الإسلاميون: وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق، وآخرهم ابن هَرْمة (١٧٦هـ) .

د- الشعراء المولدون: وهم من جاءوا بعدهم إلى زماننا، ومن هؤلاء بشار ابن برد وأبو نواس.

وقد أجمع علماء اللغة على أن يحتج بشعر الطبقتين الأولى والثانية، ورجح اللغويون الاحتجاج أيضا بشعر الطبقة الثالثة، ورفضوا الاحتجاج بأى شعر من الطبقة الرابعة، ما عدا الزمخشرى الذى أجاز ذلك.

وقد قدّم النحاة واللغويون الشعر الفصيح على غيره فى الاستشهاد اللغوى، حتى إنهم قدموه على الحديث الشريف، وعدوا الشعر عمود أدلة النقل، وبلغ بهم الأمر أن اعتزوا بالشاهد الشعرى، غاضين الطرف عن قائله، ولا يجهدون أنفسهم وراء معرفة القائل أكثر من الشاهد الفصيح.

وقد اشترط العلماء للاستشهاد بالشعر العربى الفصيح حدودًا مكانية حصروها بسكان البادية، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط. ومما قاله السيوطى نقلا عن أبى عمرو: أفصح الشعراء ألسنا وأعربهم أهل السروات: هذيل وثقيف، وأزد شنوءة، وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث"(١).

ونحن لا نغالى إذن حين نقول: إن اللغة الفصيحة السليمة يجب ألا ترتبط بزمان أو بمكان، ولا بجنس ما، بل الدربة والمعاناة هى التى تنتج لغة سليمة خالية من الخطأ. والشاعر أو الأديب الذى صحت لغته واستقام لسانه يعدّ من زعماء البيان، ولو كان من شعراء العصر الحديث.

---

(١) المزهر ٤٨٣/٢ .

ومن العجيب أن العلماء قد قدّموا الاستشهاد بالشعر فى مؤلفاتهم على الاستشهاد بالقرآن الكريم، ونظرة واحدة إلى كتب النحو تؤكد هذا، فهى محشوة بالشعر وشرحه والتعليق عليه، حتى أصبحت لفظة الشواهد ذات معنى عرفى يقصد به الشعر. ولا يتبادر إلى الذهن آيات القرآن أو الحديث، وصار هذا المعنى العرفى هو السائد بفعل النحاة فى مؤلفاتهم.

ولو تصفحنا مؤلفات النحاة المتأخرين لوجدنا فيها تقعيد نحو العربية بذكر الشاهد الشعرى وكأنه المصدر الأول فى احتجاجاتهم، وصرفوا أنفسهم قصدا عن استقراء النص القرآنى لاستخلاص قواعدهم منه، وإذا كان (كتاب سيبويه) يمثل أول حلقة موجودة بين أيدينا من مجهودات النحو، فإنه يمثل فى الوقت نفسه قمة الدراسة التى سبقته كما أنه يشير أيضا إلى الطريق الذى سلكته الدراسة من بعده إذ تأثرت به وتتبعت خطاه، وهذا الكتاب فيه اعتماد كامل على الشعر العربى القديم فى الاستقراء وتقرير الأصول، وتغافل نسبى عن آيات القرآن والشعر الإسلامى.

وهكذا وضح أن الشعر جاء لدى النحاة هو الأصل فى الاحتجاج والمقدّم فى الاستشهاد على القرآن وقراءاته. وقد بيّن ذلك الدكتور محمد عيد حيث قال: "إن الظاهرة الواضحة فى كتب النحو العربى هو الاعتماد الأساسى على الشعر، إذ يكون وحده العنصر الغالب فى دراسات النحاة المتقدمين والمتأخرين، من بين مصادر الاستشهاد، وذلك باستثناء ابن مالك الذى اعتمد على الحديث، وأبى حيان الذى اهتم بإيراد الكثير من لغات القبائل فى كتابه "ارتشاف الضرب من كلام العرب، وابن مالك هشام الذى وجه عناية خاصة لنصوص القرآن"[١].

ومن الثابت لدى علماء اللغة أن نصوص الشعر الجاهلى وما بعده حتى منتصف القرن الثانى الهجرى كانت تعكس الطابع المحلى أحيانا، كما كانت تعكس صورة اللغة الأدبية المشتركة، وصارت النموذج الذى احتذاه النحاة

---

(١) انظر: الرواية والاستشهاد باللغة ص٣٨ د٠ محمد عيد .

واللغويون العرب وهم يؤصلون قواعد العربية ويسجلون مفرداتها.

خامسًا- النثر العربى الفصيح:

النثر العربى الفصيح يراد به الحكم والمواعظ والأمثال، كما أنه يشمل النثر الفنى وغير الفنى. وقد درج اللغويون على الاستشهاد بالنثر من أمثال الحكم والمواعظ والأمثال فى اللغة والمعاجم منذ بدء التدوين.

وقد ثبت أن الأمثال العربية لم تحظ بشىء من العناية والاهتمام بمثل ما حظى به الشعر، فالمثل ينسب لرجل أحيانا، لا يعرف أحد شيئًا عنه، ولا يدرى فى أى عصر عاش، وربما تجد شرحا لسبب ذكر هذا المثل، ومن هنا صارت لدينا صعوبة فى توثيق الأمثال غالبا.

وقد وضع الدكتور عبد المجيد قطامش خمسة معايير للأمثال الجاهلية، يمكن على أساسها تصنيف الأمثال العربية على أساس زمنى:

١- النص على قائل المثل، كما ورد ذلك فى كتب الأمثال.

٢- تعيين الحادثة المتصلة بالمثل، من ذلك أمثال حرب البسوس.

٣- اشتمال المثل على علم من أعلام الجاهلية مثل: أبصر من الزرقاء. وأجود من حاتم ... إلخ.

٤- النص على جاهلية المثل.

٥- إشارة المثل إلى عادة أو معتقد جاهلى(١).

كما وضع بعد ذلك معايير أخرى للأمثال الإسلامية والمولدة وغيرها(٢). ولكنه خص الأمثال المولّدة بسمتين هما : سهولة العبارة وظهور الصنعة اللفظية فيها بشكل واضح . وفى أحيان كثيرة تدل لغة المثل على العصر الذى قيل فيه.

ومما نلاحظه أن الحدود المكانية رسمت للنثر أكثر من كونها للشعر، حيث

---

(١) انظر: الأمثال العربية: دراسة تاريخية تحليلية ص١٢٣ وما بعدها. د. عبد المجيد قطامش دار الفكر دمشق ١٩٨٨.

(٢) السابق ص١٢٧ .

اهتم اللغويون ببيان أسماء القبائل التى يؤخذ عنها القول والخطبة والمثل والحكمة، فى حين أنهم فى الشعر اهتموا بالحدود الزمانية فى توزيع الشعراء وتقسيمهم إلى طبقات كما سبق ذكر ذلك.

وقد اشترط ابن جنى للاستشهاد بالنثر العربى حدودًا مكانية حصرها بسكان البادية، ولكنه لم يذكر القبائل البدوية التى يحتج بكلامها وترك لغيره على ما يبدو تحديدها. ووجدنا ابن خلدون لا يكتفى بشرط الإيغال فى البداوة مع الابتعاد عن العجمة، ويضيف قيدًا آخر وهو اقتراب القبيلة من دمشق: ".. ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وغطفان وبنى تميم. وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان واياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطتهم الأعاجم، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم فى الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية"(١).

ويبدو أن تحديد القبائل البدوية التى يحتج بكلامها كان ضمن أسس المدرسة البصرية فى حين أن المدرسة الكوفية لم تكن لديهم قائمة محددة من القبائل، فاللغات على اختلافها كلها حجة عندهم، وهم فى هذا أسبق من ابن جنى صاحب هذه المقولة السابعة؛ ولهذا ذهب الكوفيون إلى أن الأصل الذى يبنون عليه هو المثال بغض النظر عن قائله، ورأوا أن ما يقوله الأعرابى فى هذا المثال الواحد إنما يمثل بيئة لغوية.

غير أن الدكتور رمضان عبد التواب لا يعجبه الفريقين فى الاستشهاد اللغوى فقال: "الواقع أن كلا الفريقين مخطئ فى نظرته هذه، إذا كان الهدف هو وضع قواعد للغة الفصحى، أو بعبارة أخرى: للغة الأدبية المشتركة بين العرب جميعا، فلم يكن الفرق بين اللغة المشتركة واللهجات واضحا فى أذهان اللغويين،

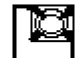
---

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص٤٩ .

فى هذه الحقبة من التاريخ، وضوحا تاما ؛ ولذلك سعى البصريون للأخذ عن قبائل معينة، وهدفهم هو الوصول إلى تقعيد اللغة الأدبية المشتركة، غير أنهم لم يفرقوا فيما أخذوه عن هذه القبائل بين تلك اللغة المشتركة ولهجات الخطاب، ومن هنا جاء الخلط والاضطراب ورأيناهم يؤولون كل مثال شذ عن قواعدهم. ولم يكن الكوفيون أقل منهم حظا فى الاضطراب والخلط، لأنهم أخذوا اللغة عن كل العرب، ولم يفرقوا كذلك بين اللغة المشتركة ولهجات الخطاب"[١].

(١) انظر: فصول فى فقه العربية ص١٠٧ .

ملخص الوحدة الثالثة



المقصود بمصادر اللغة العربية: المادة اللغوية الموثقة التى اعتمد عليها اللغويون والنحاة فى تقعيد اللغة، ووضع الضوابط والمعايير الخاصة باللغة العربية، سواء أكان ذلك فى المعاجم العربية أو فى كتب النحو والصرف التى استخلصت ضوابطها من كتب العرب.

ومن الثابت أن المصدر الأول للغة العربية هو القرآن الكريم كتاب العربية الأول الذى وصل إلينا سليما من عبث الزمان، وقد اهتم به علماء العربية القدامى وجعلوه أساسًا لدراسة العربية الفصحى وإن كانت جهودهم أقل كثيرا من اهتمام الغرب بنصوصهم المقدسة.

إن النحاة العرب لم يوفقوا إلى الاستفادة الحقة من النص القرآنى واستشهد بالشعر بدلا منه ولو كان القائل مجهول مع أن القرآن الكريم هو الذى حفظ العربية من الاندثار.

أما المصدر الثانى من مصادر العربية هو القراءات القرآنية، وقد اشترط العلماء فى قبول القراءة موافقتها رسم أحد المصاحف العثمانية، وموافقتها وجها من وجوه العربية. ولكننا وجدنا خصومة بين النحاة والقراءة بحجة أن القراءة بها لحن وخطأها عدد من النحاة، ولم يوافق الدكتور أحمد مختار عمر على ما فعله النحاة ونقدهم القراءة بمقاييسهم هم، وذهب إلى أن الكوفيين أقل تخطئة للقراءات من البصريين.

والمصدر الثالث هو الحديث النبوى الشريف، وقد وقف منه بعض النحاة موقف معارضا الاستشهاد به، فى مقابل من أيد الاستشهاد بالحديث، وزاد عليه كلام أهل البيت والصحابة. والحق أن موقف المانعين للاستشهاد بالحديث حججهم واهية وضعيفة؛ لأن رواة الأحاديث كانوا يعيشون فى حيز عصور الاحتجاج، ولو قلنا بأنهم رووا الأحاديث بالمعنى فإنهم مما يحتج بلغتهم، ولغتهم

فى ذكر الأحاديث تفوق لغة الشعر المصنوع.

والمصدر الرابع من مصادر اللغة هو الشعر العربى الفصيح وليس هناك خلاف بين علماء اللغة على الاستشهاد وبالشعر، ولكنهم قسموه إلى طبقات أربع هى:

١- الشعراء الجاهليون ويستشهد بشعرهم على الإطلاق.

٢- الشعراء المخضرمون ويستشهد بشعرهم على الإطلاق.

٣- الشعراء الإسلاميون وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق، ومن الراجح الاستشهاد بشعرهم.

٤- الشعراء المولدون ومن هؤلاء بشار بن برد وأبو نواس.

وقد رفض العلماء الاستشهاد بشعرهم ما عدا الزمخشرى الذى أجاز ذلك.

وكان المصدر الأخير هو النثر العربى الفصيح، ويراد به الحكم والمواعظ والأمثال، وقد درج اللغويون على الاستشهاد بالنثر ولكنه حكموه بقبائل معينة موغلة فى البادية، ومنهم من عدّ هذه القبائل وأبعد القبائل الحضرية ومن على أطراف قبائل البدو. وهكذا سعى البصريون فى منهجهم فى حين أن الكوفيين اعتدوا بالمثال الواحد بهدف تقعيد اللغة الأدبية المشتركة.

وكلا الفريقين أصابه الخلط والاضطراب، لأن البصريين خلطوا بين العربية الفصحى واللهجات فيما أخذوه من القبائل العربية والكوفيون أخذوا اللغة عن كل العرب.

أسئلة على الوحدة الثالثة

س١- ما معنى مصادر اللغة العربية ؟

س٢- ما مصادر اللغويين التى اعتمدوا عليها لدراسة اللغة؟

س٣- ما المبدأ الذى حدده دارسو اللغة من علمائنا عند اعتماد اللهجة، ثم اذكر بعض أسماء القبائل التى أخذوا عنها اللغة؟

س٤- هل يمكن أن تبنى قواعد لغة على تعدد القبائل المأخوذ عنها؟

س٥- هل تطابق الموقف النظرى لعلماء العربية حينما وضعوا مرتبة القرآن فى المصادر كمصدر أول للاحتجاج مع الموقف العملى فى مؤلفاتهم؟

س٦- لماذا وضعت القراءات القرآنية كمصدر لأخذ اللغة عنها؟

س٧- هل تعامل اللغويون والنحاة مع القراءات القرآنية بما يكافئ مرتبتها فى أقوالهم؟

س٨- لماذا كان الكوفيون- فى رأى بعض اللغويين المحدثين- ممن يحتج بالقراءات؟

س٩- اذكر بعض أمثلة نقد اللغويين للقراءات .

س١٠- هل الموقف اللغوى الصحيح لوضع القواعد للغة هو الاستشهاد بالقراءات؟

س١١- كيف تفسر ما وقع فيه اللغويون والنحاة من قلة الاستشهاد أو الاحتجاج بالقرآن وقراءاته؟

س١٢- هل احتج اللغويون والنحاة بالحديث النبوى الشريف؟

س١٣- اذكر مثالا للاحتجاج بالحديث النبوى.

س١٤- حاول المتأخرون ممن منعوا الاحتجاج بالحديث أن يعللوا لموقفهم. اشرح.

س١٥- اكتب رأيا أو تعليقًا على رأى من قال بمنع الاحتجاج بالحديث النبوى مبينا حججك وأدلتك.

س١٦- علام يطلق "كلام العرب" عند الاحتجاج به.

س١٧- ما الضوابط التى وضعها اللغويون للاستشهاد بالشعر؟

س١٨- وضع اللغويون شروطا للاحتجاج بنص نثرى. حدد هذه الشروط.

س١٩- اعترض بعض العلماء المحدثين على من أخذ اللغة عن قريش واحتج بها. وضح ذلك.

س٢٠- ما رأيك فى الأخذ عن لغة قريش برغم كونهم تجارًا ؟

س٢١- اذكر بعض المآخذ على اللغويين أو المقعدين للغة.

س٢٢- ضع علامة (صح) أو (خطأ) أمام العبارات الآتية مع ذكر السبب:

أ- انصرف العلماء عن استقراء النص القرآنى لاستخلاص القواعد منه.

ب- تقبل اللغويون العرب كل ما سجله القراء من قراءات واستشهدوا بها.

س٢٣- أكمل ما يأتى فى ضوء دراستك لمصادر اللغة العربية.

أ- مصادر اللغويين التى اعتمدوها لدراسة اللغة خمسة هى ....

ب- اتسم المنهج الكوفى بأنه أقل تحطئة للقراءات من المنهج البصرى وهذا يعود إلى...

نموذج إجابة ☑

إجابة السؤال الأول:

هى المادة اللغوية الموثقة التى اعتمد عليها اللغويون والنحاة فى التقعيد للغة ووضع الضوابط والمعايير للغتنا العربية سواء أكان ذلك فى المعاجم العربية بتحديد معانى المفردات واستعمال الكلمات، أو فى كتب النحو والصرف التى استخلصت ضوابطها وقواعدها من لغة العرب.

فهؤلاء اللغويون أو النحاة صاغوا قواعدهم واستدلالاتهم بناء على أقوال العرب الموثوق فى لغتهم، فاحتجوا بأقوالهم واستشهدوا بشواهدهم.

إجابة السؤال الثانى:

١- المصادر هى:

أ- القرآن الكريم.

ب- القراءات القرآنية.

ج- الشعر.

د- النثر.

إجابة السؤال الثالث:

قالوا "لم يؤخذ عن حضرى قط، ولا عن سكان البرارى ممن يسكن أطراف بلادهم التى تجاور أمما أخرى. من بين قبائل العرب الذين أخذت عنهم اللغة: قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض طيئ.

إجابة السؤال الرابع:

إن محاولة بناء قواعد للغة من كل ما روى عن القبائل يؤدى حتما إلى التناقض، ويبعد باللغة عن الانسجام والاطراد فى الخصائص، فلو أن العلماء وقفوا فى استنباطهم للقواعد عند اللغة النموذجية الموحدة لجنبوا أنفسهم الكثير

من الجدل والاضطراب.

إجابة السؤال الخامس:

ويبدو أن الموقف العملى يشير إلى أن:

أ- دارسى اللغة صرفوا أنفسهم عن استقراء النص القرآنى لاستخلاص قواعد اللغة منه.

ب- عدد الآيات القرآنية المستشهد بها فى كتبهم كان قليلا إذا قسناه بالشواهد الشعرية والنثرية .

ج- الآيات القرآنية تأتى فى الاستشهاد بعد الشعر، وكأنهم يقررون بها أو يؤكدون.

د- يبدو أن التحرز الدينى والحفاظ على قدسية النص القرآنى كان وراء قلة الاستشهاد القرآنى.

إجابة السؤال السادس:

القراءات القرآنية تمثل اللهجات العربية المختلفة، وهذه اللهجات تمثل القبائل، والقبائل العربية فى ذلك العصر كانت متساوية فى صحة القول وسلامة اللفظ، وإن تفاوتت فى درجات الفصاحة.

إجابة السؤال السابع:

لقد صرحوا فى أقوالهم بأن القراءة سنة، ولا يجوز تفضيل قراءة على قراءة .. إلخ.

ولكنهم نسوا هذا عند التطبيق، فلقد نقدوا القراءات وقاسوها بمقاييسهم، ولم يتحرجوا عن تخطئتها إذا عجزوا عن أن يجدوا لها وجها فى العربية تخرج عليه، فهم بهذا لم يحتجوا بها ولم يعتمدوا عليها فى الاستشهاد.

إجابة السؤال الثامن:

إن منهج الكوفيين فى التعامل مع اللغة يعتمد على التوسع فى أصول اللغة، والقياس على القليل، والاعتداد بالمثال الواحد. ولهذا أمكنهم الاعتماد على القراءات فى الاحتجاج، فوجهوا كثيرا من القراءات وخرجوها على مقتضى أصولهم.

إجابة السؤال التاسع:

مثال (١):

– أنكر النحاة على القراءة قراءتهم (وما أنتم بمصرخى) بكسر الياء.

– خطّأ أحدهم القراءة "أتحاجونى" بنون خفيفة، أى بحذف نون الإعراب أو النون الأخرى.

إجابة السؤال العاشر:

إن القراءات لهجات متعددة، ومن المصلحة إبعاد اللهجات المحلية فى مجال التقعيد ووضع معيار للصواب اللغوى، وإنما ما يؤخذ على اللغويين أو المقعدين للغة يتعلق بأمرين:

١– التناقض الصريح بين أقوالهم وأفعالهم.

٢– وصفهم بعض القراءات بأنه ردىء أو وهم أو غلط.

وكان من الممكن وصفها بأنها لهجات محلية لا تبنى عليها قاعدة.

إجابة السؤال الحادى عشر:

يبدو أن العلة تعود إلى "التحرز الدينى" أى محاولة الحفاظ على قدسية القرآن وقراءاته، لأن دراسة النص تحتاج إلى حرية التصرف فى النص المدروس، بما تحتويه دراسته من تعدد آراء وإعمال ذهن كما هو واضح فى كتب النحو مما لا يحتمل النص القرآنى، فكان لابد من الحفاظ على قدسيته بعيدًا عن أيدى اللغويين والنحاة.

إجابة السؤال الثانى عشر:

ما حدث فى القرآن وقراءاته حدث مثله عند فريق من اللغويين الأوائل إذ صرفوا أنفسهم عن الحديث، فلم يدرسوه لاستنباط آرائهم والاحتجاج به عليها، ويلتمس العذر لهؤلاء الذين عاشوا فى القرن الأول والثانى؛ إذ لم يكن الحديث قد جمع بعد.

لكن مع فترة النضج العلمى كانت نصوصه موثقة بين أيديهم ومع ذلك فقد اجتنب بعضهم الحديث، وتبعهم آخرون، وأصبحت عادة متوارثة ألا يناقش هذا الموقف، إلى أن أتى ابن مالك فى القرن السابع الهجرى واعتمد على الحديث فى الاحتجاج مخالفا بذلك المانعين للاستشهاد به.

إجابة السؤال الثالث عشر:

ابن مالك أخذ مثلا قول الرسول: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل.

شاهدا على لغة (أكلونى البراغيث) وهى اللغة التى تلحق الفعل ضمير تثنية أو جمع.

إجابة السؤال الرابع عشر:

تعلل هؤلاء بأن:

أ- الرواة جوزوا النقل والرواية بالمعنى.

ب- رواية الحديث وقع فيها كثيرًا من اللحن بسبب أن كثيرًا من الرواة كانوا من غير العرب.

إجابة السؤال الخامس عشر:

يمكن تفنيد هذا الرأى بما يلى:

أ- الأحاديث النبوية موثقة متنا وسندا، فهى أصح مما ينقل من أشعار العرب.

ب- إن الذين جوزوا الرواية بالمعنى معترفون بأن الرواية باللفظ أولى، فلم يجيزوا النقل بالمعنى إلا فيما لم يدون فى الكتب، وفى حالة الضرورة فقط .

وقد ثبت أن كثيرا من الرواة فى الصدر الأول كانت لهم كتب يرجعون إليها عند الرواية.

ج- كثير من الأحاديث دون فى الصدر الأول قبل فساد اللغة، فكان على أيدى رجال يحتج بأقوالهم فى العربية، فالتبديل على فرض ثبوته إنما كان ممن يسوغ الاحتجاج بكلامه.

د- إن كان قد وقع فى رواية بعض الأحاديث غلط أو تصحيف فلا يقتضى هذا ترك الاحتجاج به جملة، وقد وقع فى الشعر تصحيف وغلط ومع هذا فهو حجة من غير خلاف.

إجابة السؤال السادس عشر:

يطلق على الشعر العربى والنثر فى الزمن الذى حدده اللغويون لكل، وكذا فى المكان.

إجابة السؤال السابع عشر:

قسم اللغويون الشعراء إلى طبقات أربع هى:

أ- الشعراء الجاهليون. وهم قبل الإسلام.

ب- الشعراء المخضرمون. وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام.

ج- الشعراء الإسلاميون. وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام وآخرهم ابن هَرَمة (١٧٦هـ).

د- المولدون: وهم من بعدهم إلى زماننا هذا.

والشعراء فى الطبقة الأولى والثانية (الأوليين) يحتج بشعرهم، أما الطبقة الثالثة فمعظم اللغويين يرون صحة الاحتجاج بشعرهم، وقد رفض اللغويون الاحتجاج بطبقة المولدين.

إجابة السؤال الثامن عشر:

حدد اللغويون شروطا تتعلق بالزمان والمكان.

أما الزمان فقد حددوا نهاية الفترة التى يستشهد بها بآخر القرن الثانى الهجرى بالنسبة لعرب الأمصار، وآخر القرن الرابع بالنسبة لعرب البادية.

أما المكان فقد ربطوه بفكرة البداوة والحضارة، فكلما كانت القبيلة بدوية منعزلة كانت أفصح والثقة فيها أكبر. وكلما كانت متحضرة أو أقرب إلى حياة الحضر كانت لغتها محل شك ولذلك تجنبوا الأخذ عنها. فالانعزال لديهم يحفظ للغة صفاءها ونقاءها، والاختلاط يفسد وينحرف بالألسنة.

إجابة السؤال التاسع عشر:

ذكر العلماء أن قريش كانت أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان ولذا كانت ممن أخذ عنهم اللغة لأنهم أهل فصاحة وهذا ضد مبادئ اللغويين التى ابتعدت بهم عن أهل الحضر، ومن خالطوا غيرهم من الأمم، فقد حدد علماء العربية الانعزال فى كبد الصحراء مقياسا للفصاحة.

وقد كانت قريش تسكن مكة وما حولها وهم من أهل المدر، ولكنهم تجار، والتجارة تفسد اللغة، وهذا مما عيب على غيرهم، لأن التجارة تجعلهم يخالطون أمما أخرى، وهذا الاختلاط يفسد اللغة.

إجابة السؤال العشرين:

يمكن الاستعانة هنا برأى الأستاذ أحمد أمين بأن قريش من ناحية سلامة اللغة ينطبق عليها ما انطبق على غيرهم ممن خالط الأمم الأخرى، ولكنهم من ناحية الفصاحة فصحاء، ومعنى الفصاحة قوة التعبير عما فى نفوسهم وكما عبر عنهم الفارابى:

كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما فى النفس. فكأن لغتهم منتقاة مصطفاة من

لهجات العرب، فإذا أتتهم الوفود من العرب للأسواق أو الحج تخيروا من كلامهم وأشعارهم ولغاتهم.

إجابة السؤال الحادى والعشرين:

من المآخذ:

أ- عدم استمرار المشافهة طوال فترة الدراسة برغم قولهم المأثور "لا تأخذوا العلم عن صحفى، ولا القرآن عن مصحفى" ولجوء بعضهم إلى مشافهات الآخرين يعتمدون عليها .

ب- تكميل الثغرات بالمنطق والقياس لا بمعاودة المشافهة.

ج- اعتقادهم بأن اللغة شىء وراثى، تؤخذ بالسليقة ولهذا أنكروا الأخذ عن أصحاب الأصول غير العربية من الفرس وغيرهم.

د- خلطوا الشعر بالنثر عند الاحتجاج، مع أن الشعر له نظامه وضرورته التى ينفرد بها.

هـ- لم يكثروا الاستشهاد بالحديث النبوى مع أنه أهم من الشعر فى ميدان البحث اللغوى.

و- خلطوا مستوى اللغة النموذجية الممثلة فى القرآن والحديث والشعر والخطب والأمثال بمستوى اللهجات المحلية المتمثلة فى القراءات القرآنية ولغة الخطاب.

إجابة السؤال الثانى والعشرين:

أ- العبارة صحيحة؛ لأن شواهد القرآن الكريم فى قواعد اللغة أقل كثيرًا من شواهد الشعر.

ب- العبارة خطأ؛ لأن اللغويين العرب وقفوا من القراءات موقفا يتسم بالتناقض، لأنهم صرحوا بأن القراءة سنة ثم حكموا على بعض القراءات

باللحن أحيانا حين خالفت قواعدهم.

إجابة السؤال الثالث والعشرين:

أ- القرآن الكريم- القراءات القرآنية- الحديث النبوى- الشعر العربى- النثر العربى.

ب- هذا يعود إلى أن منهج الكوفيين يقوم على التوسع فى أصول اللغة والاعتداد بالمثال الواحد، ومع ذلك قل عندهم الاستشهاد بالقراءات القرآنية مع مؤلفاتهم.

القسم الثاني

المكتبة العربية

أ.د. إبراهيم عبد المجيد ضوة

مقدمة

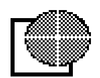
التراث اللغوي العربي زاخر بالمؤلفات التي تعالج اللغة العربية بكل مستوياتها: الإملاء . الأصوات . الصرف . النحو . الدلالة . المعجم إلى آخر تلك المستويات التي تشتمل عليها اللغة العربية، والتي لا يمكن لمتخصص في اللغة العربية أن يُغفِلَ واحدًا منها، غير أن العلماء العرب لم يفصلوا في بدايات التاليف بين هذه المستويات، فالكتاب الواحد يشمل تلك المستويات جميعًا، نستثني من ذلك مجال التأليف المعجمي الذي حظي باستقلال في التأليف منذ الفترات المبكرة من التأليف العربي.

ومن المعلوم أن جهود اللغويين العرب كانت موجَّهة إلى فهم القرآن الكريم، والحفاظ على لغته صوتًا ونحوًا ودلالةً، ولقد ظل الارتباط وثيقًا بين علوم اللغة وعلوم الشريعة مستمرًا في التراث اللغوي العربي؛ وكان هذا نتيجةً لارتباط الدرس اللغوي عند العرب بوجود نصّ دينيّ انبثقت عنه كل هذه العلوم: العربية والشرعية.

ولم يكن هذا مقصورًا على العرب فقط، بل وجدنا هذا أيضًا عند أمم أخرى؛ مثل الهنود؛ فقد بدأ الدرس اللغوي عندهم لفَهْم كتابهم المقدَّس الڤيدا Vida، والعمل على ضبط نصوصه وقراءتها قراءة صحيحة، كما نجد الأمر نفسه عند الصينين فقد كانت دراستهم للنصوص البوذية سببًا في نشة المعاجم الصينية، كما كانت دراسة اللغة العبرية تهدف إلى فهم التوراة ودراستها.

وفيما يلي من وحدات سنعرض بعض المؤلفات اللغوية التي تُمثّل إلى حدٍّ ما مسيرة التراث اللغوي العربي، وتُظْهِر بعض جوانبه الفكرية، وذلك لنبيِّن كيف أسهمت هذه المؤلفات في خدمة اللغة العربية ونصوصها.

وسوف نتوخى في هذا العرض الاهتمام بموضوع الكتاب وبالقضايا التي يُثيرُها، أما حياة المؤلف فسوف نكتفي منها بالقليل تاركين التفصيل فيها إلى كتب التراجم، أو مقدمات الكتب المحققة لهؤلاء العلماء.



الوحدة الرابعة

كتاب "الكتاب"

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغى أن يكون الدارس قادرًا على أن:

١- يعرف سيبويه بوصفه من أهم علماء العربية المؤسسين لها.

٢- يقف على "كتاب" سيبويه من حيث المنهج والمصطلحات وغيرها.

٣- يتمرس على نصوص "الكتاب" قراءةً وفَهمًا.

٤- يتعرف على بعض القضايا اللغوية في أوائل طرحها.

٥- يقترب من أسلوب العلماء العرب في تناول القضايا.

العناصر:

١- مؤلِّف "الكتاب".

٢- أشهر شيوخه.

٣- التعريف بـ "الكتاب":

أ- مادته.

ب- منهجه.

أولا: التبويب.

ثانيًا : في الاستشهاد.

ثالثًا: في العناوين.

رابعًا: في الأسلوب.

خامسًا: في المصطلحات.

سادسًا: طريقة عَرض المعلومات.

ثلاثة نماذج من كتاب سيبويه:

النموذج الأول: هذا باب اللفظ للمعاني.

النموذج الثاني : هذا بابُ ما يكونُ في اللفظ من الأعراض.

النموذج الثالث: هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة .

١- المؤلِّف:

سيبويه، أبو بِشر عَمْرو بن عثمان بن قَنْبَر، وهو فارسيّ الأصل، تاريخ ميلاده ليس معروفًا على وجه اليقين، ويُروَى أنه وُلِدَ في أوائل دولة بني العباس (أي بعد عام ١٣٢هـ) وتوفي عام ١٨٣هـ على أرجح الأقوال، مات في سنٍّ مبكّرة، يقال إنها نحو ثلاث وثلاثين سنة.

ولِدَ بفارس ثم هاجر أهلُه إلى البصرة، فنشأ بها، وأخذ يطلب العِلمَ، وقد بدأ بدراسة الحديث والفقهَ وأعجبه ذلك؛ لما فيه مِن صُحبة الفقهاء وعلماء الحديث.

لم يستمر سيبويه في دراسة الحديث والفقه، بل عدل عنهما إلى دراسة العربية، أما السبب في ذلك التغيير فحادثة شهيرة تناولتها كتب التراجم؛ فقد كان يقرأ على شيخه "حمّاد بن سَلَمة حديثَ الرسول عليه الصلاة والسلام:" (ما من أحدٍ من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه علمًا ليس أبا الدرداء) "، لكن سيبويه قرأه: "ليس ابو الدرداء"[(١)] ظنًّا منه أن "أبو" هو اسم ليس، فقال له حَمّاد: لحنتَ يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبتَ، وإنما "ليس" هاهنا استثناء. فقال سيبويه: لا جرمَ، سأطلبُ عِلمًا لا تُلَحِّنّني فيه، فلزم الخليلَ فبرَعَ.

---

(١) لم أعثر على نصه في كتب الحديث، وأقرب حديث له هو ما ورد في الجامع الكبير للسيوطي: ٢٠٣٢٣- ما من أحد من أصحابى إلا لو شئت أخذت عليه فى خلقه ليس أبا عبيدة بن الجراح (الحكيم، وابن عساكر عن زياد الأعلم عن الحسن مرسلاً) أخرجه ابن عساكر (٤٧٣/٢٥) .

وهناك روايات لحوادث أخرى تتفق كلها في أن الذي دفع سيبويه إلى دراسة العربية هو خطؤه في اللغة أمام حمّاد بن سلمة.

٢- شيوخه:

أساتذة سيبويه كثيرون أشهرهم الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم العين، وواضع علم العَروض، وواضع بعض رموز ضبط الحروف العربية، وقد لزمه سيبويه، فأخذ عنه اللغة والنحو، وكان الخليل يُفْسح له صدره، ويرى فيه التلميذ الذي لا يَضِنّ عليه بشيء، وكان يُحبّه ويقرّبه، كان، حين يَّقبل عليه سيبويه، يقول له "مرحبًا بزائر لا يُمَلّ"، وما كان يقولها إلا له.

٣- التعريف بـ"الكتاب":

عُرِف كتاب سيبويه من قديم الدهر إلى يومنا هذا باسم "الكتاب" أو "كتاب سيبويه"، وإذا قال أحدهم قرأتُ الكتاب، أو قال:" صاحب الكتاب" فإنما يعني هذا المؤلَّف وصاحبه.

مات سيبويه، ولم يسمِّه، ويبدو أنه كان على نيَّة العودة إليه للمراجعة، وللتسمية كذلك، لكن القدر لم يُمْهِلْه، ويبدو أن هذا كان السبب أيضًا في أن الكتاب يخلو من مقدمة، كما يخلو أيضًا من خاتمة.

وقد ظل الكتاب مجهولا لفترة، إلى أن أذاعه بين الناس وقدّمه إليهم أحد تلاميذ سيبويه؛ وهو الأخفش الأوسط.

أفاد سيبويه من سابقيه وشيوخه، فقد أخذ عنهم، وأشار هو إلى ذلك في ثنايا كتابه، لكنه بالقطع أضاف إلى ذلك كثيرًا، وقام بالتنسيق والتبويب وصَوْغ القواعد.

وللكتاب في عالم الدرس اللغوي منزلة كبيرة، ومكانة عالية، والباحث اللغوي لا يُعَدّ عالمًا، أو ذا وضعٍ علميّ رفيع، إلا إذا استطاع أن يقرأ الكتاب، ويفهمه، ويُفيد منه.

طبَّقت شهرة كتاب سيبويه الآفاق، فشرّق وغرّب، فأفاد منه الناس، وعليه

تتلمذوا، ومنه أخذوا ونقلوا، وما زال الكتاب مرجعًا للباحثين والدارسين في مجال اللغة حتى يومنا هذا.

وليست تلك مكانته في العصر الحديث فقط، بل كانت له قديمًا أيضًا؛ فقد قيل عنه وعن كتابه: "هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سمّاه الناس "قرآن النحو"، ومن طريف ما يُروَى أن أحد نحاة الأندلس كان (يختم) كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يومًا كأنما يتلوه تلاوة القرآن الكريم. وقيل أيضًا:" من أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحيِ".

أ- مادة "الكتاب":

الكتاب هو "دستور العربية الأول"، إنه ينتظم قواعد النحو والصرف والأصوات في اللغة العربية، كما ينتظم لمحات ذكية، تجدها متناثرة هنا وهناك؛ فقد تكلم عن الإسناد والمجاز، كما كان يُعنَى بالتراكيب اللغوية.

كما تناول بعضًا من موضوعات علم الدلالة، وبعضًا من موضوعات علم العروض.

وإذا كان بعض الباحثين يصفه بأنه كتاب في النحو، فما ذلك إلا على ضربٍ من التسامح والتجوّز، بسبب أن القدر الكبر من مادة الكتاب يتعلق بالنحو وقضاياه.

ب- منهج سيبويه في "الكتاب":

اتَّسم منهج سيبويه في "الكتاب" بعدة سمات؛ أهمها:

أولا- التبويب:

ليس في الكتاب تبويب أو تنظيم بالطريقة المعهودة في بقية الكتب اللغوية، فقد كاكتب اللن سيبويه يدخل في القض ية المعينة فيشرحها ويحلل مسائلها، ثم ينتقل إلى غيرها دون تمهيد. أو تدرّج، أو بيان الصلة بين الموضوع السابق والموضوع اللاحق.

ولم يكن يفصل بين ما ينبغي أن يُفصل بعضه عن بعض لانعدام الصلة العلمية بين الموضوعين، وقد أدّى هذا الأمر إلى عدد من المظاهر؛ منها:

١) اختلاط المادة العملية بعضها ببعض، كاختلاط مسائل صرفية بمسائل نحوية دون مقتضًى منهجي.

٢) معالجة القضية الواحدة أو الموضوع الواحد في أكثر من موضع، وفي أكثر من مناسبة، كما يظهر ذلك في الاستثناء، وفي الحال، وفي الترخيم.

٣) تأتي القضية الصرفية عنده ضمن موضوعات نحوية سابقة عليها ولاحقة لها.

٤) لهذا من الصعب الوصول إلى ما تبحث عنه إلا بعد تدبّر، وقراءة وطويلة، وفحص دقيق.

وباختصار: لم يكن الترتيب والتنظيم في كتاب سيبويه منطقيًّا، أو جاريًا على أسس محدّدة نستطيع الاسترشاد بها عند العودة إلى الكتاب.

ثانيًا- في الاستشهاد:

كان سيبويه يستقي مادته الأساسية من القرآن الكريم، فقد أكثر من الاستشهاد به، كما أشار إلى بعض القراءات القرآنية، واعتمد عليها في تقعيد القواعد وتوجيه المسائل، ولكنه كان قليل الأخذ من الحديث النبويّ الشريف، فكان مجموع ما استشهد به خمسة أحاديث نبوية.

أما الشعر، فقد استشهد به واعتمد عليه كثيرًا، وقد أخذ عن شعراء الجاهلية، وعن المخضرمين، وعن شعراء صدر الإسلام وبني أمية، وتبعه في ذلك معظم النحاة.

ومن الطبيعي أن يكون النثر هو المَعين الأساسيّ لسيبويه؛ فقد استقى منه مادة غزيرة، كما أشار إلى اللهجات وتباينها في الاستعمالات اللغوية، وكان من منهجه الحرص على توجيه كلّ استعمالٍ، مع إبداء الرأي فيه.

ثالثًا– في العناوين:

جاءت عناوينه طويلة وغامضة أحيانًا حتى إنها تحتاج إلى كثير من النظر والتدبّر، وبخاصة عند القراءة للمرة الأولى، أو عند المبتدئين في العلم، أما من تمرّس بالعربية وقرأ فيها، فإنه يستطيع أن يصل إلى مراد سيبويه من تلك العناوين.

ومن أمثلة عناوينه الغامضة: "هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به وما كان نحو ذلك" ويقصد سيبويه بذلك ما استقر عند النحاة فيما بعد باسم "باب التنازع"، وإن كان سيبيوه قد اقتصر على صورة واحدة منه؛ وهي أن يفعل الفاعل بالمفعول مثلما فعلَ به، وهو قولك: "ضربت وضربني زيد، وضربني وضربت زيداً"[(١)].

رابعًا– في الأسلوب:

يتَّسم اسلوب سيبويه بشيء من الصعوبة، ومن المأثور عن "المبرّد" أنه كان يقول لمن أراد أن يقرأ عليه "كتاب سيبويه": هل ركبت البحر؟ تعظيمًا واستصعابًا لما في قراءته.

ومن أمثلة الصعوبة في الكتاب شرحه لـ: "باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال صار فيه المذكور"[(٢)] قال السِّيرافي: "هذا الباب فيه صعوبة ونقْل كلام النحويين من البصريين والكوفيين، وكذلك الزجاج: بابٌ لم يفهمه إلا الخليل وسيبويه".

خامسًا– في المصطلحات:

لم تكن المصطلحات اللغوية قد استقرت بعد، لهذا نجد في مصطلحات سيبويه أحيانًا بعض الاضطراب، فنراه مثلا يسمّي "التصغير" مرة "بالتصغير"، وأخرى بـ "التحقير".

وبعض مصطلحات سيبويه الجزئية تغيَّرت بعده، واستعمل النحاة المتأخرون

---

(١) سيبويه . الكتاب ج ١ ص ٧٣.

(٢) سيبويه . الكتاب ج١ ص ٣٨٤ وهامشها.

مصطلحات أخرى بديلة عنها.

وكان من نتيجة غياب بعض المصطلحات في تلك الفترة أن طالت عناوين كثير من الأبواب؛ إذ المصطلح كما نعلم يختزل فكرةً أو عبارة في لفظ أو لفظين.

سادسًا– طريقة عَرض المعلومات:

لم يكن سيبويه يُعْنَى بوضع القواعد العامة بقدر ما كان يُعنَى بعرض الأمثلة وتحليلها، وذلك بناءً على ما سمعه من شيوخه، أو ما يراه هو، أو ما رويَ له، فكان أشبه بمن يقدّم "وَصفةً" لغوية، أو "فتوى" لغوية بتعبير الأستاذ علي النجدي في كتابه" سيبويه إمام النحاة"، ولا يعني هذا أنه كان يهتمّ بالجزئيات غير المترابطة أو المتجانسة بل كان يعرض أمثلة الباب المعيّن مثالاً تلوَ الآخر بطريقة تقود القارئ بسهولة ويسر إلى استنتاج القاعدة بنفسه، وربما سجلها سيبويه بنفسه من حين إلى آخر.

وسوف نعرض لك بعضًا من أبواب سيبويه فيما يلي من صفحات:

ثلاثة نماذج من كتاب سيبويه:

النموذج الأول:

أولاً– النص[(١)]؛ "هذا باب اللفظ للمعاني":

اعلم أنَّ من كلامِهم اختلافَ اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلافَ اللفظين والمعنى واحدٌ، واتفاقَ اللفظين واختلافَ المعنيين. وسترى ذلك إنْ شاء اللهُ تعالى.

فاختلافُ اللفظين لاختلافِ المعنيين هو نحو: جلَسَ وذَهَب. واختلافُ اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذَهَبَ وانْطَلَقَ. واتفاقُ اللفظين والمعنى مختلفٌ قولُك: وجدتُ عليه من المَوْجِدَة، ووجدتُ إذا أردتَ وِجدانَ الضّالةِ. وأشباهُ هذا كثيرٌ".

---

(١) سيبويه . الكتاب ج ١ ص ٢٤.

ثانيًا– التعليق على النص الأول:

إذا أردنا تحليل النص السابق، فإننا نخرج بمجموعة من التعليقات؛ أهمها:

١) إذا نظرنا إلى العنوان وحده فلن نفهم مقصود سيبويه منه، ولن نستطيع أن نخمّن الموضوع الذي سيتحدث عنه؛ إذ إن موضوع "اللفظ والمعاني" من الموضوعات الواسعة المتعددة النواحي، ويمكن أن يحوي تحته موضوعات كثيرة، تنتمي إلى أكثر من مجال لغوي؛ صرفي ونحوي ودلالي وبلاغي.

ونحن نتلمس العذر لسيبويه؛ إذ يبدو أن المصطلحات الدالة على ما يريد التحدث عنه لم تكن قد وُضِعَت بعد، لذا فالقارئ مضطرّ إلى تجاوز عنوان الباب ليقرأ ما تحته ليفهم مقصود سيبويه منه.

ولعل جزءًا من الغموض يعود إلى اللبس في فهم دلالة اللام في قوله"اللفظ للمعاني" فلا أعلم لها توجيهًا دلاليًّا على وجه اليقين.

٢) نلاحظ أن الباب قد خُطِّطَ تخطيطًا منطقيًّا، فهو قد بدأ بالعنوان، ثم المقدّمة، ثم الشرح مشتملا على الأمثلة، وإن كان لا فرق بينهما سوى أن الشرح اشتمل على أمثلةٍ قليلة، الأمر الذي جعل الشرحَ يكاد يكون تكرارًا للمقدّمة.

٣) نلاحظ أن الموضوع قصير جدًّا فهو لا يتجاوز . دون المقدّمة . ثلاثة أسطر، مما لا يتناسب مع وصفه بأنه "باب"، الذي تعودنا على أن يُطلق على الموضوعات الكبيرة التي تُقسَّم إلى فصول، أو اجزاء، ونخرج من هذا بأن العنوان "باب" لا علاقة له بحجم القضية، ولا بتشعّب موضوعاتها،عناصر إنه لا يعني سوى أنه عنصر من العناصر، أو فكرة من الأفكار، ولهذا فإن الأبواب عند سيبويه غير متناسقة الأحجام، بعضها يشغل صفحاتٍ، وبعضها لا يشغل سوى سطرين أو ثلاثة أسطر، ونعتقد أن سيبويه كان ينوي العودة إلى هذه الأمور لبَسْطها، وتوضيحها وزيادة

أمثلتها، وشواهدها، وأنه كان يكتفي بالأمور العامة التي تمثِّل تخطيطًا للموضوع ووضع هيكله، لكن الأجل لم يمهله لتفصيلها.

٤) كما نلاحظ أن سيبويه هنا ينهج المنهج الوصفيّ؛ فهو يصف كلام العرب، دون تعليق من برأي، أويتصويب، أو بذكر أسباب، فكان محايدًا، فلا تستطيع أن تخرج من هذا الباب برأي سيبويه فيما يعرض له، إلا إذا رأيتَ أن صمتَه يعني موافقتَه، وهو أمر لا أنصح به لسبب أساسيّ، هو أننا لا نعرف على أي أساس جمع سيبويه هذه الأمثلة.

٥) أن هذا الموضوع ينتمي إلى علم الدلالة، ومثار نقاشٍ كبير قديمًا وحديثًا، يستوي في ذلك علماء العرب، وعلماء الغرب، وهذا دليل على ما قلناه من قبل؛ إن كتاب سيبويه لم يتعرض للنحو فقط، إنما تعرض لموضوعات كثيرة غيره.

٦) نلاحظ أيضًا أن سيبويه لم يُرْسِل الأمر إرسالا، ولم يعرض القضية عرْضًا نظريًّا، وإنما كان حريصًا على ذكر الأمثلة؛ فبالأمثلة يتضح المراد، ويتجلّى المقصود، وفي الحديث عن اللغة تصبح الأمثلة شيئًا ضروريًّا لا غنى للباحث عنه، وإلا صار الكلام ضربًا من الظن والحدْس.

٧) أما الموضوع الذي يتحدث فيه سيبويه، فهو تقسيم الألفاظ من جهة ما يُسمّى في علم اللغة الحديث بـ"تعدّد المعنى" ويخبرنا سيبويه بأن الألفاظ من هذه الناحية ثلاثة أقسام:

القسم الأول: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين: وهو مايُطلِق عليه بعض علماء العربية "المُتباين"، وهذا هو معظم ألفاظ اللغة؛ إذ هو الأصل فيها؛ فاللفظ يخالف باختلاف المعنى، والعكس صحيح، وذلك نحو:

جلس . ذهب.   رجل . فَرس. عادل . راضٍ.

القسم الثاني: اختلاف اللفظين والمعنى واحد، وهو ما يُطْلَق عليه قديمًا

وحديثًا "الترادف"، وهو أن يدلّ على المعنى الواحد أكثرُ من لفظٍ، وذلك نحو: ذهبَ وانطلقَ، ونلاحظ في هذا المثال أن "ذهبَ" ليس في معنى "انطلق" تمامًا؛ إذ إن" انطلق" تفيد الذهاب لكنها توحي بمعانٍ تزيد عن مجرد الذهاب[١]، ولا يمكن أن يكون هذا الفرق غائبًا عن سيبويه، لهذا نعتقد أنه كان ينظر إلى المعنى العام، وليس إلى تفصيلاته؛ إذ إن كليهما يعني الرحيل وإن كان نوع الرحيل أو كيفيته مختلفًا في كلٍّ.

ومن الأمثلة المشهورة للترادف: الألفاظ التي أُطْلِقَت على الأسد، نحو: الغَضَنْفَر. أسامة . اللَّيْث، وغيرها، وكذلك الألفاظ التي أُطْلِقَت على السيف، والرمح، والحيّة، والداهية . والعسل.

وقد دار حول إثبات الترادف وإنكاره نقاشات طويلة قديمًا وحديثًا، وسوف تجد ذلك مفصَّلا إن شاء الله في مقرر"المعجم العربي وعلم الدلالة"[٢].

أما القسم الثالث: فهو اتفاق اللفظين والمعنى مختلف، وهو ما يسميه علماء اللغة "المشترك اللفظي" ويعني أن اللفظ الواحد يدلّ على أكثر من معنى، وذلك نحو: وجدْتُ عليه: حزنت، ووجَدْتُ الضالةَ: عثرتُ عليها. ومن أشهر الأمثلة على المشترك اللفظي كلمة "عين" التي تعني: عضو الإبصار. النَّقْد. البِئر. العَقار. الجاسوس . النَّفْس[في التوكيد المعنويّ] . قُرْص الشمس ....

ومن المشترك اللفظي نوعٌ يكون بين المعنيين "تضادّ"، نحو: الجَون: للأبيض والأسود، والجَلَل للعظيم من الأمور وللحقير منها أيضًا، فالتضادّ إذًا

---

(١) جاء في تاج العروس مادة [ط ل ق]: "ومن المَجاز قولُهم: انْطَلَق يفعَلُ كَذا مثلُ قولِكَ: ذهَبَ يقدم. وقال الراغِبُ: انطلَقَ فُلانٌ إذا مرّ منخَلِعاً. ومنه قولُه تعالى: (فانطَلَقوا وهُمْ يتَخافَتون) (انطَلِقوا الى ما كُنْتُم بهِ تكذِّبون) وقال ابنُ الأثير: الانطِلاقُ: سُرعَةُ الذَّهابِ في أصْلِ المِحْنَة".

(٢) انظر في ذلك: دلالة الألفاظ . الدكتور إبراهيم أنيس، ودور الكلمة في اللغة. استيفن أولمان . ترجمة الدكتور كمال بشر، وعلم الدلالة. الدكتور أحمد مختار عمر.

قسم من المشترك اللفظيّ[١].

النموذج الثاني[٢]– هذا بابُ ما يكونُ في اللفظ من الأعراض[٣]:

اعلم أنهم مِمّا يحذفونَ الكَلِمَ[٤] وإن كان أصلُه في الكلام غيرَ ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويستغنُون بالشيء عن الشيء الذي أصلُه في كلامهم أن يُسْتَعْمَلَ حتى يصيرَ ساقطًا. وسترى ذلك إن شاء الله.

فمِمَّا حُذِفَ وأصلُه في الكلام غيرُ ذلك. لمْ يكُ ولا أَدْرِ، وأشباهُ ذلك. وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء؛ فإنَّهم يقولون: يَدَعُ، ولا يقولون وَدَعَ[٥]، استغنَوْا عنها بترك. وأشباه ذلك كثير.

والعِوَضُ قولُهم: زَنَادقة وزَناديق، وفَرازِنة وفَرازين، حذفوا الياء وعوّضوها الهاءَ. وقولهم: أَسْطاعَ يُسْطيعُ، وإنما هي أَطاعَ يُطِيعُ، زادوا السينَ عوضًا من ذَهاب حركةِ العينِ من أفعل. وقولُهم اللَّهُمَّ، حذفوا " يا " وألحقوا الميمَ عِوَضًا. ا.هـ

---

(١) ارجع في تفصيل ذلك إلى المراجع السابقة.

(٢) سيبويه . الكتاب ج ١ ص ٢٤ . ٢٥

(٣) قال السيرافي :" يعني ما يعرض في الكلام فيجيء على غير ما ينبغي أن يكون عليه قياسُه.

(٤) قال السيرافي : أراد : ربما يحذفون، وهو [سيبويه] يستعمل هذه الكلمة كثيرًا في كتابه. والعرب تقول : أنتَ ممّا يفعل كذا، أي ربما تفعل. [الهوامش منقولة من هوامش صفحات الكتاب]

(٥) لكن جاء في الحديث :" لينتهيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهم الجمعات"، كما سُمع قول أبي الأسود الدؤلي:

سَـــل أميـــري مــــا الـــذي غيّـــره عـــن وصـــالي اليـــومَ حتـــى وَدَعَـــه

وقول أبي سويد بن أبي كاهل:

فســـــعى مســـــعاته فـــــي قومــــه ثـــم لـــم يُـــدرك ولا عجـــزًا وَدع

أفكار سيبويه في هذا النص:

١) أن العرب يستخدمون بعض المفردات بصورتين:

إحداهما هي الأصل؛ وذلك نحو: لم يكُنْ . تتنزَّلُ . أُناس . إله . **يَهْدِيَنِي**.

والأخرى منقوصة؛ لم يكُ . تَنَزَّلُ، ناس(النّاس) . الله . **يَهْدِيَنِ**، إذ حُذِف منها حرفٌ وذلك على النحو الآتي:

الصورة الأصل	الصورة المنقوصة
لم يكُنْ: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً} النساء١٦٨	لم يكُ: قال تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} النحل١٢٠
تتنزَّلُ: قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} فصلت٣٠	تَنَزَّلُ: قال تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} الشعراء٢٢١. ٢٢٢، وانظر: سورة القدر . ٤.
أُناس: قال تعالى:{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} الإسراء٧١	ناس: قال تعالى: {وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} الشعراء١٨٣
إله: قال تعالى: {وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} البقرة١٦٣	الله: قال تعالى:{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} الفاتحة١
يَهْدِيَنِي: قال تعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ} القصص٢٢	يَهْدِيَنِ: {إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً} الكهف٢٤

٢) العرب تستغني عن بعض المفردات بمفردات أخرى، فيسقط من الاستعمال بعض الألفاظ التي كان يجب أن تُستَعْمل، ومن ذلك الفعل، فالأصل أن يأتي منه في اللغة العربية : الماضي والمضارع والأمر، ثم

ياتي العرب في الاستعمال فلا يستعملون إحدى الصور، ويستغنون عنها بفعل من جذر آخر، وقد مثَّل سيبيويه بالفعل : يدع الذي لم يأتِ منه الماضي (وَدَعَ)، ويستغني العرب عنه بالفعل (تَرَك)، وعلى الرغم ورود أمثلة لغوية للفعل" وَدَع" تظل فكرة سيبويه صحيحة، وهو ما يُسمَّى في التفكير اللغوي الحديث بـ"الفجوات اللغوية" ويمكن تضرب أمثلة أخرى في الجدول الآتي:

الأصل الذي كان ينبغي أن يُسْتَعمَل	استغنوا عنها بـ
الماضي من: يَذَرُ	تَرَكَ
مثنّى: واحد	اثنان
جمع: امرأة	نساء
مفرد: نساء	امرأة
أوجل أي خائف...ولا يقال امرأة وجلاء[1]	استغنوا عنه بوجِلَة
واللاّتي لا تحقَّر[2].	استغنوا عنه بجمع الواحد: اللّتيَّات، فلمَّا استغنوا عنه صار مُسْقَطًا.

٣) أن العرب يحذفون بعض حروف الكلمة ويعوّضون عن المحذوف، وقد ضرب سيبويه مثالين من نَمَطٍ واحد : الأول: زناديق الذي حُذفَت ياؤه وعُوِّض عنها بالتاء: زنادقة. وأما المثال الثاني فهو: فرازين[3] / فرازنة.

ولم يُشِر سيبويه إلى الحالة الأخرى، وفيها أن العرب أيضًا يحذفون ولا يعوضون؛ فالتعويض ليس لازمًا دائمًا عند حذف احد حروف الكلمة، لاحظ الأمثلة الآتية: يعِد / يثِق / يضَع / يقع، فقد حفت منها الواو، ولم يُعَوَّض عنها

(١) الصحاح . الجوهري . و ج ل.

(٢) الكتاب . سيبويه . ج٣ ص ٤٨٩

(٣) فَرازين جمع فِرْزِين، وهو الوزير في لُعبة الشِّطْرَنْج.

بشيء، وقارن بين : إقامة / إقام؛ فالأولى التاء فيها عوض عن حذف حرف، والثانية خالية من التعويض.

النموذج الثالث– هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة(١):

فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدًا.

وأما **المحال** فأن تنقضَ أول كلامك بآخره، فتقولَ:أتيتُك غدًا، وسآتيك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر " ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيت، وكي زيداً يأتيك، وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس.

أفكار سيبويه في هذا النص:

يقسّم سيبويه الكلام العربي إلى خمسة أقسام، ونستطيع أن نتبيَّن معايير التي تم من خلالها التقسيم من خلال أمثلته، على الرغم من أنه لم يصرّح بتلك المعايير؛ ذلك أنه يعتمد على معيارين؛ هما: متطلبات اللغة، ومتطلبات العقل، وذلك على النحو الآتي:

١) **المستقيم الحسن:** المعيار اللغوي هنا صحيح مستقيم، كما أن العقل يقبل منطوق هذه الجملة على سبيل الحقيقة، ولا يحول حائل دون تصديق وقوعها:

أتيتك أمس: الفعل ماضٍ، و"أمس" يدلّ على الزمن الماضي كذلك، ولا مانع عقلا من أن أكون قد أتيتك أمس.

سآتيك غدًا: الفعل يشير إلى المستقبل، و"غدًا" يدلّ على الزمن المستقبل

(١) اهتم أستاذنا الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف بهذا النص اهتمامًا بالغًا في كاتبه: النحو والدلالة.

كذلك، ولا مانع عقلا من مجيئي إليك غدًا.

٢) **المُحال:** المعيار الذي خُولِف هنا هو معيار اللغة، وذلك بسبب التناقض بين الزمنين؛ وذلك يتحقق بأن تبدأ الجملة بزمن، وتُنهيها بزمن آخر للحدَثِ نفسه والشخص نفسه، وذلك ما يبدو في مثالي سيبويه:

أتيتُك غدًا: ماضٍ . مستقبل.

سآتيك أمس: مستقبل . ماضٍ.

٣) **المستقيم الكَذِب:** المعيار الذي خُولِفَ هنا هو معيار القبول العقلي، فإن العقل لا يقبل حقيقةً أن تكون قد "حملتَ الجبلَ" ولا أن تكون قد"شربتَ ماءَ البحر"، والقبول العقلي هنا نقصد به الحقيقة، وأما من ناحية المجاز، فكل ذلك مقبول.

٤) **المستقيم القبيح:** المعيار الذي خُولِف هو المعيار اللغوي، وذلك بسبب دخول حروف على ما لا يجوز أن تدخل عليه:

قد زيدًا رأيتُ: الحرف "قد" مختصٌّ بالدخول على الأفعال الماضي أوالمضارعة. على تفصيل في ذلك . لكنه هنا دخل على الاسم "زيد"، وفي هذا مخالفة لغوية.

كي زيدًا يأتيك: الحرف "كي" مختصٌّ بالدخول على الأفعال المضارعة لكنه هنا دخل على الاسم "زيد"، وفي هذا مخالفة لغوية.

٥) **المحال الكَذِب:** هذا القسم جمع بين مخالفة المعيارين: اللغوي والعقلي:

سوف أشربُ ماء البحر أمس:

- **اللغة :** بدأت الجملة بزمن مستقبل وانتهت بزمن ماضٍ= **محال.**
- **العقل:** لا قبل حقيقة أنك حملت الجبل = **كَذِب.**



ملخّص الوحدة الرابعة

تناولت الوحدة الرابعة كتاب سيبويه، من حيث المؤلِّف والمؤلَّف، كما استعرضت الوحدة ثلاثة نماذج من الكتاب، وجاءت عناصر الوحدة على النحو الآتي:

١) **مؤلِّف الكتاب هو** سيبويه، أبو بِشر عَمْرو بن عثمان بن قَنْبَر ت ١٨٣هـ ولِدَ بفارس ثم هاجر أهلُه إلى البصرة، فنشأ بها، وأخذ يطلب العِلمَ، وقد بدأ بدراسة الحديث والفقهَ وعدل عنهما إلى دراسة العربية.

٢) أشهر **شيوخه هو**الخليل بن أحمد الفراهيدي.

٣) **التعريف بـ"الكتاب"**:

أ) **مادته:** ينتظم قواعد النحو والصرف والأصوات في اللغة العربية، كما تكلم عن الإسناد والمجاز، كما كان يُعنَى بالتراكيب اللغوية،كما تناول بعضًا من موضوعات علم الدلالة، وبعضًا من موضوعات علم العروض.

ب) **منهجه:**

أولا- التبويب: ليس في الكتاب تنظيم بالطريقة المعهودة فقد اختلطت المادة العملية بعضها ببعض، كما تكرر معالجة الموضوع الواحد في أكثر من موضع.

ثانيًا- في الاستشهاد: كان سيبويه يستقي مادته الأساسية من القرآن الكريم، وبعض القراءات القرآنية ،وكان قليل الأخذ من الحديث النبويّ الشريف.واستشهد بالشعر كثيرًا.

ثالثًا- في العناوين: جاءت طويلة وغامضة أحيانًا.

رابعًا- في الأسلوب: يتَّسم أسلوبه بشيء من الصعوبة

خامسًا- في المصطلحات: لم تكن المصطلحات اللغوية قد استقرت بعد، لهذا نجد في مصطلحات سيبويه أحيانًا بعض الاضطراب.

سادسًا- طريقة عَرض المعلومات: لم يكن سيبويه يُعْنَى بوضع القواعد العامة بقدر ما كان يُعنَى بعرض الأمثلة وتحليلها

ثلاثة نماذج من كتاب سيبويه:

النموذج الأول- هذا باب اللفظ للمعاني: يتحدث فيه سيبويه عما يُسمّى في علم اللغة الحديث "بتعدّد المعنى" ويخبرنا سيبويه بأن الألفاظ من هذه الناحية ثلاثة أقسام:

القسم الأول: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين: و هو معظم ألفاظ اللغة.

القسم الثاني: اختلاف اللفظين والمعنى واحد، وهو ما يُطْلَق عليه قديمًا وحديثًا الترادف.

أما القسم الثالث: فهو اتفاق اللفظين والمعنى مختلف، وهو ما يسميه علماء اللغة "المشترك اللفظي".

النموذج الثاني- هذا بابُ ما يكونُ في اللفظ من الأعراض: تناول فيه سيبويه سلوك العرب من حيث الاستخدام الواقعي لألفاظ اللغة، الذي ينقسم إلى:

١) استخدام بعض المفردات بصورتين: إحداهما هي الأصل، والأخرى منقوصة.

٢) الاستغناء عن بعض المفردات بمفردات أخرى، فيسقط من الاستعمال بعض الألفاظ التي كان يجب أن تُستَعْمل.

٣) حذف بعض حروف الكلمة والتعويض عنها.

النموذج الثالث- هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة: يقسّم فيه سيبويه عبارات اللغة من حيث القابلية الشكلية والقابلية الدلالية إلى خمسة أقسام:

مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

[?] أسئلة على الوحدة الرابعة

س١: اكتب ترجمة يسيرة عن سيبويه.

س٢: من أستاذ سيبويه؟ وكيف كانت العلاقة بينهما؟

س٣: ما الواقعة التي غيَّرت مسار سيبويه من الحديث والفقه إلى دراسة العربية؟

س٤: ما المادة التي اشتمل عليها كتاب سيبويه؟

س٥: كيف بوَّب سيبويه موضوعات"الكتاب"؟

س٦: تحدَّث عن الاسشتهاد في "الكتاب".

س٧: تحدَّث عن عناوين كتاب سيبويه.

س٨: تحدَّث عن مصطلحات كتاب سيبويه.

س٩: اشرح هذه العبارة:" الارتباط وثيقٌ بين علوم اللغة وعلوم الشريعة".

س١٠: ضع خطًّا تحت الاختيار الصحيح:

أ- شيخ سيبويه في الحديث والفقه هو:

حمّاد بن سَلَمة . الصاحب بن عبَّاد . سفيان الثوريّ

ب- "مرحبًا بزائر لا يُمَلّ" عبارة كان يقولها:

الخليل لسيبويه. أبو علي الفارسي لابن جني. ابن جني للمتنبي.

ج- كتاب .... خلا من مقدمة:

الخصائص. المزهر الكتاب

د- الذي أذاع كتاب سيبويه على الناس:

الأخفش الأكبر الأخفش الأصغر الأخفش الأوسط.

هـ-باب"هذا باب اللفظ للمعاني" من أبواب كتاب:

الخصائص لابن جني. الكتاب لسيبويه. البيان والتبيين للجاحظ.

و- باب" ما يكونُ في اللفظ من الأعراض " من أبواب كتاب:

الخصائص لابن جني. الكتاب لسيبويه. البيان والتبيين للجاحظ.

ز- باب" الاستقامة من الكلام والإحالة" جاء في كتاب:

الخصائص لابن جني. الكتاب لسيبويه. البيان والتبيين للجاحظ.

س١١: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

"واختلافُ اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذَهَبَ وانْطَلَقَ".

س١٢: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

"واتفاقُ اللفظين والمعنى مختلفٌ قولُك: وجدتُ عليه من المَوْجِدَة، ووجدتُ إذا أردتَ وِجدانَ الضّالةِ".

س١٣: لخِّص ما قاله سيبويه تحت عنوان"هذا باب اللفظ للمعاني".

س١٤: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه، مع التمثيل؟

"اعلم أنهم مِمّا يحذفونَ الكَلِمَ وإن كان أصلُه في الكلام غيرَ ذلك".

س١٥: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه، مع التمثيل؟

"ويحذفون ويعوّضون".

س١٦: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه مع التمثيل؟

"ويستغنُون بالشيء عن الشيء الذي أصلُه في كلامهم أن يُسْتَعْمَلَ حتى يصيرَ ساقطًا".

س١٧: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدًا، وسآتيك أمس.

س١٨: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر " ونحوه.

س١٩: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيت، وكي زيداً يأتيك، وأشباه هذا.

س٢٠: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس.

س٢١: في أي كتاب ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

وأما **المحال** فأن تنقضَ أول كلامك بآخره، فتقولَ:أتيتُك غدًا، وسآتيك أمس.

س٢٢: يقسّم سيبويه الكلام العربي إلى خمسة أقسام. اذكر هذه الأقسام، مع ذكر مثال واحد لكل قسم.

نموذج إجابة ☑

إجابة السؤال الأول:

سيبويه، أبو بِشر عَمْرو بن عثمان بن قَنْبَر، وهو فارسيّ الأصل، تاريخ ميلاده ليس معروفًا على وجه اليقين، ويُروَى أنه وُلِدَ في أوائل دولة بني العباس (أي بعد عام ١٣٢هـ) وتوفي عام ١٨٣هـ على أرجح الأقوال، مات في سنٍّ مبكّرة، يقال إنها نحو ثلاث وثلاثين سنة.

ولِدَ بفارس ثم هاجر أهلُه إلى البصرة، فنشأ بها، وأخذ يطلب العِلمَ، وقد بدأ بدراسة الحديث والفقه وأعجبه ذلك؛ لما فيه مِن صُحبة الفقهاء وعلماء الحديث.

لم يستمر سيبويه في دراسة الحديث والفقه، بل عدل عنهما إلى دراسة العربية، أما السبب في ذلك التغيير فحادثة شهيرة تناولتها كتب التراجم؛ فقد كان يقرأ على شيخه "حمّاد بن سَلَمة حديثَ الرسول عليه الصلاة والسلام:" (ما من أحدٍ من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه علمًا ليس أبا الدرداء) "، لكن سيبويه قرأه: "ليس ابو الدرداء" ظنًّا منه أن "أبو" هو اسم ليس، فقال له حَمّاد: لحنتَ يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبتَ، وإنما "ليس" هاهنا استثناء. فقال سيبويه : لا جرمَ، سأطلبُ عِلمًا لا تُلَحِّنّني فيه، فلزم الخليلَ فبرَعَ.

وهناك روايات لحوادث أخرى تتفق كلها في أن الذي دفع سيبويه إلى دراسة العربية هو خطؤه في اللغة أمام حمّاد بن سلمة.

إجابة السؤال الثانى:

أستاذ سيبويه الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم العين، وواضع علم العَروض، وواضع بعض رموز ضبط الحروف العربية، وقد لزمه سيبويه، فأخذ عنه اللغة والنحو، وكان الخليل يُفْسح له صدره، ويرى فيه التلميذ الذي لا يَضِنّ عليه بشيء، وكان يُحبّه ويقرّبه، كان، حين يَقبل عليه سيبويه، يقول له "مرحبًا بزائر لا يُمَلّ"، وما كان يقولها إلا له.

إجابة السؤال الثالث:

كان يقرأ على شيخه "حمّاد بن سَلَمة حديثَ الرسول عليه الصلاة والسلام:"(ما من أحدٍ من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه علمًا ليس أبا الدرداء) "، لكن سيبويه قرأه: "ليس ابو الدرداء" ظنًّا منه أن "أبو" هو اسم ليس، فقال له حَمّاد: لحنتَ يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبتَ، وإنما "ليس" هاهنا استثناء. فقال سيبويه: لا جرمَ، سأطلبُ عِلمًا لا تُلَحِّنَّني فيه، فلزم الخليلَ فبرَعَ.

وهناك روايات لحوادث أخرى تتفق كلها في أن الذي دفع سيويه إلى دراسة العربية هو خطؤه في اللغة أمام حمّاد بن سلمة.

إجابة السؤال الرابع:

الكتاب هو "دستور العربية الأول"، إنه ينتظم قواعد النحو والصرف والأصوات في اللغة العربية، كما ينتظم لمحات ذكية، تجدها متناثرة هنا وهناك؛ فقد تكلم عن الإسناد والمجاز، كما كان يُعنَى بالتراكيب اللغوية.

كما تناول بعضًا من موضوعات علم الدلالة، وبعضًا من موضوعات علم العروض.

وإذا كان بعض الباحثين يصفه بأنه كتاب في النحو، فما ذلك إلا على ضربٍ من التسامح والتجوّز، بسبب أن القدر الكبر من مادة الكتاب يتعلق بالنحو وقضاياه.

إجابة السؤال الخامس:

ليس في الكتاب تبويب أو تنظيم بالطريقة المعهودة في بقية الكتب اللغوية، فقد كاكتب اللن سيبويه يدخل في القض ية المعينة فيشرحها ويحلل مسائلها، ثم ينتقل إلى غيرها دون تمهيد. أو تدرّج، أو بيان الصلة بين الموضوع السابق والموضوع اللاحق.

ولم يكن يفصل بين ما ينبغي أن يُفصل بعضه عن بعض لانعدام الصلة

العلمية بين الموضوعين، وقد أدّى هذا الأمر إلى عدد من المظاهر؛ منها:

١) اختلاط المادة العملية بعضها ببعض، كاختلاط مسائل صرفية بمسائل نحوية دون مقتضًى منهجي.

٢) معالجة القضية الواحدة أو الموضوع الواحد في أكثر من موضع، وفي أكثر من مناسبة، كما يظهر ذلك في الاستثناء، وفي الحال، وفي الترخيم.

٣) تأتي القضية الصرفية عنده ضمن موضوعات نحوية سابقة عليها ولاحقة لها.

٤) لهذا من الصعب الوصول إلى ما تبحث عنه إلا بعد تدبّر، وقراءة وطويلة، وفحص دقيق.

وباختصار: لم يكن الترتيب والتنظيم في كتاب سيبويه منطقيًّا، أو جاريًا على اسس محدّدة نستطيع الاسترشاد بها عند العودة إلى الكتاب.

إجابة السؤال السادس:

كان سيبويه يستقي مادته الأساسية من القرآن الكريم، فقد أكثر من الاستشهاد به، كما أشار إلى بعض القراءات القرآنية، واعتمد عليها في تقعيد القواعد وتوجيه المسائل، ولكنه كان قليل الأخذ من الحديث النبويّ الشريف، فكان مجموع ما استشهد به خمسة أحاديث نبوية.

أما الشعر، فقد استشهد به واعتمد عليه كثيرًا، وقد أخذ عن شعراء الجاهلية، وعن المخضرمين، وعن شعراء صدر الإسلام وبني أمية، وتبعه في ذلك معظم النحاة.

ومن الطبيعي أن يكون النثر هو المَعين الأساسيّ لسيبويه؛ فقد استقى منه مادة غزيرة، كما أشار إلى اللهجات وتباينها في الاستعمالات اللغوية، وكان من منهجه الحرص على توجيه كلّ استعمالٍ، مع إبداء الرأي فيه.

إجابة السؤال السابع:

جاءت عناوينه طويلة وغامضة أحيانًا حتى إنها تحتاج إلى كثير من النظر والتدبّر، وبخاصة عند القراءة للمرة الأولى، أو عند المبتدئين في العلم، أما من تمرّس بالعربية وقرأ فيها، فإنه يستطيع أن يصل إلى مراد سيبويه من تلك العناوين.

ومن أمثلة عناوينه الغامضة:" هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به وما كان نحو ذلك" ويقصد سيبويه بذلك ما استقر عند النحاة فيما بعد باسم"باب التنازع"، وإن كان سيبيوه قد اقتصر على صورة واحدة منه؛ وهي أن يفعل الفاعل بالمفعول مثلما فعلَ به،"وهو قولك: ضربت وضربني زيد، وضربني وضربت زيداً".

إجابة السؤال الثامن:

أ- حماد بن سلمة.

ب- الخليل لسيبويه.

ج- الكتاب.

د- الأخفش الأوسط.

هـ- الكتاب لسيبويه.

و- الكتاب لسيبويه.

ز- الكتاب لسيبويه.

إجابة السؤال التاسع:

العرب تستغني عن بعض المفردات بمفردات أخرى، فيسقط من الاستعمال بعض الألفاظ التي كان يجب أن تُستَعْمل، ومن ذلك الفعل، فالأصل أن يأتي منه في اللغة العربية: الماضي والمضارع والأمر، ثم ياتي العرب في الاستعمال فلا يستعملون إحدى الصور، ويستغنون عنها بفعل من جذر آخر، وقد مثَّل

سيبيويه بالفعل: يدع الذي لم يأتِ منه الماضي (وَدَعَ)، ويستغني العرب عنه بالفعل (تَرَك)، وعلى الرغم ورود أمثلة لغوية للفعل" وَدَع" تظل فكرة سيبويه صحيحة، وهو ما يُسمَّى في التفكير اللغوي الحديث بـ"الفجوات اللغوية" ويمكن تضرب أمثلة أخرى في الجدول الآتي:

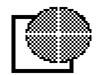
الأصل الذي كان ينبغي أن يُسْتَعمَل	استغنوا عنها بـ
الماضي من: يَذَرُ	تَرَكَ
مثنّى: واحد	اثنان
جمع: امرأة	نساء
مفرد: نساء	امرأة
أوجل أي خائف...ولا يقال امرأة وجلاء	استغنوا عنه بوجِلَة
واللاّتي لا تحقَّر.	استغنوا عنه بجمع الواحد: اللّتِيَّات، فلمَّا استغنوا عنه صار مُسْقَطًا.

إجابة السؤال العاشر:

المستقيم القبيح: المعيار الذي خُولِف هو المعيار اللغوي، وذلك بسبب دخول حروف على ما لا يجوز أن تدخل عليه:

قد زيدًا رأيتُ: الحرف "قد" مختصٌّ بالدخول على الأفعال الماضي أوالمضارعة. على تفصيل في ذلك. لكنه هنا دخل على الاسم "زيد"، وفي هذا مخالفة لغوية.

كي زيدًا يأتيك: الحرف "كي" مختصٌّ بالدخول على الأفعال المضارعة لكنه هنا دخل على الاسم "زيد"، وفي هذا مخالفة لغوية.



الوحدة الخامسة

كتاب "الخَصائص"

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغى أن يكون الدارس قادرًا على أن:

١- يعرف ابن جني بوصفه من أهم علماء العربية المؤسسين لها.

٢- يقف على أهم مؤلفات ابن جني ذات العلاقة بالعلوم العربية.

٣- يكوِّن تصوّرًا عن علاقات العلماء في ذلك العصر

٤- يقرأ نصوصًا مختلفة تتناول كثيرًا من القضايا اللغوية.

٥- يتمرّس بنصوص الكتاب قراءةً وفَهمًا.

٦- يتعرّف بعض القضايا اللغوية التي انتبه لها العلماء العرب في وقتٍ مبكّر.

٧- يقترب من أسلوب العلماء العرب في تناول القضايا.

العناصر:

١- التعريف بالمؤلِّف.

٢- العلاقة بين ابن جني وأبو علي الفارسي.

٣- العلاقة بين ابن جنّي والمتنبي

٤- التعريف ببعض كتب ابن جني:

- سِرّ صناعة الإعراب
- اللُّمَع في النحو
- المُحْتَسَب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها.

- المنصف.
- التصريف الملوكي.

٥- التعريف بكتاب"الخصائص"

- لماذا ألَّفه؟
- تسمية الكتاب:

٦- نموذجان من كتاب"الخصائص":

- النموذج الأول: باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية.
- التعليق على ابن جني في هذا النص.

١- أنواع الدلالة ثلاثة هي الدلالة اللفظية، والدلالة الصناعية، والدلالة المعنوية.

٢- الدلالات ليست على درجة واحدة من القوة.

٣- الدلالة المعنوية ليست صورة يحملها اللفظ كالدلالتين الأخريين.

٤- الدلالة المعنوية ثلاثة أنواع.

٥- العنصر المطلوب الذي تحدده الدلالة المعنوية قد يكون مطلوبًا نحويًا وعقلاً وقد يكون مطلوبًا عقلاً فقط.

٦- الدلالة المعنوية عند ابن جني هي ما يطلق عليه في المدرسة التوليدية التحويلية «سمات الانتقاء».

٧- الدلالة المعنوية عنصر هام من عناصر تكوين وإعراب الجمل عن طريق الحاسب الآلي.

- النموذج الثاني: باب فيما يُؤْمِنُهُ عِلْمُ العربية من الاعتقادات الدينية.

كتاب"الخصائص"

المؤلف:

هو أبو الفتح عثمان بن جِنِّي الأزْدي مولاهم، وجِنِّي- اسم أبيه- بكسر الجيم، والنون المشدَّدة، والياء ساكنة ليست كياء النسب، ولد بالموصل سنة ٣٢١هـ، وتوفِّيَ في سن السبعين عام ٣٩٢هـ.

نشأ في الموصل، وتلقَّى تعليمه بها، ثمّ صار يدرّس في مسجدها، وهو صغير.

١) ابن جني وأبو علي الفارسي:

تتلمذ ابن جنى على أبي علي الفارسيّ، وصحبه أربعين سنة. وكان سبب صحبته إياه أنَّ أبا عليّ الفارسي سافر إلى (الموصل)، فدخل الجامع، فوجد أبا الفتح عثمان بن جنى يقرأ النحو، وهو شاب، وكان بين يديه متعلّم، وهو يكلّمه في قلب الواو ألفا، نحو: قام، وقال، فوجده مقصّرا، فاعترض عليه أبو علي، وقال له: زبّبت قبل أن تحصرم، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جني، فسأل عنه، فقيل له: هو أبو علي الفارسي النحوي فأخذ في طلبه، وصاحبَه، وأخذ عنه، وصنَّف كتبَه في عهد أستاذه، فاستحسنها ووقعت عنده موقع الرضا.

وابن جني كثير الاعتزاز بأبي عليّ، كثير الرواية عنه في كتبه، وكان يُظهر من التعلّق به، والتقبُّل لرأيه، والانتفاع بعلمه، وهو في ذلك يُشبه "سيبويه" في نقله عن أستاذه"الخليل"، على أن ابن جني كثيرًا ما يذكر أن أستاذه كان يسأله في بعض المسائل، ويرجع لرأيه فيها، وأن أبا علي كان يقتنع بعلم ابن جني في بعض الأمور فيدوِّن رأيَه في كتبه.

إلى أن مات أبو علي فخلفه ابن جنّى في تدريس النحو ببغداد.

٢) ابن جنّي والمتنبي:

صحب ابن جني المتنبي الشاعر المشهور، واجتمعا معًا عند سيف الدولة بن حمدان، في حلب، وعند عَضُد الدولة في شيراز، وكان المتنبي يُجِلُّ ابن جني،

ويقول فيه: هذا رجلٌ لا يعرف قدرَه كثيرٌ من الناس، وكان المتنبي إذا سُئِلَ عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره، يقول: سَلُوا صاحبَنا أبا الفتح.

وابن جني هو أول من شرح ديوان المتنبي، وقد شرحه شرحين "الشرح الكبير" و"الشرح الصغير" والأخير هو الباقي لنا، ونُشِرَ تحت عنوان"الفَسْر: شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي".

وكان ابن جني يُحْسِنُ الثناءَ على المتنبي في كتبه، ويستشهد بشعره في المعاني والأغراض، ويعبِّر عنه بـ"شاعرنا".

كتب ابن جني:

برعَ ابن جني في النحو والصرف، وإن غلبت عليه مسائل الصرف، فوجّه إليها همَّه، ومن مسائل الصرفِ الاشتقاقُ الذي اهتمّ به ابنُ جني اهتمامًا كبيرًا في كتاب"الخصائص".

كما اهتمّ ابن جني أيضًا بأصول اللغة، وهي موضوعات يدخل أكثرها فيما يُسمّى الآن بـ "علم اللغة"، وبعضها يدخل فيما نسميه بـ"فقه اللغة".

وابن جني كثير التصانيف، وقد بلغت مُصَنَّفاته التي أحصاها الشيخ محمد علي النجار. محقق كتاب الخصائص . تسعة وأربعين كتابًا، نذكر منها:

١) الخصائص: سنتحدث فيه بعد قليل.

٢) سِرّ صناعة الإعراب: بحثٌ عميق في حروف المعجم، وبيانٌ وافٍ بالخصائص النطقية لكل أصوات اللغة، بدأ بمقدّمة مهمّة حوَت كثيرًا من المعلومات الصوتية العامة، ثم تناول هذه الحروف حرفًا حرفًا، يبيِّن فيه كلَّ ما يتعلق بهذا الحرف؛ من حيث كونه يرِدُ أصلا أو بدلا، أو زائدًا، ومن حيث من حروف المباني أوالمعاني، ثم يبيِّن الحروف التي يكون هو بدلا منها. والكتاب محقَّق ومنشور في جزأين، ومن نماذجه:

" النون حرف مجهور أغن يكون أصلا وبدلا وزائدا فالأصل يكون فاء وعينا ولاما فالفاء نحو نُعْم ونَعِمَ والعين نحو جنب وجنح واللام نحو حصن وقطن.

وأما البدل فذهب أصحابنا إلى أن النون في فعلان فعلى نحو سكران

وغضبان وولهان وحيران بدل من همزة فعلاء نحو حمراء وصفراء وإنما دعاهم إلى القول بهذا أشياء: منها أن الوزن في الحركة والسكون في فعلان وفعلاء واحد وأن في آخر فعلان زائدتين زيدتا معا والأولى منهما ألف ساكنة كما أن فعلاء كذلك..."[١].

٣) اللُّمَع في النحو: يتعرّض فيه للقواعد النحوية بالشرح والتمثيل، وهو كتاب منشور، ومن نماذجه:

باب الخطاب:

إذا خاطبت إنسانا فاجعل أول كلمة للمذكور الغائب وآخرها للحاضر المخاطب، تقول: إذا سألت **رجلا** عن رجل كيف **ذلك** الرجل **يارجل** ؟ فإن سألته عن امرأة كيف **تلكَ** المرأة يا **رجل**؟ وإن سألته عن رجلين كيف **ذانك** الرجلان يا **رجل**؟ وعن امرأتين كيف **تانك** المرأتان يا **رجل**؟ وعن رجال أو نساء كيف **أولئك** الرجال أو النساء يا **رجل**؟

وإذا سألت **رجلين** عن رجل قلت كيف **ذلكما** الرجل يا **رجلان**؟ وعن امرأة كيف **تلكما** المرأة يا **رجلان**؟ وعن رجلين كيف **ذانكما** الرجلان يا **رجلان**؟ وعن امرأتين كيف **تانكما** المرأتان يا **رجلان**؟ وكذلك ما أشبه هذا.

وتقول: قبضت **ذينك الدرهمين**، واستوفيت **تينك المائتين**، وهل حصلت **عندكما تانكما الجاريتان**؟ ومتى تقبضن **ذينكن** الألفين يا **نسوة** قال الله سبحانه: **{فذلكن** الذي **لمتنني** فيه}[٢]؛ وقال تعالى: {ألم **أنهكما** عن **تلكما الشجرة}**[٣]؛ فاعرف وقس".

٤) المُحْتَسَب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها: وهو كتاب في

---

(١) سر صناعة الإعراب . ابن جني . ٤٣٦.

(٢) { قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ } (٣٢) سورة يوسف

(٣) { فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (٢٢) سورة الأعراف.

الاجتجاج للقراءات الشاذة وتأويل وجوهها لُغويًّا، ونحويًّا، وقد نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ومن نماذجه:

"ومن ذلك قوله: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}: ذكر أبو بكر أحمد بن موسى أن فيها سبع قراءات: "علَيْهُمُو"، و"عليهُمُ" بضم الميم من غير إشباع إلى الواو، و"عليهُمْ" بسكون الميم مع ضمة الهاء، و"عليهِمي"، و"عليهِمْ" بكسر الهاء وسكون الميم، و"عليهِمُو" بكسر الهاء وواو بعد الميم، و"عليهِمُ" مكسورة الهاء مضمومة الميم من غير واو.

وزاد أبو الحسن سعيد بن مَسعدة الأخفش على ما قال أبو بكر ثلاثة أوجه، فصار الجميع عشرة أوجه؛ والثلاثة : "عليهُمِي" بضم الهاء وميم مكسورة بعدها ياء، و"عليهُمِ" بضمة الهاء وكسرة الميم من غير إشباع إلى الياء، و"عليهِمِ" بكسرة الهاء وكسرة الميم أيضًا من غير بلوغ ياء، فتلك عشرة أوجه: خمسة مع ضم الهاء، وخمسة مع كسرها.

قرأ "عليهُمُو" ابن إبي إسحاق ومسلم بن جندب والأعرج وعيسى الثقفي وعبد الله بن يزيد.

وقرأ: "عليهِمِي" الحسن وعمرو بن فايد، ورُوِي عن الأعرج: "عليهِمُ" مكسورة الهاء مضمومة الميم من غير بلوغ واو.

وقرأ: "عليهُمُ" مضمومة الهاء والميم من غير بلوغ واو، رويت عن الأعرج أيضًا...".

٥) المنصف: وهو شرح لكتاب"التصريف" لأبي عثمان المازني، وهو منشور، ومن نماذجه:

علم التصريف والحاجة إليه:

وهذا القبيل من العلم، أعني التصريف، يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمَّ حاجةٍ، وبهم إليه أشدُّ فاقةٍ؛ لأنه ميزان العربية، وبه تُعْرَف أصول كلام العرب من

الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به، وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يُوصَل إلى ذلك إلا من طريق التصريف؛ وذلك نحو قولهم: إن المضارع من فَعُل لا يجيء إلا على يَفْعُل بضم العين. ألا ترى أنك لو سمعت إنسانا يقول: كرُم يكرَم بفتح الراء من المضارع، لقضيت بأنه تارك لكلام العرب، سمعتَهم يقولون: يكرُم أو لم تسمعْهم؛ لأنك إذا صحَّ عندك أن العين مضمومة من الماضي قضيت بأنها مضمومة في المضارع أيضا قياسا على ما جاء. ولم تَحْتَجْ إلى السماع في هذا ونحوه، وإن كان السماع أيضا مما يشهد بصحة قياسك... فلهذه المعاني ونحوها كانت الحاجة بأهل علم العربية إلى التصريف ماسّة، وقليلا ما يعرفه أكثر أهل اللغة؛ لاشتغالهم بالسماع عن القياس.

تخليط أهل اللغة فيما سبيله القياس: ولهذا لا تكاد تجد لكثير من مصنفي اللغة كتابًا إلا وفيه سهوٌ وخللٌ في التصريف، وترى كتابه أسدَّ شيء فيما يحكيه، فإذا رجع إلى القياس وأخذ يصرِّف ويشتقّ اضطرب كلامه وخلّط.. وليس هذا غضا من أسلافنا، ولا توهينا لعلمائنا، كيف وبعلومهم نقتدي، وعلى أمثلتهم نحتذي، وإنما أردت بذلك التنبيه على فضل هذا القبيل من علم العربية، وأنه من أشرفه وأنفسه، حتى إن أهله المُشْبِلين عليه والمنصرفين إليه، كثيرا ما يُخطِئون فيه ويخلطون، فكيف بمن هو عنه بمعزِل، وبعلْم سواه متشاغِل.

٦) التصريف الملوكي: كتاب موجّز في الصرفي العربي، اختصر فيه كثيرًا من الأحكام الصرفية، وهو منشور، وشرحه ابن يعيش، وهو منشور أيضًا، ومن نماذجه:

«**ليس في كلام العرب اسم في آخره واو قبلها ضمة**– إنما ذلك في الفعل نحو يدعو ويغزو– فمتى وقع في الاسم من ذلك شيء أبدلت الضمة كسرة والواو ياء– وذلك قولهم في جمع دلو أدلٍ وفي جمع حقو أحق والأصل أدلو وأحقو ففعل فيهما ما تقدم ذكره[١]».

(١) التصريف المملوكي/ ابن جني ص ٤٨– ٤٩.

التعريف بكتاب"الخصائص":

"الخصائص" يكاد يكون أعظم كتب ابن جني، وأكثرها دلالة على سعة علمه وتعمُّقه في البحث واستقصائه في الدرس اللغوي. وهو كتاب فريد في بابه، فقد جمع فيه مسائل في أصول اللغة والنحو، ولم يَسْبِق لنحويّ أو لغويّ أن تكلَّم فيها على هذا النحو.

لماذا ألَّفه؟

عاب ابنُ جني على علماء البصرة والكوفة "تحاميَهم طريقَ الإلمام به" وأرجع السبب في هذا إلى "امتناع جانبه، وانتشار شَعاعه، وبادي تَهاجُر قوانينه وأوضاعه" وقد دفع هذا ابنَ جني إلى وضع كتاب الخصائص،" لأنا لم نرَ أحدًا من علماء البلدين[البصرة والكوفة] تعرَّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه، فأما كتاب أصول أبي بكر(١)" فلم يُلَمِّمْ فيه بما نحن عليه إلا حرفًا أو حرفين في أوله".

وهناك دافعٌ ثانٍ يشرحه ابن جني بقوله:

"ثم إن بعض مَن يعتادني، ويُلِمّ لقراءة هذا العلم بي، مِمَّن آنسَ بصحبته لي، وارتضى حالَ أَخْذِه عنّي، سألَ فأطالَ المسألةَ، وأكثر الحفاوة والمُلاينة، أن أُمْضيَ الرأيَ في إنشاء هذا الكتاب، وأُوليه طرفًا من العناية والانصباب، فجَمَعتُ بين ما أعتقدُه من وجوب ذلك عليَّ، إلى ما أُوثِرُه من إجابة هذا السائل لي".

تسمية الكتاب:

تسمية الكتاب بالخصائص تدلّ على مادته، فمباحث الكتاب تشير إلى خصائص العربية في اللفظ والمعنى، وتُشير أيضًا إلى القوانين العامّة التي تنتظم هذه اللغة، فقد اشتمل الكتاب على كثير من القضايا اللغوية العامّة؛ من أمثلتها:

١) باب في القول على اللغة وما هي.

---

(١) يقصد كتاب"الأصول في النحو" لأبي بكر بن السرّاج (ت ٣١٦هـ).

٢) باب القول على أصول اللغة أإلهامٌ هي أم إصلاح.

٣) باب ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية.

٤) باب القول على الاطراد والشذوذ.

٥) باب في مقاييس العربية.

٦) باب في تعارض السماع والقياس.

٧) باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة.

٨) باب في الحمل على أحسن الأقبحين.

٩) باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني.

١٠) باب من غلبة الفروع على الأصول.

وفيما يلي نموذجان من كتاب"الخصائص" يدلان على أسلوب ابن جني في عرض القضايا اللغوية، كما يدلان على عُمْقٍ في معالجتها:

النموذج الأول- باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية:

اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتدٌّ مُراعًى مُؤْثَرٌ، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها اللغوية، ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض.

فمنه جميع الأفعال. ففي كل منها الأدلة الثلاثة. ألا ترى إلى قام، ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه. ودلالة معناه على فاعله فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه.

وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبَل أنها وإن لم تكن لفظًا فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة. وأما المعنى فإنما دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال، وليست

في حيز الضروريات، ألا تراك حين تسمع (ضرب) قد عرفت حدثه، وزمانه، ثم تنظر فيما بعد، فتقول: هذا فعل، ولابد له من فاعل، فليت شعري من هو؟ وما هو؟ فتبحث حينئذ إلى أن تعلم الفاعل من هو وما حاله، من موضع آخر لا مسموع «ضرب»، ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعله كل مذكر يصح منه الفعل، مجملاً غير مفصل. فقولك: ضرب زيد، وضرب عمرو، وضرب جعفر، ونحو ذلك شرع سواء، وليس «لضرب» بأحد الفاعلين هؤلاء ولا غيرهم خصوص ليس له بصاحبه، كما يخص بالضرب دون غيره من الأحداث، وبالماضي دون غيره من الأبنية، ولو قُلْتَ إنما تستفيد الفاعل من لفظ. «ضرب» لا معناه للزمك إذا قلت: «قام» أن تختلف دلالتهما على الفاعل لاختلاف لفظيتهما، كما اختلفت دلالتهما على الحدث لاختلاف لفظيهما، وليس الأمر في هذا كذلك، بل دلالة «ضرب» على الفاعل كدلالة قام، وقعد، وأكل وشرب وانطلق، واستخرج عليه، لا فرق بين جميع ذلك.

فقد علمت أن دلالة المثال على الفاعل من جهة معناه، لا من جهة لفظه، ألا ترى أن كل واحد من هذه الأفعال وغيرها يحتاج إلى الفاعل حاجة واحدة، وهو استقلاله به وانتسابه إليه، وحدوثه عنه، أو كونه بمنزلة الحادث عنه، على ما هو مبين في باب الفاعل... وكذلك «الضرب» و«القتل» نفس اللفظ يفيد الحدث فيهما، ونفس الصيغة تفيد فيهما صلاحهما للأزمنة الثلاثة، على ما تقوله في المصادر. وكذلك اسم الفاعل- نحو «قائم» و«قاعد»- لفظه يفيد الحادث الذي هو القيام والقعود، **وصيغته وبناؤه يفيد كونه صاحب الفعل.** وكذلك «قطَّع» و«كسَّر»، فنفس اللفظ ها هنا يُفيد معنى الحدث، **وصورته تفيد شيئين: أحدهما الماضي، والآخر تكثير الفعل،** كما أن ضارَبَ يفيد بلفظه الحدث. **وببنائه الماضي. وكون الفعل من اثنين.** وبمعناه على أن له فاعلاً. **فتلك أربعة معانٍ.** فاعرف ذلك إلى ما يليه، فإنه كثير، لكن هذه طريقه».

التعليق على ابن جني في هذا النص:

يمكننا أن نصوغ الأفكار الرئيسية في هذا النصّ مع إضافة تعليقاتنا في

سبع نقاط هي:

التعليق الأول:

أنواع الدلالة التي يمكن أن يؤديها اللفظ ثلاثة هي الدلالة اللفظية، والدلالة الصناعية، والدلالة المعنوية:

أ- **الدلالة اللفظية:** هي المعنى المفهوم من اللفظ، وهي تساوي الدلالة المعجمية، فالفعل «قام» يفهم من لفظه «القيام» وهو المصدر.

ب- **الدلالة الصناعية:** هي المعنى المفهوم من «الصيغة» ويمكن أن تسمى الدلالة الصرفية أو دلالة الصيغة، فالفعل «قام» صيغ على وزن الفعل الماضي، لذا فإن هذه الصياغة (=البناء) دلت على الزمن الماضي، أما «يقوم» فيدل بناؤه على الزمن المضارع، أما قاتلَ، تقاتلَ، فتدلان ببنائهما على الزمن الماضي، وأيضًا على المشاركة، إذ إن هذين فعلان مزيدان، وصيغ الزيادة لها معان (دلالات)، وفاعل وتفاعل تدل على المشاركة.

ج- **الدلالة المعنوية:** وهي تحديد العنصر المطلوب الذي يتطلبه اللفظ، وتحديد صفاته:

فالفعل «قام» يتطلب الفاعل، والفعل «كسر» يتطلب الكاسر و«المكسور»، والفعل «أعطى» يتطلب «المُعطي» و«المُعطَى له» و«العطيَّة».

كما يحدد اللفظ أيضًا صفات هذا العنصر الغائب، فالفعل: «نفق» يتطلب أن يكون الفاعل «حيوانًا» والفعل «أناخ» يتطلب الفاعل إنسانًا والمفعول جملاً. والفعل «أغمض» يتطلب أن يكون الفاعل إنسانًا أو حيوانًا، لا جمادًا ولا نباتًا. وهكذا... فكُل هذه الدلالات تدخل في إطار ما سماه ابن جني «الدلالة المعنوية» أي أن معنى اللفظ يتطلب عناصر معينة ليتم المعنى ولهذا فهي داخلة في مجال التراكيب (النحو).

التعليق الثاني:

أن هذه الدلالات **ليست على درجة واحدة من القوة**، فإن أقواهن الدلالة اللفظية لأنها لازمة للفظ ثم الدلالة الصناعية إذ إن **بعض الألفاظ لا تتيسر لها بعض الدلالات الصناعية**، نحو: «بئس» التي لا يأتي منها المضارع والأمر، و«كاد» التي لا يأتي منها الأمر، أو «كان» التي لها معنى لفظي **(معجمي)** لكنها تخلو أحيانًا من الدلالة الصناعية، وهي: دلالتها على الزمن. إذن فالدلالة اللفظية أعم وأشمل ولهذا كانت أقوى من الدلالة الصناعية.

أما الدلالة المعنوية فإنها أقل الدلالات قوة، فأبواب النحو تمتلئ بالمواضع التي يحذف فيها الفاعل، أو يحذف فيها المفعول، أو الخبر فهي أقل لزومًا من الدلالتين السابقتين ولذلك هي أقلهن قوة.

التعليق الثالث:

الدلالة المعنوية ليست صورة يحملها اللفظ كالدلالتين الأخريين، وإنما هي دلالة تعرف عن طريق الاستدلال العقلي، فأنت بمجرد أن تسمع «كتب» تعرف فورًا معناه وصيغته، ثم تسأل نفسك بعد ذلك أين الفاعل؟ وأين المفعول؟ وتُحَكِّم عقلك في معرفة طبيعة ذلك الفاعل وذلك المفعول، ولذا **فإن المجاز يدخل إلى اللغة من ناحية الدلالة المعنوية.**

التعليق الرابع:

الدلالة المعنوية ثلاثة أنواع:

أ- **دلالة معنوية عامة:** وتعني أن العنصر المطلوب يجوز أن يكون لفظًا عامًا سواء أكان دالاً على إنسان أو حيوان، أو جماد «أو نبات»، مثل مفعول «رأى» الذي يمكن أن يكون أي شيء حتى لو لم يكن محسوسًا (رأى العلمية) وهذا النوع من الدلالة لم يشر إليه ابن جني.

ب- **دلالة معنوية محدَّدة:** وتعني أن العنصر المطلوب له صفات يمكن

توافرها في جنس محدد من الموجودات، وقد أشار إلى ذلك ابن جني ضاربًا المثال بالفعل «ضرب» «ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعله كل مذكر صح منه الفعل، مجملاً غير مفصل، فقولك: ضرب زيد وضرب عمرو، وضرب جعفر، ونحو ذلك شرعٌ سواء».

ففاعل «ضرب» إذن يجب أن تتوافر فيه صفتان هما:

١- مذكر: فلا يصح أن يكون مؤنثًا(هذا هو الأصل، وإلا فقواعد النحو تجيز أن يكون فاعله مؤنَّثًا. مجازيًّا، أو مؤنّثًا حقيقيًّا فُصِل بينه وبين فعله).

٢- يصح أن يقع منه الفعل أي يكون(إنسانًا).

ج- **دلالة معنوية خاصة (فردية):** وهنا يكون العنصر المطلوب لفظًا معيَّنًا، يكاد يفهم حتى لو لم نصرح به، فإذا سمعت «خرير» فإنك ستعرف المضاف إليه «الماء» دون أن يُذكَر، وإذا سمعت «هطل» فإنك ستعرف الفاعل «المطر» دون أن يذكر. وهذا ما يطلق عليه المحدثون «المصاحبة» ومن أمثلتها: ريان يا../ عمار يا../ زغلول يا.. ومن أمثلتها في الأفعال: عوى (الذئب)، صهل (الحصان)، ماءت (القطة)، وهذا النوع لم يشر إليه ابن جني.

التعليق الخامس:

العنصر المطلوب الذي تحدده الدلالة المعنوية قد يكون مطلوبًا نحويًا وعقلاً وقد يكون مطلوبًا عقلاً فقط.

فالعنصر المطلوب في الفعل هو مطلوبٌ من الوجهة النحوية، ويقدر في حالة غيابه، أما في الاسم نحو القتل، والضرب فإن العنصر المطلوب مطلوب عقلاً وليس مطلوبًا نحويًا.

فالقتل والضرب لهما دلالة لفظية، وهي الدلالة على الحدث المفهوم منهما،

ولهما دلالة صناعية (صرفية) وهي عدم الدلالة على زمن محدد لأنهما مصدران فهما مجردان من الزمان، ولذا فهما صالحان للماضي والمضارع.

أما الدلالة المعنوية التي يستدل بها على وجود قاتل وقتيل، وعلى وجود ضارب ومضروب، هذه الدلالة لا تحدد مطلوبًا نحويًا، لأننا لا نعرف ما الموقع النحوي الذي سيشغله هذا الاسم، هل هو خبر، أو مبتدأ، أو فاعل، أو مفعول، أو حال، أو صفة.. إلخ، إذ بناء على هذا الموقع النحوي نحدد العنصر الغائب (المطلوب)، أما الفعل فإن الأمر فيه واضح إذ يتطلب فاعلاً إذا كان لازمًا، وفاعلاً ومفعولاً إذا كان متعديًا وهكذا.

التعليق السادس:

الدلالة المعنوية عند ابن جني هي ما يطلق عليه في المدرسة التوليدية التحويلية «**سمات الانتقاء**»؛ حيث تنتقي كل كلمة ما يتناسب معها دلاليًا وشكليًا.

وقد أشار ابن جني إليهما كليهما:

أ- فمن الناحية الدلالية قال: «يصح منه الفعل» أي أن فاعل «بكى» يصح منه البكاء، وفاعل «تبعثر» يصح منه التبعثر.

ب- ومن الناحية الشكلية قال «يصلح أن يكون فاعله كل مذكر» أي أن فاعل «ضرب» مذكر، وفاعل «ضربت» مؤنث، وإن كان يمكن أن نستدرك عليه أن فاعل «ضرب» يمكن أن يكون أيضًا مؤنثًا، إما مجازيًا، وإما حقيقيًا مفصولاً بينه وبين فعله كما تقضي بذلك قواعد اللغة.

التعليق السابع:

الدلالة المعنوية أو سمات الانتقاء هذه عنصر هام من عناصر تكوين وإعراب الجمل عن طريق **الحاسب الآلي**، إذ يتم تصنيف الأفعال دلاليًا بحسب ما تتطلبه من فاعل إذا كانت لازمة وما تتطلبه من فاعل ومفعول إذا كانت متعدية، كما يتم تصنيف الأسماء دلاليًا بحسب ما تضاف إليه، وما توصف به، وعن طريق

هذه المعلومات- وغيرها- يمكن للحاسب الآلي أن يولد جملاً عربية سليمة كما يمكنه أن يحلل ما يعطى إليه من جمل وعبارات. وكل هذا مفيدٌ جدًّا في الترجمة الآلية التي تعاني كثيرًا في اللغة العربية بسبب إغفال كثيرٍ من هذه الأمور.

النموذج الثاني- باب فيما يُؤْمِنُهُ عِلْمُ العربية من الاعتقادات الدينية:

اعلم أن هذا الباب من أشرف أبواب هذا الكتاب وأن الانتفاع به ليس إلى غاية ولا وراءه من نهاية.

وذلك أن أكثر مَنْ ضَلَّ من أهل الشريعة عن القصد فيها وحادَ عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه واستخفَّ حِلْمَه ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة، التي خوطب الكافةُ بها، وعُرِضَت عليها الجنةُ والنارُ من حواشيها وأحنائها، وأصلُ اعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه منها وجازَ عليهم بها وعنها.

وذلك أنهم لما سمعوا قول الله - سبحانه وعلا عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا- { يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ } وقوله- عز اسمه - { فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ} وقوله: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } وقوله تعالى:{مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا} وقوله: { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} وقوله: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} وقوله: {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} ونحو ذلك من الآيات الجارية هذا المجرى، وقوله في الحديث: "خلق اللهُ آدمَ على صورته"، حتّى ذهبَ بعضُ هؤلاء الجُهّال في قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} أنها ساقُ ربِّهم - ونعوذ بالله من ضَعَفَةِ النظر وفساد المُعْتَبَر - ولم يَشُكُّوا أن هذه أعضاءٌ له وإذا كانت أعضاءً، كان هو . لا محالة . جسمًا معضًّى، على ما يشاهدون من خلقِه، عزَّ وجهُه، وعلا قدرُه، وانحطَّت سوامى الأقدارِ والأفكارِ دونه.

ولو كان لهم أَنَسٌ بهذه اللغة الشريفة، أو تصرُّفٌ فيها، أو مزاولةٌ لها، لَحَمَتْهُم السعادةُ بها ما أصارتْهُم الشِّقْوَةُ إليه بالبُعْدِ عنها.

وسنقول في هذا ونحوه ما يجب مثلُه.

ولذلك ما[١] قال رسول الله صلى اله عليه وسلم لرجلٍ لَحَنَ: "أَرْشِدوا أخاكم فإنه قد ضَلَّ"، فسمَّي اللحنَ ضلالاً، وقال عليه السلام: "رحم الله امرأً أصلحَ من لسانِه" وذلك لِمَا عَلِمَه . صلى الله عليه وسلم . مِمّا يُعْقِبُ الجهلُ لذلك من ضِدّ السداد وزيغ الاعتقاد.

وطريق ذلك أن **هذه اللغة أكثرها جارٍ على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة.**

وقد قدمنا ذكر ذلك في كتابنا هذا وفي غيره.

فلما كانت كذلك وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسَعة مذاهبها، وانتشار أنحائها، جرى خطابُهم بها مَجْرَى ما يألفونه ويعتادونه منها، وفَهِموا أغراض المخاطب لهم بها على حَسْبِ عُرْفِهم وعادتِهم في استعمالها.

وذلك أنهم يقولون: "هذا الأمر يَصْغُرُ في جنب هذا" أي بالإضافة إليه وقَرْنِه به. فكذلك قوله تعالى: {يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ} أي فيما بيني وبين الله إذا أضفتُ تفريطي إلى أَمْرِه لي ونَهْيِه أياي. وإذا كان أصله اتساعًا جرى بعضه مجرى بعض.

وكذلك قوله– صلى اله عليه وسلم–: "كل الصيد في جنب الفِرا"[٢] أي: كأنه يصغُر بالإضافة إليه وإذا قيس به.

وكذلك قوله– سبحانه–: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}، إنما هو الاتجاه إلى

---

(١) هذه ليس (ما) النافية، بل هي زائدة، والكلام موجَب وليس منفيًّا، وهذا من خصائص أسلوب ابن جني.

(٢) تمامه : "يا أبا سفيان أنت كما قال القائل كل الصيد فى جوف الفِرا". قال له الرسول صلى الله عليه وسلَّم . ذلك يتألفه على الإسلام، يعني أنت في الصيد كحمار الوحش، كل الصيد دونه، والفَراء: جمع فرأ وهو حمار الوحش " يهمز ولا يهمز"وهو من أشد الصيد عدوا ولذلك يضرب به المثل.

الله، ألا ترى إلى بيتِ "الكتاب"[(١)]:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أي الاتجاه.

فإن شئتَ قلتَ: إن الوجه هنا مصدرٌ محذوفُ الزيادةِ، كأنه وضع الفعل موضع الافتعال[(٢)]، كـ "وحدة" و"قيد الأوابد" – في أحد القولين – ونحوهما.

وإن شئتَ قلتَ: خَرَجَ مَخْرَجَ الاستعارة.

وذلك أن وجهَ الشيء أبدًا هو أكرمُه وأوضحُه فهو المُراد منه والمقصودُ إليه. فجرى الاستعمال مجرى العُرْف فيه والعادة في أمثاله.

وقوله تعالى: {مِمَّا عَمِلَتْه أَيْدِينا} إن شئت قلت: لما كان العُرف أن يكون أكثرُ الأعمال باليدِ، جرى هذا مجراه.

وإن شئت قلت: (الأيدي) هنا جمع (اليدِ) التي هي القوة، فكأنه قال: مما عملته قوانا أي القوى التي أعطيناها الأشياء، لا أنَّ له – سبحانه – جسمًا تَحُلّه القوة أو الضعف.

وقوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} أي تكون مَكْنوفًا برأفتي بك، وكَلاءَتي لك، كما أن مَنْ يشاهده الناظرُ له، والكافلُ به، أدنى إلى صلاح أموره، وانتظامِ أحوالِه، مِمَّنْ يَبْعُدُ عَمَّن يُدَبِّرُه، ويَلِي أمرَه، قال المُوَلَّدُ[(٣)]:

شَهِدُوا وغِبْنا عنْهم فتحكَّموا ... فِينا، وليسَ كغائبٍ من يَشْهدُ

وهو باب واسع.

---

(١) يقصد: كتاب سيبويه.

(٢) يقصد الوجه بمعنى: الاتجاه، فحفت من (الاتجاه) حروف الزيادة، وأبقيت على الحروف الثلاثة الأصلية (وجه)، مثل (وحدة): بمعنى(الاتحاد)، و(قَيد) بمعنى (الاقتياد).

(٣) المولَّد: لفظ يُطْلَق على من جاء بعد عصور الاحتجاج، والبيت للشاعر علي بن الجَهم.

وقوله: {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}، إنْ شِئتَ جعلت اليمينَ هنا الجارحةَ، فيكون على ما ذهبنا إليه من المجاز والتشبيه، أي حصلتِ السمواتُ تحت قدرتِه حصولَ ما تُحيطُ اليدُ به في يمينِ القابِضِ عليه، وذُكِرَتِ اليمينُ هنا دونَ الشمال؛ لأنها أقوى اليدين، وهو من مواضع ذكر الاشتمال والقوة.

وإن شئت جعلت اليمين هنا القوَّةَ كقوله[الشمّاخ]:

إِذَا مَــــا رَايَـــــةٌ رُفِعَـــتْ لِمَجْـــد تَلَقَّاهَـــــا عَرَابَـــــةُ بِـــــالْيَمِينِ

أي بقوته وقدرته، ويجوز أن يكون أراد بيد عرابة: اليمنى على ما مضى.

وحدثنا أبو علي[١] سنة إحدى وأربعين قال: في قول الله – جل اسمه .{فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ} ثلاثة أقوال: أحدها: باليمين التي هي خلاف الشمال.

والاخر باليمين التي هي القوة.

والثالث باليمين التي هي قوله {وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم} فإن جعلت يمينه من قوله: {مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} هي الجارجة مجازًا وتشبيهًا كانت الباء هنا ظرفا أي مطويات في يمينه وتحت يمينه.

وإن جعلتها القوة لم تكن الباء ظرفا لكنها تكون حرفًا معناه الإلصاق والاستعانة به على التشبيه بما يستعان به كقولهم: ضرب بالسيف وقطع بالسكين وحفر بالفأس.

هذا هو المعنى الظاهر وإن كان غيره جائزا على التشبيه والسعة".

---

(١) يقصد شيخَه أبا عليّ الفارسي.

ملخّص الوحدة الخامسة

تكلمنا في هذه الوحدة عن كتاب "الخصائص" لابن جني، وقد تم عرض الموضوع من خلال أفكارٍ محددة؛ هي:

١ . التعريف بابن جني وأصله ومولده ووفاته.

٢. ابن جني وأبو علي الفارسي: تناولنا فيه العلاقة بين ابن جني وأستاذه أبي عليّ الفارسيّ، وبيّنّا خصوصية هذه العلاقة منذ بدايتها حين سمع أبو عليّ ابنَ جني وهو يتكلّم في مسألة صرفية، فوجده مقصّرا. فلزمه ابن جني، إلى أن مات أبو علي فخلفه ابن جنّى في تدريس النحو ببغداد.

٣. ابن جنّي والمتنبي: تكلمنا فيه عن العلاقة بين ابن جني والمتنبي الشاعر المشهور، والتقدير المتبادَل بينهما.

٤. كتب ابن جني: أعطينا فيه فكرةً عن بعض كتب ابن جني وبخاصة الكتب ذات العلاقة بالفكر اللغوي، كما أعطينا نموذجًا لكل كتاب من الكتب التي عرضناها، لتمكين الدارس من التعرف على أفكار أخرى لابن جني، والكتب التي أشرنا إليها هي:

١) سِرّ صناعة الإعراب: بحثٌ عميق في حروف المعجم، وبيانٌ وافٍ بالخصائص النطقية لكل أصوات اللغة، بدأ بمقدّمة مهمّة حوَت كثيرًا من المعلومات الصوتية العامة، ثم تناول هذه الحروف حرفًا حرفًا، يبيِّن فيه كلَّ ما يتعلق بهذا الحرف؛ من حيث كونه يرِدُ أصلا أو بدلا، أو زائدًا، ومن حيث من حروف المباني أوالمعاني، ثم يبيِّن الحروف التي يكون هو بدلا منها.

٢) اللُّمَع في النحو: يتعرّض فيه للقواعد النحوية بالشرح والتمثيل، وهو كتاب منشور.

٣) المُحْتَسَب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها: وهو كتاب في

الاجتجاج للقراءات الشاذة وتأويل وجوهها لُغويًّا، ونحويًّا، وقد نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

٥) المنصف: وهو شرح لكتاب "التصريف" لأبي عثمان المازني، وهو منشور.

٦) التصريف الملوكي: كتاب موجّز في الصرفي العربي، اختصر فيه كثيرًا من الأحكام الصرفية، وهو منشور، وشرحه ابن يعيش، وهو منشور أيضًا.

التعريف بكتاب "الخصائص": "الخصائص" يكاد يكون أعظم كتب ابن جني، وأكثرها دلالة على سعة علمه وتعمُّقه في البحث واستقصائه في الدرس اللغوي. وهو كتاب فريد في بابه، فقد جمع فيه مسائل في أصول اللغة والنحو، ولم يَسْبِق لنحويّ أو لغويّ أن تكلَّم فيها على هذا النحو.

لماذا ألَّفه؟ أشرنا في هذا العنصر إلى الدافعين اللذين دفعا ابن جني إلى تأليف هذا الكتاب.

تسمية الكتاب: شرحنا فيه موضوع الكتاب الذي يتناول خصائص العربية في اللفظ والمعنى، وتُشير أيضًا إلى القوانين العامّة التي تنتظم هذه اللغة، فقد اشتمل الكتاب على كثير من القضايا اللغوية العامّة.

وقدمنا نموذجين من كتاب "الخصائص" يدلان على أسلوب ابن جني في عرض القضايا اللغوية، كما يدلان على عُمْقٍ في معالجتها:

النموذج الأول- باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية:

قدمنا فيه حديث ابن جني عن أنواع الدلالات التي يحملها اللفظ في اللغة العربية، وقد علّقنا من ذهن القارئ، وكان ملخَّص تعليقنا على النص:

التعليق الأول: أنواع الدلالة التي يمكن أن يؤديها اللفظ ثلاثة هي الدلالة اللفظية، والدلالة الصناعية، والدلالة المعنوية:

أ- **الدلالة اللفظية:** هي المعنى المفهوم من اللفظ، وهي تساوي الدلالة المعجمية.

ب- الدلالــة الصــناعية: هـي المعنـى المفهـوم مـن «الصـيغة» ويمكـن أن تسمى الدلالة الصرفية أو دلالة الصيغة.

ج- الدلالـة المعنويـة: وهي تحديد **العنصر المطلوب** الذي يتطلبه اللفظ، **وتحديد صفاته.**

التعليق الثاني: أن هذه الدلالات **ليست على درجة واحدة من القوة**، فإن أقواهن الدلالة اللفظية لأنها لازمة للفظ ثم الدلالة الصناعية،أما الدلالة المعنوية فإنها أقل الدلالات قوة.

التعليق الثالث: الدلالة المعنوية ليست صورة يحملها اللفظ كالدلالتين الأخريين، وإنما هي دلالة تعرف عن طريق الاستدلال العقلي.

التعليق الرابع: الدلالة المعنوية ثلاثة أنواع:

أ- دلالة معنوية عامة.

ب- دلالة معنوية محدَّدة.

ج- دلالة معنوية خاصة (فردية).

التعليق الخامس: العنصر المطلوب الذي تحدده الدلالة المعنوية قد يكون مطلوبًا نحويًا وعقلاً وقد يكون مطلوبًا عقلاً فقط.

التعليق السادس: الدلالة المعنوية عند ابن جني هي ما يطلق عليه في المدرسة التوليدية التحويلية «**سمات الانتقاء**»حيث تنتقي كل كلمة ما يتناسب معها دلاليًا وشكليًا.

التعليق السابع: الدلالة المعنوية أو سمات الانتقاء هذه عنصر هام من عناصر تكوين وإعراب الجمل عن طريق **الحاسب الآلي**. إذ يتم تصنيف الأفعال دلاليًا بحسب ما تتطلبه من فاعل إذا كانت لازمة وما تتطلبه من فاعل ومفعول إذا كانت متعدية، كما يتم تصنيف الأسماء دلاليًا بحسب ما تضاف إليه، وما

توصف به، وعن طريق هذه المعلومات- وغيرها- يمكن للحاسب الآلي أن يولد جملاً عربية سليمة كما يمكنه أن يحلل ما يعطى إليه من جمل وعبارات.

ثم قدمنا نموذجًا ثانيًا وهو " باب فيما يُؤْمِنُهُ عِلْمُ العربية من الاعتقادات الدينية"

بغرض قيام الدارس بالاعتماد على نفسه في تحليل مذثل هذه النصوص، وفي هذا النصّ يقرر ابن جني حقيقة أنَّ أكثر مَنْ ضَلَّ من أهل الشريعة عن القصد فيها وحادَ عن الطريقة المثلى إليها، فإنما أوقعه في ذلك ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة، التي خوطب الكافةُ بها.

أسئلة على الوحدة الخامسة

س١: صَف العلاقة بين ابن جني وأبي علي الفارسي.

س٢: صِف العلاقة بين ابن جنّي والمتنبي.

س٣: اذكر أربعة من كتب ابن جني، وعرِّف بها تعريفًا يسيرًا.

س٤: في أي كتابٍ ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

"النون حرف مجهور أغن يكون أصلا وبدلا وزائدا"

س٥: في أي كتابٍ ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

"إذا خاطبت إنسانا فاجعل أول كلمة للمذكور الغائب وآخرها للحاضر المخاطب".

س٦: في أي كتابٍ ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

"قرأ "عليهُمُو" ابن إبي إسحاق"

س٧: في أي كتابٍ ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

"وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يُوصَل إلى ذلك إلا من طريق التصريف".

س٨: في أي كتابٍ ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

"ليس في كلام العرب اسم في آخره واو قبلها ضمة"

س٩: في أي كتابٍ ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

"وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبَل أنها وإن لم تكن لفظًا فإنها صورة يحملها اللفظ".

س١٠: في أي كتابٍ ورد هذا النصّ؟ وكيف تشرحه؟

"وليس «لضرب» بأحد الفاعلين هؤلاء ولا غيرهم خصوص ليس له بصاحبه"

س١١: لخِّص "باب الخطاب في " من كتاب" اللمع في النحو".
س١٢: اذكر ثلاثًا من القراءات التي أوردها ابن جني في قوله تعالى:"أنعمت عليهم".
س١٣: في أي كتاب تكلَّم ابن جني عن" علم التصريف والحاجة إليه".
س١٤: لماذا ألَّف ابن جني كتابَ الخصائص؟
س١٥: اذكر أربعة من أبواب كتاب الخصائص.
س١٦: ماذا يقصد ابن جني بـ"الدلالة اللفظية"؟
س١٧: ماذا يقصد ابن جني بـ"الدلالة الصناعية"؟
س١٨: ماذا يقصد ابن جني بـ"الدلالة المعنوية"؟
س١٩: ما ترتيب أنواع الدلالات عند ابن جني من حيث القوّة؟
س٢٠: اذكر أنواع الدلالة المعنوية، كما شرحناها، مع التمثيل.
س٢١: ضع علامة(X) أمام الجملة الصحيحة، وعلامة (Y) أمام الخطأ، مع تصحيح الخطأ.

أ) الدلالة المعنوية أقلّ قوّةً من الدلالة الصناعية. ( )
ب) الدلالة المعنوية ليست هي سمات الانتقاء. ( )
ج) أنواع الدلالات عند ابن جني أربعةٌ. ( )
د) أقسام الكلام عند سيبويه ثلاثة. ( )
هـ) شرح ابن جني ديوان المتنبي مرتين. ( )

س٢٢: ما الفكرة التي عرضها ابن جني في "باب فيما يُؤْمِنُهُ عِلْمُ العربية من الاعتقادات الدينية"؟ اشرح مع ضرب مثالٍ.
س٢٣: كيف تشرح قول الله تعالى: {يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}؟
س٢٤: كيف تشرح قول الله تعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}؟
س٢٥: كيف تشرح قوله تعالى: {مما عملته أيدينا}؟
س٢٦: كيف تشرح قوله تعالى:{وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}.

س٢٧: اذكر كتابًا واحد لكل اسم من الأسماء الآتية:

ابن جني . سيبويه . الكسائي . ابن جني . الثعالبي . ابن قتيبة

س٢٨: اذكر مؤلف كلّ كتابٍ مما يأتي:

التصريف الملوكي . الكتاب . أدب الكاتب . المحتسب . ثمار القلوب .

س٢٩: أكْمل اسماء المؤلَّفات الآتية:

التصريف..... . أدب.... . المحتسب.... . المزهر .... . ثمار القلوب.......

☑ نموذج إجابة

إجابة السؤال الأول:

تتلمذ ابن جنى على أبي علي الفارسيّ، وصحبه أربعين سنة. وكان سبب صحبته إياه أنَّ أبا عليّ الفارسي سافر إلى (الموصل)، فدخل الجامع، فوجد أبا الفتح عثمان بن جنى يقرأ النحو، وهو شاب، وكان بين يديه متعلّم، وهو يكلّمه في قلب الواو ألفا، نحو: قام، وقال، فوجده مقصّرا، فاعترض عليه أبو علي، وقال له: زبّبت قبل أن تحصرم، ثم قام أبو علي ولم يعرفه ابن جني، فسأل عنه، فقيل له: هو أبو علي الفارسي النحوي فأخذ في طلبه، وصاحبَه، وأخذ عنه، وصنَّف كتبَه في عهد أستاذه، فاستحسنها ووقعت عنده موقع الرضا.

وابن جني كثير الاعتزاز بأبي عليّ، كثير الرواية عنه في كتبه، وكان يُظهر من التعلّق به، والتقبُّل لرأيه، والانتفاع بعلمه، وهو في ذلك يُشبه "سيبويه" في نقله عن أستاذه"الخليل"، على أن ابن جني كثيرًا ما يذكر أن أستاذه كان يسأله في بعض المسائل، ويرجع لرأيه فيها، وأن أبا علي كان يقتنع بعلم ابن جني في بعض الأمور فيدوِّن رأيَه في كتبه.

إلى أن مات أبو علي فخلفه ابن جنّى في تدريس النحو ببغداد.

إجابة السؤال الثانى:

صحب ابن جني المتنبي الشاعر المشهور، واجتمعا معًا عند سيف الدولة بن حمدان، في حلب، وعند عَضُد الدولة في شيراز، وكان المتنبي يُجِلُّ ابن جني، ويقول فيه: هذا رجلٌ لا يعرف قدرَه كثيرٌ من الناس، وكان المتنبي إذا سُئِلَ عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره، يقول: سَلُوا صاحبَنا أبا الفتح.

وابن جني هو أول من شرح ديوان المتنبي، وقد شرحه شرحين" الشرح الكبير" و"الشرح الصغير" والأخير هو الباقي لنا، ونُشِرَ تحت عنوان"الفَسْر: شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي".

وكان ابن جني يُحْسِنُ الثناءَ على المتنبي في كتبه، ويستشهد بشعره في المعاني والأغراض، ويعبِّر عنه بـ"شاعرنا".

إجابة السؤال الرابع:

في كتاب "سر صناعة الإعراب"

وشرح النص هو:

* النون حرف مجهور أي تتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به، وأغن : أي يخرج من الأنف.

* يكون أصلا وبدلا وزائدا: أي يكون أصلا من أصول جذر الكلمة، ويقع في كل المواقع:

- فاء الجذر مثل: ن ب ل . ن ج ل . ن ج و . ن س م . ن س ي . ن ع م.
- عين الجذر مثل:ج ن ب . ج ن ح . ج ن د . ج ن ز . ج ن س . ج ن ف.
- لام الجذر مثل: أ ب ن . أ ت ن . أ ج ن . أ ح ن . أ خ ن . أ ذ ن . أ س ن.

* وأما البدل فإنه يأتي بدلاً من غيره، نحو:

يرى بعض اللغويين أن النون في فَعْلان فَعْلى نحو سكران وغضبان وولهان وحيران بدل من همزة فعلاء نحو حمراء وصفراء وإنما دعاهم إلى القول بهذا أشياء: منها أن الوزن في الحركة والسكون في فعلان وفعلاء واحد وأن في آخر فعلان زائدتين زيدتا معا والأولى منهما ألف ساكنة كما أن فعلاء كذلك.

إجابة السؤال الخامس:

ورد في كتاب: اللُّمَع في النحو لابن جني.

وشرح النص: يقصد ابن جني من هذا النص أن أسماء الإشارة فيها عنصران؛ الأول هو المشار إليه، والثاني هو المخاطب. وعلى المتكلم أن يراعي المطابقة في كلٍّ، على هذا النحو:

- المشار إليه مفرد مذكر والمخاطب مفرد مذكر: ذا + لام البعد + كَ= ذاك= ذلكَ(مع حذف الألف خطًّا فيها وفيما يشابهها من الصور الآتية).
- المشار إليه مفرد مؤنث والمخاطب مفرد مؤنث: ذا + لام البعد + كِ = ذلكِ.
- المشار إليه مثنى مذكر والمخاطب مفرد مذكر: ذان + كَ = ذانكَ.
- المشار إليه مثنى مؤنث والمخاطب مفرد مؤنث: تان + كِ = تانكِ.
- المشار إليه جمع والمخاطب مفرد مذكر: أولاء + ك = أولائكَ.
- المشار إليه مفرد مذكر والمخاطب مثنى مذكر: ذا + لام البعد + كما = ذلكما.
- المشار إليه مفرد مؤنث والمخاطب مثنى مذكر: تي + لام البعد + كما = **تلكما**، وقال تعالى:{ ألم أنه**كما** عن **تلكما الشجرة**}[1].
- المشار إليه مثى مذكر والمخاطب مثنى مذكر: ذان+ كما = **ذانكما**.
- المشار إليه مثى مؤنث والمخاطب مثنى مذكر: تان+ كما = **تانكما**.
- المشار إليه مفرد مذكر والمخاطب جمع مؤنث: ذا + لام البعد + كُنَّ= **ذلكُنَّ**، قال الله سبحانه:{ **فذلكن** الذي **لمتنني** فيه}[2].
- المشار إليه مفرد مذكر والمخاطب جمع مذكر: ذا + لام البعد+ كُمْ = **ذلكم**.

---

(١) {فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (٢٢) سورة الأعراف

(٢) {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاستَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ} (٣٢) سورة يوسف

إجابة السؤال السابع:

في كتاب: المنصف . شرح كتاب التصريف.

وشرح النص: أن كثيرًا من مفردات اللغة تُصاغ وفقًا لقواعد التصريف، وأننا نستطيع معرفة الصواب والخطأ بالاعتماد على علم التصريف؛ وذلك نحو قولهم: إن المضارع من فَعُل لا يجيء إلا على يَفْعُل بضم العين. فهذا يعني أنك لو سمعت إنسانا يقول: كرُم يكرَم بفتح الراء من المضارع، لحكمنا على (يكرَم) بالخطأ حتى لو لم نسمعها من قبل، وذلك بالاعتماد على المعلومات الصرفية.

كذلك ستحكم بالخطأ على من يقول(مديون) بالخطأ؛ لأنك تعلم من الصرف أن اسم الفاعل من الفعل الثلاثي الأجوف اليائي يجب فيه حذف واو مفعول (مزيد . معيب . مدين...) سواء أسمعت (مدين) أم لم تسمعها.

إجابة السؤال الثامن:

اسم الكتاب: التصريف الملوكي

شرح النص: «**ليس في كلام العرب اسم في آخره واو قبلها ضمة**، أو بالتعبير الصوتي: ضمّة طويلة، لكن ذلك يحدث في الفعل مثل: يدعو ويغزو وينجو ويسهو ويلهو.

فإذا حدث ذلك في الاسم فلابد من التغيير حتى لا يقع هذا المحذور؛ وذلك نحو:

جمع (دَلْوٌ) قياس فيه:(أَدْلُو) وهنا وقع المحذور، فأُبدلت ضمة اللام كسرة ووأُبدلَت الواو ياء، وعوملت معاملة المنقوص فحذفت الياء، فتحولت (أَدْلُو) إلى (أدلٍ) وكذلك:(حَقْوٌ[أي الخاصرة])/ أَحْقٍ) و (جَرْوٌ/ أَجْرٍ).

إجابة السؤال الثانى عشر:

١) "عليْهُمُو" بضم الميم وإشباع إلى الواو.

٢) "عليهُمُ" بضم الميم من غير إشباع إلى الواو.

٣) "عليهُمْ" بسكون الميم مع ضمة الهاء.

٤) "عليهِمي".

٥) "عليهِمْ" بكسر الهاء وسكون الميم.

٦) "عليهِمُو" بكسر الهاء وواو بعد الميم.

٧) "عليهِمُ" مكسورة الهاء مضمومة الميم من غير واو.

٨) "عليهُمِي" بضم الهاء وميم مكسورة بعدها ياء.

٩) "عليهُمِ" بضمة الهاء وكسرة الميم من غير إشباع إلى الياء.

١٠) "عليهِمِ" بكسرة الهاء وكسرة الميم أيضًا من غير بلوغ ياء.

إجابة السؤال الحادى والعشرين:

١- × ٢- y ٣- × ٤- × ٥- y

إجابة السؤال الثالث والعشرين:

يا حسرتي في تفريطي قياسًا بما أمرني به الله وبما نهاني عنه، فإن المؤمن يتحسّر على تفريطه في أوامر الله ونواهيه، فلم يتزم أوامره، ولم تجنب ما نهاه ربه عنه، فلم أكن في جانب الله أي في سبيله وتجاهه.

وهو المعنى الذي ورد أيضًا في قوله – صلى اله عليه وسلم –: "كل الصيد في جنب الفِرا" أي: كأنه يصغُر بالإضافة إليه وإذا قيس به.

إجابة السؤال الثامن والعشرين:

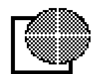
التصريف الملوكي: ابن جني.

الكتاب: سيبويه.

أدب الكاتب: ابن قتيبة.

المحتسب: ابن جني.

ثمار القلوب: أبو منصور الثعالبي.



الوحدة السادسة

كتابا "ما تلحن فيه العامة" و"المزهر في علوم اللغة وأنواعها"

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغى أن يكون الدارس قادرا على أن:

١- يتعرَّف الكسائي والسيوطي بوصفه من أهم علماء العربية ودور كلٍّ منهما في خدمة العربية.

٢- يقف على أهم الملامح التي تميِّز عملَ كلٍّ منهما.

٣- يتعرّف عن قرب بعض الأعمال اللغوية التي عملت على تصحيح العربية.

٤- يقف على طريقة في التأليف مبنية على الإفادة من المؤلفين السابقين.

٥- يتمرّس بنصوص الكتابين قراءةً وفَهمًا.

٦- يقترب من أسلوب العلماء العرب في تناول القضايا.

العناصر:

أولًا- كتاب "ما تلحن فيه العامّة".

١- مؤلِّفه:

- أحد القرّاء السبعة:
- نحويٌّ شهير:
- مُرَبٍّ ومُؤَدِّبٌ:
- مؤلَّفاتُه:

٢- المنهج والأسلوب:

٣- فائدة الكتاب:

٤- مرجعية الكتاب:

** مجموعة من مسائل كتاب"ما تلحَن فيه العامّة".

ثانيًا- "المُزْهِر في علوم اللغة وأنواعها".

١- التعريف بالمؤلِّف:

٢- إشارة إلى أشهر كتبه.

٣- التعريف بكتاب المُزْهِر.

٤- موضوع كتاب المزهر.

٥- أبواب كتاب المزهر.

٦- منهجُ الكتاب.

٧- نماذج من كتاب "المزهر في علوم اللغة وأنواعها:

النموذج الأول: النوع الثامن معرفة المصنوع.

النموذج الثاني:النوع العشرون معرفة الألفاظ الإسلامية.

النموذج الثالث: النوع الرابع والثلاثون معرفة النحت.

أولاً- كتاب "ما تلحن فيه العامّة":

مؤلِّفه:

الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة، ولِدَ عام ١١٩هـ، وتُوفِّيَ عام ١٨٩هـ، على ما رجَّح الدكتور رمضان عبد التواب، أما نشأته، فكانت في الكوفة، ولا يعني هذا أنه وُلِدَ بها، بل معناه أنه تربّى، وعاش فيها.

١ . أحد القرّاء السبعة:

أمّا إقْراء القرآن الكريم، فقد شرَّق وغرَّب، فهو أحد القُرّاء السبعة المشهورين،

وقد قرأ عليه خلْقٌ كثير ببغداد وغيرها من البلاد.

وكان في أول أمره يقرأ بقراءة حمزة بن حبيب الزيّات، ثمّ اختار له قراءةً خاصة به عُرِفَت بقراءة الكسائي، وقد جمعها من قراءات السلف وآثار الأئمّة.

ولم يترك الكسائي كثيرًا من قراءة حمزة إلا بعد حادثة حدثت له في أحد مواسم الحجّ، ورواها بنفسه، فقال:"حججت مع الرشيد، فقدمت لبعض الصلوات فقرأت {ذريَّةً ضَعافًا خافوا عليهم}، فأمَلْتُ {ضِعافا}، فَلَمَّا سلَّمتُ ضربوني بالنِّعال والأيدي وغير ذلك، حتى غُشِيَ عليّ، واتصل الخبر بالرشيد فوَجَّه بمَنِ استنقذَني، فلما جئتُه قالق لي: ما شأنُكَ؟ فقلتُ له: قرأتُ لهم ببعض قراءة حمزة الرديئة، ففعلوا بي ما بلَغَ أميرَ المؤمنين، فقال: بِئْسَ ما صنعتَ، ثمَّ ترك الكسائي كثيرًا من قراءة الكسائي.

٢) نحويٌّ شهير:

كان من الممكن أن يظلَّ الكسائي مجهولا لا يسمع به أحد، او أن يُشْتَهر قارئًا للقرآن الكريم فحسْب، ولكن حدث له حادثٌ غيَّر مجرى حياته، وجعل منه لغويًّا مشهورًا، ونحويًّا صاحب مدرسة، إلى جانب شهرته قارئًا من القرّاء السبعة المعروفين؛ فقد جلس يومًا مع جماعة من الناس، بعد أن مشى وتعِبَ من المشْي، فقال: قد عَيِيتُ، فعابوا عليه هذه الكلمة، وقالوا له: أَتُجالسُنا وأنت تلحنُ؟ فسألهم: وكيف لحنتُ؟ فأجابوه: إن كنتَ أردتَ من التَّعَب فقل: أَعْيَيْتُ، وإن كنتَ أردتَ من انقطاع الحيلة، والتحيُّر في الأمر، فقل: عَيِيتُ . مخفَّفَة . ، فأَنِفَ من هذه الكلمة، ثمَّ قام من فوره ذلك، فسأل عمَّن يعلِّم النحوَ، فأرشدوه إلى مُعاذ الهَرَّاء، فلَزِمَه حتى أنْفَدَ ما عنده، ثمّ خرج إلى البصرة، فلقي الخليل، وتميمًا جلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركتَ أسدًا وتميمًا، وعندها الفصاحة، وجئت إلى البصرة ؟ فقال الكسائي للخليل: من أينَ أخذتَ علمكَ هذا؟ فقال من بوادي الحجاز ونَجْد وتِهامة، فخرج الكسائي إلى البادية، وأخذ يُسائل البدوَ عن لغتهم، ويكتب عنهم ما يَرْوُونه.

وتذكر المصادر أنه أَنْفَدَ خَمْسَ عشرةَ قِنِّنَةَ من الحبر في الكتابة عن العرب، سوى ما حفظ، وبعد أن دوَّن عن العرب ما دوَّن، وحفظ عنهم ما حفظ، رجع مرةً أخرى إلى البصرة، ليجلس في حلقة الخليل فوجده قد مات، وجلس في موضعه "يونس بن حبيب" فجرت بينهما مسائل ومناظرات، ظهر فيها علمُ الكسائي، فأقرَّ له يونسُ فيها، وصدَّرَه موضعَه.

وذاع صيتُه بعد ذلك، واشْتُهِرَ أمرُه، وكان هذا سببًا في انتقاله إلى بغداد واتصاله بالخلفاء العباسيين.

٣. مُرَبٍّ ومُؤَدِّبٌ:

لَمَّا وليَ الرشيدُ الخلافةَ، أحضر إليه الكسائي في سنة ١٨٢هـ في السنة الثالثةَ عشرةَ لخلافته، وأخرج له ولديه: محمد [الأمي]، وعبد الله [المأمون]، وقال له: امتحِنْهُما، فأحسنا الجوابَ عمّا سألهما عنه، فأمره الرشيد أن يتفقَّدهما. قال الكسائي: فكنت أختلفُ إليهما في الأسبوع طَرَفَيْ نهارهما.

وقد كان الكسائي أمينًا في تأديب أولاد الرشيد، مُعاملًا لهم بالحزم،والشدّة؛ فقد رُوِيَ عنه أنه قال: " ولَّاني الرشيدُ تأديب محمد وعبد الله، فكنت أَشْدُدُ عليهما في الأدب، وآخُذْهما به أَخذًا شديدًا، وبخاصة محمد، فأتتني ذاتَ يومٍ "خالصةُ" أَمَةَ زبيدة[زوج الرشيد]، فقالت: يا كسائي، إن السيدة تقرأ عليك السلام، وتقول لك: حاجتي إليك أن تَرْفُقَ بابني "محمد"، فإنه ثمرة فؤادي، وقرَّة عيني، وأنا أرقّ عليه رقَّة شديدة. فقلتُ لـ"خالصةَ": إن "محمَّدًا" مُرَشَّحٌ للخلافة بعد أبيه، ولا يجوز التقصير في حقِّه".

٤. مؤلَّفاتُه:

ترك الكسائي وراءه ثروة كبيرة من المؤلَّفات؛ في النحو واللغة والقراءات، ولا عجبَ في هذا، فقد رُوِيَ أنه "أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب" كما سبق أن عرفنا، ولكن عوادي الزمن أتت على ما أَلَّفه، ولم يصل إلينا إلا القليل، وهي مخطوطة لم يُطبع منها سوى كتاب"**ما تلحن فيه العامة**"، موضع

حديثنا، وقد حقَّقه الدكتور رمضان عبد التواب، ونشره عام ١٩٨٢م.

٥. المنهج والأسلوب:

كتاب "ما تلحن فيه العام" كتابٌ رائدٌ في حركة التنقية اللغوية، وهي التي قام بها علماء اللغة للتنبيه إلى ما يقع في اللغة من انحراف عن المثال، ولعلّ هذه الريادة كانت سببًا في افتقاد الكتاب للمنهج الصارم الواجب اتباعه في التأليف؛ إذ لم يتوافر للكتاب المنهج العلمي الدقيق؛ إذ تُسْرَد فيه الألفاظ سَرْدًا، وتُعَدُّ عَدًّا، دونَ أيِّ نوعٍ من الترتيب أو التقسيم، وليس هذا بغريب على أول تأليف في موضوع "لحن العامّة"، فالكسائي لا يهتمّ بجمع النظير إلى نظيره، ومن أمثلة ذلك:

- حديثه عن الخطأ في ضبط عين الفعل الماضي(فَعَلَ) فقد توزَّعت الأفعال التي يقع فيها هذا الخطأ إلى مواضع متباعدة، على النحو الآتي:

١. حرَض. ٢ . نقَم. ٥ . عَجَزَ.

١١ . عَسَيْت. ١٨ . دَمَع. ٦٢ . نَكَلَ.[1]

فكلّ هذه الأرقام يجمعها عند الكسائيّ أنها تعالج أفعالًا مفتوحة العين، وكَسْرُها لَحْنٌ.

- حديثه عن الخطأ في تعدية بعض الأفعال بالهمزة في حين أن الصواب أنها تتعدّى بنفسها، ولا تحتاج إلى همزة التعدية:

٧. صرَفْتُ فلانًا. ٢٧ . شَغَلَني فلانٌ عن عملي.

٤٧. قد حَرَمْتُه. ٧٩. كَبَتَ اللهُ عَدوَّك.

٨٠ . قد خَصَيْتُ الفحْلَ. ٨٨ . هَدَيْتُ العروسَ إلى زوجها.

٩٤. حاطَكَ اللهُ بعَوْنِه. ١٠٢. دَفَقْتُ الإناءَ وهَرَقْتُه.

---

(١) هذه الأرقام هي ترقيم الموضوعات في كتاب "ما تلحن فيه العامّة" بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب.

فكلّ هذه الأرقام يجمعها أمر واحد، هو أنها تتعدى بنفسها، ولا تحتاج إلى همزة التعدية، فلا يُقال: أصرفتُ، ولا أشغلني، ولا أحْرَمْتُه...إلخ.

وكان عدم إحكام المنهج والترتيب، في كتاب الكسائي داعيًا لـ"محمد بن أحمد الحنفيّ العلائيّ" إلى إعادة كتابته من جديد على الترتيب الهجائي، وسمّاه "النصيحة التامّة للخاصّة والعامّة".

ومن منهج الكسائي أنه يبدأ كلّ فِقْرَة في الكتاب بعبارة "وتقول" أو "ويُقال"، وهو يكتفي في بعض الأحيان بذكر الصواب فقط، دون بيان الخطأ، وبذلك لا نعرف كيف كان نطقُ الناس ، في زمن الكسائيّ، للفظ الذي يتحدث عنه؛ فهو يقول مثلًا (رقم٨): وتقول: قد اشتريتُ بِطانةً جديدةً، بكسر الباء، قال الله . جلّ ذكرُه . " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بِطانةً من دونكم"، فلا ندري أكانت تُنطَق عند العامّة بفتح الباء أم بضمّها! وذلك على العكس من قوله مثلًا(رقم ٤٩):" وتقول: ول غَثَتْ نفسي، ولا يقال: غَثيَتْ بالياء. وكذلك: غَلَتِ القِدر،بلا ياء"؛ إذا إنه دلَّنا في هذا الموضع على أن الناس في عصره، كانوا يقولون: غَثيَت نفسي، وغَلِيَت القِدْر، لكنَّ مثل هذا البيان قليلٌ في كتابه.

ويحرص الكسائي . في كثير من الأحيان . على الاستشهاد بالقرآن الكريم والشعر.

٦ . فائدة الكتاب:

نستفيد من الكتاب، فضلًا عن عن بيان الصواب في استعمالات العربية، متابعة التطورات الصوتية في نطق العوام، وكذلك في استعمالات الصيغ الصرفية، لكنه لا يفيدنا كثيرًا في متابعة التغير الدلالي أو التغير في نظام التركيب النحوي للغة.

فمن أمثلة التطور الصوتي قوله (رقم ٣١): "وتقول سَمُّور وشَبُّوط وكَلُّوب، وسَفُّود، وكل ما كان على فَعُّول، بتشديد العين مفتوح الأول، وكذلك: دَبُّوق، وعَبُّود، وحَسُّون، إلا حرفين، فإن العرب تكلَّمت بهما بالضمّ والفتح، وهما: السُّبُّوح، والقُدُّوس،

وبعضهم يقول: السَّبُّوح، والقَدُّوس".

ففي هذه الأمثلة نلاحظ تطوّرًا صوتيًّا عند العامة؛ ذلك أنهم ضمُّوا الحرف الأول لتتناسب مع حركة الضمّ التالية لها، وهو ما يُسمَّى بالمماثلة الرجعية الكُلّية، وفيها يؤثِّر العنصر اللاحق في العنصر السابق عليه فيجعله مثله تمامًا.

ومن أمثلة التطور في الصيغة قوله(رقم٥١): وأغلَقْتُ البابَ فهو مُغْلَق، ولا يُقال:مَغلوق"، ففي هذا المثال تطوّر صرفي؛ إذ تغيَّر (مُغْلَق) إلى (مغْلوق)، قياسًا على (مفتوح)، وربما يمكن تفسير ذلك بالتلازم والتقابل في المعنى بين(مفتوح ومغلوق).

٧ . مرجعية الكتاب:

الكتاب مرجعٌ مهم في بيان الصواب اللغوي، إلا أننا لا ننصح بالاكتفاء به، ولا يجوز أن نبني حُكْمًا بصوابٍ أو خطأ، معتمدين عليه فقط؛ فإن بعض ما أشار إليه الكسائي على أنه خطأ، هو صحيح بالرجوع إلى مصادر أخرى، ولذلك سوف نضيف بعد بعض النماذج تعليقًا بما تُجيزُه مراجع أخرى.

وفيما يلي مجموعة من مسائل كتاب"ما تلحَن فيه العامّة" مُرَقَّمة بأرقامها في الكتاب، تتلو بعضَها تعليقات إذا كان في المسألة رأيٌ آخر، وستجد التعليق مسبوقًا بعلامة (◄).

١٠. وتقول: شكرتُ لك، ونصحتُ لك، ولا يقال: شكرتُك ونصحتُك. وقد نصحَ فلانٌ لفلان، وشكر له. هذا كلام العرب. قال تعالى{اشكُر لي ولوالدَيْكَ} و{اشكُروا لي ولا تكفرون} و{لا ينفعكم نصحي إنْ أردتُ أن أنصحَ لكم}.

◄ جاء في مسند أحمد ٧٧١٥- ... عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ».

وفي أدب الكاتب لابن قُتَيبَة ص ٢٧٦ طبعة دار الكتب العلمية[١]:" ويقولون " نَصَحْتُك، وشكرتك " والأجود نصحت لك وشكرت لك... وقال النابغة

---

(١) وص ٤٢٤ طبعة الرسالة . بيروت.

في اللغة الأخرى:

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلوا ... رَسولي ولمْ تَنْجَحْ لَديهِمْ وَسائِلِي

١٤. وتقول: وقع القومُ في صَعود، وهَبوط، وحَدور، مفتوحات الأوائل، وكذلك السَّحور؛ سحور الصائم، والفَطور أيضًا، على مثال "فَعول". قال عزَّ وجلَّ: {سأُرْهقه صَعودًا} وكذلك الرَّكوب، قال تعالى: "{فَمِنها رَكوبكم}.

١٥. وتقول: شُدَّ ثوبَك، وشُدَّ عليه، بضمّ الشين. قال تعالى: {فشُدُّوا الوَثاق}.

٢٠. وتقول: وَدِدْتُ أني في منزلي، بكسر الدال الأولى.

٢٤. ويُقال: هذا خَصْمٌ، وأنت خَصْمي، بفتح الخاء، ولا يُقال بكسر الخاء. قال تعالى: {هذان خَصْمان اختصموا في ربهم}، فإذا جمعتَ قلتَ: هُمُ الخُصومُ يا هذا.

٢٥. وتقول: جلستُ على شاطئ النهر، بالألف، والدليل على ذلك: قول الله تعالى: {من شاطئ الوادِ الأيمن}، والشَّطّ، بغير ألف، هو السَّنام.

٢٦. وتقول: قد تأذَّيْتُ بالدُّخَان، بتخفيف الخاء، قال تعالى: {يوم تأتي السماء بدُخَانٍ مُبين}. فإذا جَمَعْتَ قلتَ: رأيتُ دَواخِنَ الحَيّ.

٢٩. وتقول: صُنْدُوق، بضمّ الصاد، وبُهْلُول، والبُهْلُول من الرِّجَال: السيِّد، والجمع: البهاليل، وكذلك أيضًا: عُصْفُور، وقُرْقُور، وقُرْبُوس، وكذلك: طُنْبُور، وخُرْطُوم، وحُلْقُوم، من قول الله عزّ وجلّ: {إذا بَلَغَتِ الحُلْقوم} وكذلك: صُعْلُوك.

٣٢. وتقول: هذا بَصَلٌ حِرِّيفٌ، بكسر الحاء وتشديد الراء، وخَلٌّ ثِقِّيف، بتشديد القاف. ورَجُلٌ عِنِّينٌ، كما قالوا: رجلٌ سِكِّير إذا كان كثير السُّكْر. وخمِّير، إذا كان يشرب الخَمْرَ. وعِرْبِيد، هذا كلُّه على مثال: فِعِّيل. وإنما تكَلَّموا بهذه الأحرف على مثال قول الله تعالى: {لَفِي سِجِّين، وما أدراك ما سِجِّين}، وكما قال: {ترميهم بحجارةٍ من سِجِّيل} فشدَّد؛ لأنه مبنيٌّ على مثال: فِعِّيل. فافْهَم

وقِسْ عليه، إن شاء الله تعالى.

- وضع (عِزْبيد) هنا غريب، فهي لا تستقيم وزنًا مع بقية الكلمات، واعتقد أن الموضع الصحيح لها هو مع رقم ٣٤ الذي سيأتي بعدُ.

٣٣. وتقول: هاتِ المَحْبُرَة، بفتح الميم وضمّ الباء على مثال:مفْعُلَة، وكذلك جلستُ في المَشْرُقَة، وكذلك مررت بالمَقْبُرَة، وكذلك: حلقْتُ مَسْرُبَتي، والمَسْرُبَة: شعر الصدْر. ومن صفة النبيّ، صلى الله عليه وآله، أنَّه كان دقيق المَسْرُبَة.

وما كان من الآلات مما يرْفَع ويُوضِع، مما في أوله ميم، فاكسر الميم أبدًا، إذا كان على مِفْعَل ومِفْعَلَة؛ تقول في ذلك: هذا مِشْمَل، ومِثْقَب، ومِقْوَد، ومِنْجَل، ومِبْرَد، ومِقْنَعة، ومِصْدَعَة، ومِجْمَرَة، ومِسْرَجة، ومِشْرَبَة، ومِرْفَقَة، ومِخَدَّة، ومِحَسَّة، ومِحَسَّة، ومِظَلَّة؛ فهذا كلُّه مكسور الأول أبدًا، سوى: مُنْخُل، ومُسْعُط، ومُدْهُن، ومُدُقّ، ومُكْحَلَة؛ فإن هذه الأحرف جاءت عن العرب بضم الميم.

◄ جاء في الصحاح: الحِبْرُ: الذي يكتب به، وموضعه المِحْبَرَةُ بالكسر.

وجاء في القاموس المحيط: المَحْبَرَةُ بالفتح لا بالكسرِ وغَلِطَ الجوهريُّ وحُكِيَ مَحْبُرَةٌ بالضم كمَقْبُرَةٍ.

وجاء في تاج العروس: ومَوْضِعُه المَحْبَرَةُ بالفتح لا بالكسر وغَلِطَ الجوهريُّ لأنه لا يُعْرَفُ في المكانِ الكسر وهي الآنيَةُ التي يُجْعَلُ فيها الحِبْرُ من خَزَفٍ كان أو مِن قَوارِيرَ . والصحيح أنّهما لغتان أجودُهما الفتح ومَن كسر الميم قال إنها آلَةٌ ومثلُه مَزْرَعَةٌ ومِزْرَعَةٌ وحَكاها ابنُ مالكٍ وأبو حَيّانَ . وحُكِيَ مَحْبُرَةٌ بالضَّمِّ كمَقْبُرَةٍ ومَأْدُبَةٍ.

وفي ديوان الأدب للفارابي: هي الْمِحْبَرَةُ.

وفي لسان العرب: (حبر) ويقال للآنية التي يجعل فيها الحِبْرُ من خَزَفٍ كان أَو من قَوارِير مَحْبَرَةٌ ومَحْبُرَةٌ كما يقال مَزْرَعَة ومَزْرُعَة ومَقْبَرَة ومَقْبُرَة ومَخْبَرَة ومَخْبُرَةٌ.

٣٤. وتقول: عليّ بالطِّنْجير، بكسر الطاء. وكذلك: الحِلْتيت، والجِرجير، والبِطريق، والقنديل أبدًا. ومثله في كتاب الله تعالى: {ما يملكون من قِطْمير}. وكذلك: دِهْليز.

٣٦. وتقول: صَعِدْتُ ذِرْوَةَ الجبل، أي أعلاه، بكسر الذال، وتسرَّبَت جِرْيَةُ الماء، والجَرْيَة، بفتح الجيم، المرّة الواحدة. وتقول: هي بِغْيَتي، ولا يُقال في هذه الحروف إلا بالكَسْرِ.

◄ جاء في اللسان: والبِغْية والبُغْية الحاجة المَبْغِيَّة بالكسر والضم يقال ما لي في بني فلان بِغْيَة وبُغْية أَي حاجة فالبِغْيَة مثل الجِلْسة التي تَبْغِيها والبُغْية الحاجة نفسها عن الأَصمعي.

وجاء في الصِّحاح: وذُرى الشيء بالضم: أعاليه، الواحدة ذِرْوَةٌ وذُرْوَةٌ أيضًا بالضم.

وجاء في اللسان: وذِرْوَةُ كلِّ شَيءٍ وذُرْوَتُه أَعْلاهُ.

٤٠. وتقول: كَتِف، بفتح الكاف وكسر التاء، وتقول: كَبِد أيضًا، بفتح الكاف وكسر الباء، وتقول: هذه فَخِذ، أيضًا بفتح الفاء وكسر الخاء، وتقول: هذه كَرِش الشاة، بفتح الكاف وكسر الراء، وكذلك: الفَحِث، والحَفِث، وهو مثل الرُّمَّانة أسفل كَرِش البعير.

٤٨. وتقول: جِرْو، لولد الكلب، بكسر الجيم، وكذلك: ثوبٌ رِخْو، وكذلك: رِطل، للذي يُكال فيه.

٥٦. ويُقال: هذه امرأة جَميل، وجارية حَسيب، وليلة مَطير، وعينٌ كَحيل، ولِحية دَهين، بغير هاء، وكذلك كلّ ما كان على (فَعيل)، وعندي المرأة[١]، وكذلك: كفٌّ خَضيب، وحِمارة وَديق. قال تعالى: {لعلَّ الساعةَ قريبُ}.

وقد بَنَت العرب "فَعيلًا" بغير هاء أيضًا، ومنه قوله تعالى: {وقالت عجوز

(١) يقصد أنه يُشْتَرَطُ لهذا أن يُذْكَرَ الموصوف قبل الصفة.

عَقيم}، ولم يقل: عقيمة، وكذلك: دُرَّاعةٌ جَديد.

وقد يكون "فَعيل" أيضًا للجميع، فتقول: في الدار نساءٌ كثيرٌ، وهذه حِبابٌ جديد. قال الشاعر:

يا عاذلاتي لا ترِدن ملامتي ... إن العواذل لسن لي بأمير

فقال: بأمير، ولم يقل: بأميرات، وذلك أنه جمعه على لفظ "فَعيل".

٧٧ . وتقول: هي الأُضْحِيَة، ولا يُقال: الضَّحيَّة، وقد جاءت الأضحى، قال بعض الأعراب:

يا قاسِمَ الخَـيراتِ يا مَـأْوى الكَـــرَمْ

قد جاءَتِ الأَضْحى وما لي من غَنَمْ

وكذلك هي: الأُرْجُوحة، والأُرْجُوزة، والأُنْبُوبة، والأُحْدُوثة. ولا تقل: حَدَثَة، قال:

لا تكونوا قومَنا أُحْدوثةً كبني طَسْمٍ وكالحيّ إرَمْ

وكذلك: أُعْجُوبة أيضًا.

◄جاء في تهذيب اللغة: قال الأصمعي: فيها أربع لغات، يقال: أُضحيَّة وإِضحيَّة وجمعها أَضاحيّ، وضحيَّة وجمعها ضَحَايَا وأَضْحَاةُ وجمعُها أَضْحى. قال وبه سمى يوم الأَضْحَى قال ابن الأنبارى: أَضْحَى جمع أَضْحَاةُ منونٌ ومثله أَرْطًى جمع أَرْطَاةٍ.

٧٨. ويُقال: فلان مَعْدِنُ العِلم. ولا يُقال: مَعْدَن بفتح الدال.

١٠٦. يُقال: خاتَم، بفتح التاء، وخَاتِمُ الشيءِ: آخرُه، بكسر التاء، ومنه قول الله عز وجلّ: { وخاتَم النبيّين}.

ثانيًا– "المُزْهِر في علوم اللغة وأنواعها":

١) المؤلِّف:

هو عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، السيوطي، نسبة إلى "أسيوط" في صعيد مصر. عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب

والفقه وغيرها من العلوم. كما كان أديبًا؛ فله شعر ومقاماتٌ.

وُلد في القاهرة (**٨٤٩هـ- ١٤٤٥م**)، ونشأ فيها. ورحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر واستقرّ بها.

لما بلغ الأربعين، اعتزل في منزله، وعكف على التصنيف. له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف، بين المجلدات الكبيرة والرسائل القصيرة .

توفي بالقاهرة عام (**٩١١هـ - ١٥٠٥م**).

٢) من أشهر كتبه:

الجامع الكبير. الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير. الإتقان في علوم القرآن . الدر المنثور في التفسير بالمأثور . تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك،الأشباه والنظائر وهما كتابان باسم واحد؛ الأول :في اللغة، والثاني: في فروع الشافعية . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة . همع الهوامع، وهو كتاب في النحو.

٣) كتاب المُزْهِر:

أ) موضوعه:

يقول السيوطي في مقدمة كتابه:" هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويعه وتبويبه وذلك في **علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها** حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع.

وقد كان **كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك** ويعتني في بيانها بتمهيد المسالك غير **أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ولا طرق سبيله قبلي طارق** وقد سميته **بالمزهر في علوم اللغة.**

ب) أبوابه:

قسَّم السيوطي كتابه إلى خمسين قسمًا، وأطلق على كلّ قسم لفظ "نوع"، ومن أنواعه:

الثاني– معرفة ما روي من اللغة ولم يصح ولم يثبت.

السادس– معرفة من تُقْبَل روايته ومَن تُرَد.

السابع– معرفة طرق الأخذ والتحمل.

الثاني عشر – معرفة المطرد والشاذ.

السابع عشر – معرفة تداخل اللغات.

الثامن عشر – معرفة توافق اللغات.

العشرون– معرفة الألفاظ الإسلامية.

الحادي والعشرون– معرفة المولد.

الثاني والعشرون– معرفة خصائص اللغة.

الرابع والعشرون– معرفة الحقيقة والمجاز.

السادس والعشرون– معرفة الأضداد.

السابع والعشرون– معرفة المترادف.

الرابع والثلاثون– معرفة النحت.

الثامن والثلاثون– معرفة ما ورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ لا يُعاب.

التاسع والثلاثون– معرفة الملاحن والألغاز وفتيا فقيه العرب.

الخمسون– معرفة أغلاط العرب.

ج) منهجُه:

نستطيع أن نقول إن منهج السيوطي في (المزهر) منهج واضحٌ لا تداخلَ فيه؛ وهذه إشارات عامَّة إلى هذا المنهج:

- قسَّم الكتاب إلى أنواع.
- ذكر هذه الأنواع في المقدمة، بما يُشبه الفهرست في الكتب الحديثة.

- جمع الأبواب المتشابهة فجاءت متتالية.
- يبدأ بذكر آراء من سبقه، ويجمع بين المتشابه منها، وهو يحاول استقصاء هذه الآراء، ثم يُعلِّق على كلّ ذلك برأيه.
- يبدو في منهجه الثقة بعلمه، ولاسيما في النوع الثاني: معرفة ما رُوي من اللغة ولم يصح ولم يثبت، فقد تعقَّب فيه كثيرًا من أصحاب المعاجم، يشكِّك في بعض ما أوردوه.

نماذج من كتاب "المزهر في علوم اللغة وأنواعها":

النموذج الأول: النوع الثامن معرفة المصنوع:

قال ابنُ فارس: حدثنا علي بن إبراهيم عن المَعْدَاني عن أبيه عن معروف ابن حسان عن الليث عن الخليل قال: إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللَّبس والتَّعنيت.

وقال محمد بن سَلاّم الجَمحي في أول طبقات الشعراء: في الشعر مصنوعٌ مُفْتَعل موضوعٌ كثيرٌ لا خيرَ فيه ولا حجةَ في عربيته ولا غريب يستفاد ولا مَثَل يُضرب ولا مَدْح رائع ولا هجاء مقذع ولا فخر معجب ولا نسيب مُسْتَطرف وقد تداولَه قوم من كتابٍ إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يَعْرِضوه على العلماء. وليس لأحدٍ إذا أجمع أهلُ العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه، أن يقبل من صحيفة ولا يَرْوي عن صحفي.

وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء فأما ما اتفقوا عليه فليس لأحدٍ أن يخرجَ منه. وللشِّعر صناعة وثقافة يعرفُها أهلُ العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان.

من ذلك: اللولؤ والياقوت لا يُعْرَف بصفةٍ ولا وزْن دون المُعاينة ممن يُبْصره ومن ذلك الجهبذة فالدِّينار والدرهم لا يعرف جودتُهما بلونٍ ولا مَسّ ولا طِراق

ولا جَسّ ولا صفة ويعرفُه الناقد عند المُعاينة فيعرف بَهْرَجها وزائفها...

... لما راجعت العرب روايةَ الشعر بعد أن اشتغلت عنه بالجهاد والغَزْو واستقل بعضُ العشائر شعرَ شعرائهم وما ذهب من ذِكْرِ وقائعهم وكان قومٌ قَلَّتْ وقائعهُم وأشعارُهم فأرادوا أن يلحقوا بمنْ له الوقائع والأشعار فقالوا على أَلْسُن شعرائهم.

ثم كانت الرواية بعد فزادوا في الأشعار وليس يُشْكِل على أهل العلم زيادةُ ذلك ولا ما وضعوا ولا ما وضَع المولدون وإنما عَضَل بهم أن يقول الرجل من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيُشْكِل ذلك بعض الأشكال.

... وفي طبقات النحويين لأبي بكر الزَّبيدي: قال أبو علي القالي: كان خلف الأحمر يقول القصائد الغر ويدخلها في دواوين الشعراء فيقال إن القصيدة المنسوبة إلى الشنفرى التي أولها:

أقيموا بَني أُمِّي صدورَ مَطِيِّكُم ... فإني إلى أهْل سِواكم لأمْيَلُ

هي له.

... وقال أبو حاتم: سمعتُ الأصمعي يقول: سمعتُ خَلفًا الأحمر يقول: أنا وضعتُ على النابغة هذه القصيدة التي فيها:

خيلٌ صِيامٌ وخيلٌ غير صائمة ... تحتَ العَجَاج وأُخْرى تَعْلِكُ اللُّجما

ذكر أمثلة من الأبيات المستشهد بها التي قيل إنها مصنوعة:

- في نوادر أبي أوس الأنصاري: أنشدني الأخفش بيتا مصنوعا لطرفة:

اضْرِبَ عنك الهمومَ طارقَها ... ضَرْبَك بالسَّوْط قَوْنَس الفَرَس

وقال ابنُ برِّي أيضا: هذا البيتُ مصنوعٌ على طَرفة بن العبد.

- وفي الجمهرة: يقال دَسَّى فلان فلانا إذا أغْواه ومنه قوله تعالى: {وقد خاب من دساها}، وقد أنشدوا في هذا بيتا زعم أبو حاتم أنه مصنوع:

(وأنت الذي دَسَّيْتَ عمرا فأصبحتْ ... حَلائله عَنْه أرامِلَ ضيعا)

ذكر أمثلة من الألفاظ المصنوعة:

- قال ابن دريد في الجمهرة قال الخليل: أما ضَهِيد وهو الرجل الصُّلب فمصنوع لم يأت في الكلام الفصيح.
- وفيها: عَفشَج: ثقيل وخم زعموا وذكر الخليل أنه مصنوع.
- وفيها: زعم قوم أن اشتقاق شَراحيل من شرحل وليس بثبت وليس للشرحلة أصل.
- وفيها: قد جاء في باب فيعلول كلمتان مصنوعتان في هذا الوزن قالوا: عيدشون: دويبة وليس بثبت. وصَيْخَدُون – قالوا الصَّلابة ولا أعرفها.
- وفيها: البُدُّ: الصَّنَم الذي لا يُعْبَد ولا أصل له في اللغة.
- وفيها: مادة (بَ شْ بَ شْ) أهملت إلا ما جاء من البَشْبشة وليس له أصل في كلامهم.
- وفيها: البتش ليس في كلام العرب الصحيح.
- وفيها: ثخطع: اسم وأحسبه مصنوعا.
- وفي المجمل لابن فارس: الألط: نبت أظنُّ أنه مصنوع.

النموذج الثاني– النوع العشرون معرفة الألفاظ الإسلامية:

قال ابن فارس في فقه اللغة – باب الأسباب الإسلامية:

كانت العربُ في جاهليّتِها على إرْث من إرْث آبائِهم في لُغاتهم وآدابهم ونَسَائِكهم وقَرَابِينهم فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوالٌ ونُسِخَتْ دِيانات وأبطلت أمورونقلت من اللغة ألفاظٌ من مواضعَ إلى مواضع أُخَر بزيادات زِيدَت وشرائع شُرعت وشرائط شُرِطت فعفَّى الآخرُ الأولَ.

فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافقو إن العربَ

إنما عرفتْ المؤمنَ من الأمان والإيمان وهو التصديقُ ثم زادتَ الشريعةُ شرائطَ وأوصافا بها سُمِّي المؤمنُ بالإطلاقِ مؤمنا.

وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكُفْر إلا الغطاء والستر، فأما المنافقُ فاسمٌ جاء به الإسلام لقوم أبْطَنوا غيرَ ما أظهروه وكان الأصل من نافِقاء اليربوع، ولم يعرفوا في الفِسْق إلا قولهم: فَسَقَتِ الرُّطَبة إذا خرجت من قِشْرها وجاء الشرع بأن الفِسْق الإفحاشُ في الخروج عن طاعة الله تعالى.

ومما جاء في الشرع: الصلاة وأصلُه في لغتهم الدعاء وقد كانوا يعرفون الرُّكوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة.

قال أبو عمرو: أَسْجَدَ الرجل: طَأْطَأَ رأسَه وانحنى. وأنشد:

(فَقُلْنَ له: أَسْجِدْ لِلَيْلَى فَأَسْجَدا)

يعني البعير إذا طأَطَأَ رأسه لتَرْكَبه.

وكذلك الصيامُ أصلُهُ عندهم الإمساك ثم زادت الشريعةُ النية وحظَرت الأكلَ والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم.

وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم غير القصد ثم زادت الشريعةُ ما زادَته من شرائط الحج وشعائره.

وكذلك الزكاة لم تكن العربُ تعرفها إلا من ناحية النماء وزاد الشرع فيها ما زاده. وعلى هذا سائر أبواب الفقه، فالوجه في هذا إذَا سُئل الإنسانُ عنه أن يقول فيه اسمان: لُغَوي وشَرْعي ويذكر ما كانت العربُ تَعرفُهُ ثم جاء الإسلام به وكذلك سائر العلوم كالنَّحْو والعروض والشعر كلٌّ ذلك له اسمان: لُغوي وصِناعيّ. انتهى كلامُ ابنِ فارس.

وقال في باب آخر: قد كانت حدثتْ في صدر الإسلام أسماء وذلك قولهم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهلية مُخَضْرم.

فأخبرَنا أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم حدثنا محمد بن عباس الخُشْكي عن إسماعيل بن عبيد الله قال: المُخَضْرَمون من الشعراء مَنْ قال الشِّعْر في الجاهلية ثم أدرك الإسلام، فمنهم حَسَّان بن ثابت ولَبِيد بنُ رَبيعة ونابغة بني جعدة وأبو زيد وعمرو بن شأس والزِّبْرقان بن بدر وعَمْرو بن معدي كرب وكعبُ بن زهير ومَعْن بن أوس.

وتأويل المُخَضْرَم من خَضْرَمْتُ الشيء أي قطعتُهُ وخَضْرَم فلان عطيته أي قَطَعَها فسمي هؤلاء مُخضرمين كأنهم قُطعوا عن الكفر إلى الإسلام وممكن أن يكونَ ذلك لأن رُتْبَتَهم في الشعر نقصتلأن حالَ الشعر تطامَنت في الإسلام لما أنزلَ الله تعالى من الكتاب العربي العزيز، وهذا عندنا هو الوجه لأنه لو كان من القَطْع لكان كلُّ من قطع إلى الإسلام من الجاهلية مخضرما والأمر بخلاف هذا.

ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معَانيها قولهم: المِرْباع والنَّشِيطة والفُضول ولم يذكر الصَّفِّي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصْطفى في بعض غَزواته وخُصّ بذلك وزال اسم الصفي لما توفي صلى الله عليه وسلم. ومما ترك أيضا: الإتاوة والمَكْس والحُلْوان وكذلك قولهُم: أنعم صباحا وأنعم ظلاما وقولهم للملك: أَبَيْتَ اللعن.

وترك أيضا قول المملوك لمالكه: (رَبّي)، وقد كانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب قال الشاعر: // من الطويل //

(وأسْلَمن فيها ربَّ كِنْدَة وابنه ... وَرَبَّ مَعَدٍّ بين خَبْت وعَرْعَر)

وتُرِك أيضا تسمية مَن لم يحج: صَرورَة لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا صَرُورة في الإسلام). وقيل معناه: الذي يدع النكاح تبتلا أو الذي يحدث حدثا ويلجأ إلى الحرم.

وترك أيضا قولهم للإبل تُساق في الصَّداق: النَّوافج.

ومما كُره في الإسلام من الألفاظ قول القائل: (خَبُثَت نفسي) للنَّهْي عن ذلك

في الحديث وكُرِه أيضا أن يقال: استَأْثَر الله بفلان.

النموذج الثالث- النوع الرابع والثلاثون معرفة النحت (معرفته من اللوازم):

قال ابن فارس في فقه اللغة – باب النَّحت:

العرب تَنْحَت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنسٌ من الاختصار وذلك (رجل عَبْشميّ) منسوبٌ إلى اسمين وأنشد الخليل: // من الوافر //

(أقول لها ودمع العين جار ... ألم تحزنك حيعلة المنادي)

من قوله: حي عَلَى)

وهذا مَذْهَبُنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوتٌ مثل قول العرب للرَّجل الشديدِ ضِبَطرٌ من ضَبَط وضَبَر وفي قولهمْ: صَهْصَلِق إنه من (صَهَل) (وصَلَق) وفي (الصِّلْدِم) إنه من (الصَّلْد) (والصَّدْم) .

قال: وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب مقاييس اللغة.انتهى كلام ابن فارس. وقد ألَّف في هذا النوع أبو علي الظهير بن الخطير الفارسي العماني كتابا سمَّاه تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب ولم أَقِفْ عليه وإنما ذكره ياقوت الحموي في ترجمته في كِتابه معجم الأدباء.

قال ياقوت في معجم الأدباء: سأل الشيخ أبو الفتح عثمان بن عيسى الملطي النحوي الظهير الفارسي عما وقع في ألفاظ العرب على مثال شَقَحْطَب فقال: هذا يسمى في كلام العرب المنحوت ومعناه أن الكلمةَ منحوتَةٌ من كلمتين كما ينحت النجار خشبتين ويجعلهما واحدة فشقحطب منحوت من شِقّ حَطَب فسأله الملطي أن يُثْبت له ما وَقع من هذا المثال إليه ليعول في معرفتها عليه فأملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حِفْظه وسمَّاها كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب.

وفي إصلاح المنطق لابن السكيت وتهذيبه للتبريزي: يقال قد أكثر من البَسْملة إذا أكثر من قول: (باسم اللَّه) ومن الهيلَلَة إذا أكثر من قول (لا إله إلا الله) ومن

الحولقة إذا أكثر من قول: (لا حَوْلَ ولا قوة إلا بالله) ومن الحمد لة أي من (الحمد للَّه) ومن الجَعْفَدة أي من جعلت فداك ومن السَّبْحَلة أي من سبحان اللَّه.

وحكى الفراء عن بعض العرب: معي عشرة فأَحِّدْهنّ لي: أي صيرهن أَحَدَ عشر. وزاد الثعالبي في فقه اللغة: الحَيْعَلَة (حكاية) قول المؤذن: حي على الصلاة حي على الفلاح.

والطَّلْبَقَة حكاية قول القائل: أطال الله بقاك والدمعزة قوله: أدام اللَّه عزَّك.

وفي الصحاح: قد حيعل المؤذن كما يقال حَوْلَق وتَعْبَشَم مُرَكبا من كلمتين. وقال ابن دحية في التنوير: ربما يتّفقُ اجتماعُ كلمتين من كلمة واحدة دالة على كلتا الكلمتين وإن كان لا يمكن اشتقاق كلمةٍ من كلمتين في قياس التصريف كقولهم: هَلَّل: أي قال لا إله إلا اللَّه وحَمْدَل أي قال: الحمد للَّه.

والحَوْلَقَة قول: لا حَوْلَ ولا قوة إلا باللَّه ولا تقل حَوْقَل بتقديم القاف فإن الحوقلة مِشْية الشيخ الضعيف.

والبسملة قول باسم اللَّه والسَّبْحَلة قول: سبحان اللَّه والهَيْلَلة قول: لا إله اللَّه والحَسْبَلة قول: حسبي اللَّه والمشألة قول ما شاء اللَّه يقال: فلان كثير المشألة إذا أكثر من هذه الكلمة والَحَيْعَلة: قول حي على الشيء والحَيْهَلة حيهلا بالشيء والسَّمْعَلة: سلام عليكم والطلبقة: أطال الله بقاك والدَّمْعَزة: أدام اللَّه عزك ومنه قول الشاعر: // من الرجز //

(لا زلتَ في سَعْدٍ يدومُ ودَمعزه)

أي دوام عز والجَعْفَدة: جعلت فِداك وقولهم: الجَعْفَلة باللام خطأ والكَبْتَعَة. وفي الجمهرة: العَجَمْضَى: ضرب من التمر وهما اسمان جُعلا اسما واحدا: عجم وهو النوى وضاجم واد معروف.

وفي الصحاح: يقال في النسبة إلى عبد شَمس: عَبْشَميّ وإلى عبد الدار عبدري وإلى عبد القيس عَبْقسيّ يُؤْخَذ من الأول حرفان ومن الثاني حرفان

ويقال: تَعَبْشَم الرجلُ: إذا تعلَّق بسبب من أسباب عبد شمس إما بحلف أو جوار أو ولاءوتعبقس إذا تعلق بعبد القيس.

قال: وأما عَبْشَمس بنُ زيد مناةَ بن تميم فإن أبا عمرو بن العلاء يقول: أصله عَبٌّ شمسٍ أو حب شمس وهو ضوؤها والعين مبدلة من الحاء كما قالوا: حَبْقُرّ في عب قر وهو البَرد.

وقال ابنُ الأعرابي: اسمه عَبْءُ شَمسٍ بالهمز والعبء: العدل أي هو عدلها ونظيرها يفتح ويكسر.

وقال ابنُ مالك في التسهيل: قد يُبْنى من جُزْأي المركب فعلل بفاء كل منهما وعينه فإن اعتلت عين الثاني كمل البناء بلامِه أو بلام الأول ونسب إليه. وقال أبو حيان في شرحه: وهذا الحكم لا يطرد إنما يقال منه ما قالته العرب والمحفوظ عبشمي في عبد شمس وعبدري في عبد الدار ومرقسي في امرئ القيس وعبشمي في عبد القيس وتيملي في تيم اللَّه.انتهى.

وفي المستوفي لابن الفرحان: ينسب إلى الشافعي مع أبي حنيفة شفعنتي وإلى أبي حنيفة مع المعتزلة حنفلتي...

وفي الصحاح قولهم: بَلْحَارث لبني الحارث بن كَعْب من شواذ التخفيف لأن النون واللام قريبا المَخْرج فلمَّا لم يمكنهم الإدغامُ لسكون اللام حذفوا النون كما قالوا: مَسْتُ وظَلْت وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة مثل بَلْعنبر وبَلْهُجَيم فأما إذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك.



ملخَّص الوحدة السادسة

أولًا- كتاب "ما تلحن فيه العامّة":

مؤلّفه هو الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة، ولِدَ عام ١١٩هـ، وتُوفِّيَ عام ١٨٩هـ. **وهو أحد القرّاء السبعة، وقد صار** لغويًّا مشهورًا، ونحويًّا صاحب مدرسة، إلى جانب شهرته قارئًا من القرّاء السبعة المعروفين.

كان مربيًا لابني الرشيدُ: محمد [الأمين]، وعبد الله [المأمون].

المنهج والأسلوب:

كتاب "ما تلحن فيه العام" كتابٌ رائدٌ في حركة التنقية اللغوية، ولعلّ هذه الريادة كانت سببًا في افتقاد الكتاب للمنهج الصارم الواجب اتباعه في التأليف.

فائدة الكتاب:

نستفيد من الكتاب، فضلًا عن عن بيان الصواب في استعمالات العربية، متابعة التطورات الصوتية في نطق العوام، وكذلك في استعمالات الصيغ الصرفية، لكنه لا يفيدنا كثيرًا في متابعة التغير الدلالي أو التغير في نظام التركيب النحوي للغة.

مرجعية الكتاب:

الكتاب مرجعٌ مهم في بيان الصواب اللغوي، إلا أننا لا ننصح بالاكتفاء به.

إليه الكسائي على أنه خطأ، هو صحيح بالرجوع إلى مصادر أخرى.

وقد قدّمنا مجموعة من مسائل كتاب"ما تلحَن فيه العامّة" مُرَقَّمة بأرقامها في الكتاب، تتلو بعضَها تعليقات إذا كان في المسألة رأيٌ آخر.

ثانيًا- كتاب "المُزْهِر في علوم اللغة وأنواعها":

١) **المؤلِّف**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، السيوطي. عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والتاريخ والأدب والفقه وغيرها من العلوم. كما

كان أديبًا؛ فله شعر ومقاماتٌ.

وُلد في القاهرة (**٨٤٩هـ- ١٤٤٥م**)، ونشأ فيها. ورحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر واستقرّ به، توفي بالقاهرة عام **٩١١هـ-١٥٠٥م**).

له من المؤلفات نحو ٦٠٠ مؤلف، بين المجلدات الكبيرة والرسائل القصيرة.

٢) **من أشهر كتبه:** الجامع الكبير. الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير. الإتقان في علوم القرآن. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك،الأشباه والنظائر وهما كتابان باسم واحد؛ الأول: في اللغة، والثاني: في فروع الشافعية. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. همع الهوامع، وهو كتاب في النحو.

٣) **كتاب المُزْهِر:**

أ) **موضوعه: علوم اللغة وأنواعها وشروط أدائها وسماعها**

ب) **أبوابه:** قسَّم السيوطي كتابه إلى خمسين قسمًا، وأطلق على كلّ قسم لفظ "نوع".

ج) **منهجُه:** منهج واضحٌ لا تداخلَ فيه:

- قسَّم الكتاب إلى أنواع.
- ذكر هذه الأنواع في المقدمة، بما يُشبه الفهرست في الكتب الحديثة.
- جمع الأبواب المتشابهة فجاءت متتالية.
- يبدأ بذكر آراء من سبقه، ويجمع بين المتشابه منها، وهو يحاول استقصاء هذه الآراء، ثم يُعلِّق على كلّ ذلك برأيه.
- يبدو في منهجه الثقة بعلمه، ولاسيما في النوع الثاني.

ثم قدّمنا نماذج من كتاب "المزهر في علوم اللغة وأنواعها:

النموذج الأول- النوع الثامن معرفة المصنوع: تحدث فيه عن الشعر المصنوع المفتعَل، وكذلك ذكر أمثلة من الألفاظ المصنوعة.

النموذج الثاني- النوع العشرون معرفة الألفاظ الإسلامية: تحدث فيه عن الألفاظ التي تغيرت دلالتها بتأثير من الإسلام وتقاليده وعباداته.

النموذج الثالث: النوع الرابع والثلاثون معرفة النحت تعرّض فيه للنحت في لغة العرب، وضرب عدة أمثلة لها مع بيان أصل كلٍّ منها.

أسئلة على الوحدة السادسة

أولًا- أسئلة عن كتاب "ما تلحن فيه العامة" للكسائيّ:

س١: اكتب مذكرة علمية في موضوع: الكسائي وقراءة حمزة.

س٢: اكتب مذكرة علمية في موضوع: الكسائي نحويٌّ شهير.

س٣: اكتب مذكرة علمية في موضوع: الكسائي مُرّبٍّ ومُؤّدِّبٌ.

س٤: اكتب مذكرة علمية في موضوع: منهج الكسائي في كتاب" ما تلحن فيه العامّة".

س٥: اكتب مذكرة علمية في موضوع: فائدة كتاب" ما تلحن فيه العامّة".

س٦: لماذا خطَّأ الكسائيّ من يقول: شكرتُك ؟ وما تعليقك عليه؟

س٧: تحدَّث الكسائي عن الخطأ في ضبط عين الفعل الماضي(فَعَلَ) في:

موضعٍ واحد   موضعين   في أكثر من موضعين

س٨: تحدَّث الكسائي عن الخطأ في تعدية بعض الأفعال بالهمزة:

موضعٍ واحد   موضعين   في أكثر من موضعين

س٩: من أمثلة التطور في الصيغة: أغلَقْتُ البابَ فهو مُغْلَق، ولا يُقال...(أكمل)

س١٠: اضبط أوائل الحروف مما بين القوسين: (صعود، وهبوط، السحور؛ والفطور).

س١١: اضبط ما يأتي في ضوء كتاب "ما تلحن فيه العامّة": (شد ثوبَك، وشد عليه).

س١٢: اضبط ما يأتي في ضوء كتاب "ما تلحن فيه العامّة":

(وددتُ أني في منزلي). (هذا خصم). (قد تأذَّيْتُ بالدخان). (صندوق، وبهلول، عصفور، وخرطوم، وحلقوم). (بصل حريفٌ، وخَلٌّ ثقيف، رَجُلٌ عنينٌ، خمير).

س١٣: ما الخطأ الذي أشار إليه الكسائي في كلمة"شاطئ".

س١٤: ما تعليقك على قول الكسائي: "هذا بَصَلٌ حِرِّيفٌ...وخَلٌّ ثِقِّيف... ورَجُلٌ عِنِّينٌ، كما قالوا : رجلٌ سِكِّير... خمِّير... وعِرْبِيد، هذا كلُّه على مثال:فِعِّيل".

س١٥: ما تعليقك على قول الكسائي: "هاتِ المَحْبُرَة، بفتح الميم وضمّ الباء على مثال: مفْعُلَة، وكذلك جلستُ في المَشْرُقَة، وكذلك مررت بالمَقْبُرَة".

س١٦: ما تعليقك على قول الكسائي: "هي بِغْيَتي، ولا يُقال في هذه الحروف إلا بالكَسْرِ".

س١٧: ما تعليقك على قول الكسائي: "وتقول: هي الأُضْحِيَة، ولا يُقال: الضَّحيَّة"

س١٨: ماذا قال الكسائي في ضبط: كتف . فخذ . كرش؟

س١٩: اضبط ما تحته خطّ: (وتقول: جرْو، لولد الكلب...وكذلك: ثوبٌ رخْو، وكذلك: رطل، للذي يُكال فيه).

س٢٠: اضبط ما تحته خطّ: "ويُقال: فلان معدنُ العِلم"

ثانيًا– أسئلة عن كتاب المزهر للسيوطي:

س٢١: قدِّم ترجمةً يسيرة عن:"السيوطي".

س٢٢: اذكر ثلاثةً من كتب "السيوطي".

س٢٣: ما موضوع كتاب المُزْهِر؟

س٢٤: اذكر خمسةً من الأنواع التي التي تضمنها كتاب "المزهر" للسيوطي.

س٢٥: اذكر خمسةً من الألفاظ التي رأى السيوطي أنها مصنوعة.

س٢٦: ممَّن نقل السيوطي في المزهر"باب الألفاظ الإسلامية".

س٢٧: من أين جاءت هذه الألفاظ: المنافق . الفاسق . الصلاة؟

س٢٨: من أين جاءت هذه الألفاظ: السجود . الصيام . المُخَضْرَم؟

س٢٩: اذكر عالِمَيْنِ من العلماء الذين نقل عنهم السيوطي في باب"النحت".

س٣٠: اذكر خمسةً من الألفاظ المنحوتة التي أوردها السيوطي مع ذكر أصل كل لفظٍ منها.

س٣١: في أي كتاب ورد باب" معرفة تداخل اللغات"

س٣٢: في أي كتاب ورد باب "معرفة ما روي من اللغة ولم يصح ولم يثبت"

س٣٣: في أي كتاب ورد باب "معرفة ما ورد بوجهين بحيث إذا قرأه الألثغ لا يُعاب".

س٣٤: وفي طبقات النحويين لأبي بكر الزَّبيدي: قال ...... كان .... يقول القصائد الغر ويدخلها في دواوين الشعراء.(أكمِلْ)

س٣٥: وقال أبو حاتم: سمعتُ .... يقول: سمعتُ .... يقول: أنا وضعتُ على ... هذه القصيدة التي فيها:

(خيلٌ صِيامٌ وخيلٌ غير صائمة تحتَ العَجَاج وأُخْرى تَعْلِكُ اللُّجما)(أكْمِلْ)

س٣٦: اذكر بيتًا واحدًا ذكر السيوطي أنه مصنوع، والشاعر الذي نُسِبَ إليه، ومَن نسبَه إليه.

س٣٧: ما معنى:" معي عشرةٌ فأحِدِّهنَّ لي"؟

س٣٨: كيف جاء كلٌّ من: عبشمس . بلحارث.

س٣٩: اشرح النص الآتي، مع التمثيل:"...فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوالٌ ونُسِخَتْ دِيانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظٌ من مواضعَ إلى مواضع".

س٤٠: أكمل النص الآتي بأربع كلمات مع شرحه:" ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معَانيها قولهم: ...

س٤١: أكمل النص الآتي:" ومما كُرِه في الإسلام من الألفاظ قول القائل:... للنَّهْي عن ذلك في الحديث وكُرِه أيضا أن يقال: ..."

س٤٢: كيف جاء كلٌّ من: شفعنتي . حنفلتي؟

نموذج إجابة

إجابة السؤال الأول:

الكسائي أحد القُرّاء السبعة المشهورين، قد شرَّق وغرَّب، وقرأ عليه خلْقٌ كثير ببغداد وغيرها من البلاد.

وكان في أول أمره يقرأ بقراءة حمزة بن حبيب الزيّات، ثمّ اختار له قراءةً خاصة به عُرِفَت بقراءة الكسائي، وقد جمعها من قراءات السلف وآثار الأئمّة.

ولم يترك الكسائي كثيرًا من قراءة حمزة إلا بعد حادثة حدثت له في أحد مواسم الحجّ، ورواها بنفسه، فقال:"حججت مع الرشيد، فقدمت لبعض الصلوات فقرأت {ذريَّةً ضَعافًا خافوا عليهم}، فأمَلْتُ {ضِعافا}، فَلَمَّا سلَّمتُ ضربوني بالنِّعال والأيدي وغير ذلك، حتى غُشِيَ عليّ، واتصل الخبر بالرشيد فوَجَّه بمَنِ استنقذَني، فلما جئتُه قالق لي: ما شأنُكَ؟ فقلتُ له: قرأتُ لهم ببعض قراءة حمزة الرديئة، ففعلوا بي ما بلَغَ أميرَ المؤمنين، فقال: بِئْسَ ما صنعتَ، ثمَّ ترك الكسائي كثيرًا من قراءة الكسائي.

إجابة السؤال الثالث:

لما تولَّى الرشيدُ الخلافةَ، أحضر إليه الكسائي في سنة ١٨٢هـ في السنة الثالثةَ عشرةَ لخلافته، وأخرج له ولديه: محمد[الأمي]، وعبد الله[المأمون]، وقال له: امتحِنْهُما، فأحسنا الجوابَ عمّا سألهما عنه، فأمره الرشيد أن يتفقَّدهما. قال الكسائي: فكنت أختلفُ إليهما في الأسبوع طَرَفَيْ نهارهما.

وقد كان الكسائي أمينًا في تأديب أولاد الرشيد، مُعاملًا لهم بالحزم،والشدّة؛ فقد رُوِيَ عنه أنه قال: " ولَّاني الرشيدُ تأديب محمد وعبد الله، فكنت أَشْدُدُ عليهما في الأدب، وآخُذْهما به أَخذًا شديدًا، وبخاصة محمد، فأتتني ذاتَ يومٍ "خالصةُ" أَمَةَ زبيدة [زوج الرشيد]، فقالت: يا كسائي، إن السيدة تقرأ عليك السلام، وتقول لك: حاجتي إليك أن تَرْفُقَ بابني "محمد"، فإنه ثمرة فؤادي، وقرَّة عيني، وأنا أرقّ

عليه رقَّة شديدة. فقلتُ لـ"خالصةَ": إن "محمَّدًا" مُرَشَّحٌ للخلافة بعد أبيه، ولا يجوز التقصير في حقِّه".

إجابة السؤال السادس:

خطّأ الكسائي من يقول: شكرتُك ونصحتُك اعتمادًا على أن هذا هو كلام العرب، واستشهد على ذلك بقوله تعالى{اشكُر لي ولوالدَيْكَ} و{اشكُروا لي ولا تكفرون} و{لا ينفعكم نصحي إنْ أردتُ أن أنصحَ لكم}.

وأما تعليقنا فهو أن هذه التخطئة جاءت نتيجة عدم استقصاء تامّ لأساليب العرب؛ فقد جاء في مسند أحمد ٧٧١٥- ... عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ».

وفي أدب الكاتب لابن قُتَيبَة: ويقولون "نَصَحْتُك، وشكرتك" والأجود نصحت لك وشكرت لك... وقال النابغة في اللغة الأخرى:

نَصَحْتُ بَني عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلوا ... رَسولي ولمْ تَنْجَحْ لَديهِمْ وَسائِلي

إجابة السؤال الثانى عشر:

(وَدِدْتُ أني في منزلي). (هذا خَصْمٌ). (قد تأذَّيْتُ بالدُّخَانِ). (صُندوق، وبُهلول، عُصفور، وخُرطوم، وحُلقوم). (بَصَلٌ حِرِّيفٌ، وخَلٌّ ثِقِّيف، رَجُلٌ عِنِّينٌ، خِمِّير).

إجابة السؤال الرابع عشر:

وضع (عِرْبيد) هنا غريب، فهي لا تستقيم وزنًا مع بقية الكلمات، واعتقد أن الموضع الصحيح لها هو مع رقم ٣٤ الذي سيأتي بعدُ.

إجابة السؤال الثانى والعشرين:

الجامع الكبير. الجامع الصغير في أحاديث النذير البشير. الإتقان في علوم القرآن . الدر المنثور في التفسير بالمأثور. تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك، الأشباه والنظائر وهما كتابان باسم واحد؛ الأول: في اللغة، والثاني: في فروع الشافعية. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. اللآلئ المصنوعة في

الأحاديث الموضوعة. همع الهوامع، وهو كتاب في النحو.

إجابة السؤال الخامس والعشرين:

- ضَهِيد وهو الرجل الصُّلب.
- عَفشَج: ثقيل وخم.
- شَراحيل من شرحل وليس بثبت وليس للشرحلة أصل.
- جاء في باب فيعلول كلمتان مصنوعتان في هذا الوزن قالوا: عيدشون: دويبة وليس بثبت. وصَيْخَدُون – قالوا الصَّلابة ولا أعرفها.
- البُدُّ: الصَّنَم الذي لا يُعْبَد.
- البنتش
- ثخطع: اسمٌ.
- الألط: نبت.

إجابة السؤال السابع والعشرين:

المنافقُ: اسمٌ جاء به الإسلام لقوم أبْطَنوا غيرَ ما أظهروه وكان الأصل من نافِقاء اليربوع، يدخل فيه من وجه، ويخرج من وجهٍ آخر.

الفاسق: جاء من قولهم: فَسَقَتِ الرُّطَبة إذا خرجت من قِشْرها وجاء الشرع بأن الفِسْق الإفحاشُ في الخروج عن طاعة الله تعالى.

الصلاة: أصلُها في لغة العرب الدعاء.

إجابة السؤال التاسع والعشرين:

ابن فارس. ياقوت الحموي. ابن السكِّيت. الفرّاء. ابن الأعرابي. ابن مالك. الجوهري صاحب معجم الصحاح.

إجابة السؤال الثلاثين:

حيعلة المنادي: من (حي عَلَى).

صَهْصَلِق: من (صَهَل) (وصَلَق).

الصِّلْدِم: من (الصَّلْد) (والصَّدْم).

شقحطب: من (شِقّ حَطَب).

البَسْملة: من (باسم اللَّه).

الهيلَلة: من (لا إله إلا الله).

الحولقة: من (لا حَوْلَ ولا قوة إلا بالله).

الحمدلة: من (الحمد للَّه).

الجَعْفَدة : من (جُعِلْتُ فداك).

السَّبْحَلة: من (سبحان اللَّه).

أَحِدِّهنّ: من (أَحَدَ عشر).

الطَّلْبَقَة: من (أطال الله بقاك).

الدمعزة: من (أدام اللَّه عزَّك).

المشألة: من (ما شاء اللَّه).

السَّمْعَلة: من (سلام عليكم).

الطلبقة: من (أطال الله بقاك).

الدَّمْعَزة: من (أدام اللَّه عزك).

عَبْشَميّ: من (عبد شَمس) ويقال: تَعَبْشَم الرجلُ: إذا تعلَّق بسبب من أسباب عبد شمس إما بحلف أو جوار أو ولاء.

عبدري: من (عبد الدار).

عَبْقسيّ: من (عبد القيس) وتعبقس إذا تعلق بعبد القيس.

عَبْد شَمس بنُ زيد مناةَ بن تميم: أصله عَبُّ شمسٍ أو حب شمس وهو ضوؤها والعين مبدلة من الحاء كما قالوا: حَبْقُرّ في عب قر وهو البَرد. وقال ابنُ الأعرابي: اسمه عَبْءُ شَمسٍ بالهمز والعبء: العدل أي هو عدلها ونظيرها يفتح ويكسر.

مرقسي: من (امرئ القيس).

تيملي: من (تيم اللَّه).

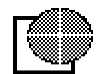
شفعنتي: من (الشافعي مع أبي حنيفة).

حنفلتي: من (أبي حنيفة مع المعتزلة).

بَلْحَارث: من (بني الحارث بن كَعْب).

إجابة السؤال السابع والثلاثين:

معي عشرة فأَحِّدْهنّ لي: أي اجعلْهُنَّ أَحَدَ عشر؛ أي بزيادة واحد إلى العشرة.



الوحدة السابعة

مقتطفات متنوِّعات
من بعض كتب التراث العربي

الأهداف:

بعد دراسة هذه الوحدة؛ ينبغى أن يكون الدارس قادرا على أن:

١- يتعرف عن قرب نماذج من الأعمال اللغوية التي تحتل مكانةً بارزة من التأليف العربيّ.

٢- يقف على طريقة علماء عرب مختلفين في التعبير المختلف عن بعض القضايا.

٣- يتمرّس بنصوص الكتب المختارة قراءةً وفَهمًا.

٤- يتزوّد بمجموعة من المقولات العلمية اللغوية الشهيرة.

٥- يعرف المصادر الأساسية لبعض المعارف اللغوية.

العناصر:

١- من كتاب البيان والتبيين:

- النموذج الأول: في فضل البلاغة والبيان.
- النموذج الثاني: في مراعاة المقام والأحوال

٢- من كتاب سرّ صناعة الإعراب: نموذج منه في كيفية النطق بالأصوات.

٣- من كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: نموذج في أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يتمثل بها ويكثر في النثر والنظم وعلى ألسن الخاصة والعامة استعمالها

٤- من كتاب أدب الكاتب:

- "باب الحرفين اللَّذَين يتقاربان في اللفظ وفي المعنى ويلتبسان فربما وضع الناسُ أحَدَهما موضع الآخَرِ"

٥- مقدمة ابن خلدون:

- الفصل الثاني والعشرون: في لغات أهل الأمصار.
- الفصل الثاني والثلاثون: في صناعة الغناء.
- الفصل التاسع والثلاثون: في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية.

مقدِّمة:

نقدِّم هنا عددًا من المقولات التي تتردَّد في مجال التأليف اللغوي، وبعضها مقولات مرجعية لا يمكن لأي لغوي ألا يعرفها، وألا يعرف المصدر الأصلي الذي وردت فيه. وبعضها يؤرِّخ لبعض الآراء اللغوية التي كان يُبديها علماؤنا العرب في بعض القضايا التي ما زالت تفرض نفسها على الواقع اللغوي الآن. وسوف نشير في كل نصّ إلى مجاله اللغوي.

١) من كتاب البيان والتبيين.
٢) من كتاب البيان والتبيين.
٣) من كتاب سرّ صناعة الإعراب.
٤) من كتاب المضاف والمنسوب.
٥) من كتاب أدب الكاتب.
٦) من كتاب المقدمة لابن خلدون.

أولاً- البيان والتبيين:

- **المؤلف: الجاحظ، أبو عَمْرٍو عثمان بن بَحْر(ت ٢٥٥هـ).**
- **الكتاب: البيان والتبيين . تحقيق وشرح عبد السلام هارون . مكتبة**

الخانجي ـ الطبعة السابعة ١٩٩٨م. (أربعة أجزاء)

النموذج الأول:

"...وقال تبارك وتعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} إبراهيم٤ لأن مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهيم، وكلما كان اللسان أبيَنَ كان أحْمَدَ، كما أنه كلما كان القلب أشدَّ استبانة كان أحْمَدَ، والمُفْهِمُ لك والمتفَهِّمُ عنك شريكان في الفضل، إلا أن المُفْهِمَ أفضل من المتفهّم وكذلك المُعَلِّمُ والمُتَعَلِّمُ.

هكذا ظاهر هذه القضية وجمهور هذه الحكومة إلا في الخاص الذي لا يُذْكَر والقليل الذي لا يُشْهَر.

وضرب الله مثلا لعيّ اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان وقال تعالى (أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) ولذلك قال النمر بن تولب

(وكل خليل عليه الرعاث ... والحبلات ضعيف ملق)

وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل يوم إطالة الخطبة بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة وعن الحصر من فوت درك الحاجة والناس لا يعيرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب ومماتنة العَيّ الحصر للبليغ المصقع في سبيل مماتنة المنقطع المفحم للشاعر المفلق وأحدهما أَلْوَمُ من صاحبه والألسنة إليه أسرع وليس اللجلاج والتمتام الألثغ والفأفاء وذو الحُبسة والحكلة والرتة وذو اللَّفَف والعجلة في سبيل الحصر في خطبته والعَيّ في مناضلة خصومه كما أن سبيل المفحم عند الشعراء والبكيء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار.

ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء مع سماحة التكلف وشنعة التزيد أعذر من عَيّ يتكلف الخطابة، ومن حَصْر يتعرض لأهل الاعتياد والدربة ومدار اللائمة ومستقر المَذمّة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبيانا يمازجه التزيد إلا أن تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الأعرابي القُحّ وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ وفي التحبير والارتجال أنه البحر الذي لا ينزح والغمر الذي لا يُسْبَر أيسر من انتحال الحصر المنخوب أنه في مسلاخ التام الموفر والجامع المحكك وإن كان رسول الله قد قال (أبغضكم الي الثرثارون المتفيهقون) وقال (من بدا جفا) وعاب الفدادين والمتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق ورحب الغلاصم وهدل الشفاه وأعلمنا ان ذلك في أهل الوبر أكثر وفي اهل المدر أقل فاذا عاب المدري بأكثر مما عاب به الوبري فما ظنك بالمولد القروي والمتكلف البلدي فالحصر المتكلف والعي المتزيد ألوم من البليغ المتكلف لاكثر مما عنده وهو أعذر لان الشبهة الداخلة عليه اقوى فمن أسوأ حالا أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشدقين ومن الثرثارين المتفيهقين وممن ذكره النبي نصا وجعل النهي عن مذهبه مفسرا وذكر مقته له وبغضه اياه.

ولما علم واصل بن عطاء انه ألثغ فاحش اللثغ وأن مخرج ذلك منه شنيع وأنه اذ كان داعية مقالة ورئيس نحلة وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل وأنه لابد من مقارعة الابطال ومن الخطب الطوال وان البيان يحتاج الى تمييز وسياسة والى ترتيب ورياضة والى تمام الالة وإحكام الصنعة والى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف واقامة الوزن وان حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته إلى الجلالة والفخامة وإن ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب وتنثني إليه الأعناق وتزين به المعاني.

وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة كنحو ما أعطى الله نبيه موسى صلوات الله عليه من التوفيق والتسديد مع

لباس التقوى وطابع النبوة ومع المحبة والاتساع في المعرفة ومع هدي النبيين وسمت المرسلين وما يغشيهم الله به من القبول والمهابة ولذلك قال بعض شعراء النبي:

(لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بداهته تنبيك بالخبر)

ومع ما أعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة الى ان حل الله تلك العقدة ورفع تلك الحبسة وأسقط تلك المحنة ومن اجل الحاجة الى حسن البيان وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه وإخراجها من حروف منطقة فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأنى لستره والراحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا ولظرافته معلما لما استجزنا الاقرار به والتأكيد له ولست اعني خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة لان ذلك يحتمل الصنعة وإنما عنيت محاجة الخصوم ومناقلة الاكفاء ومفاوضة الاخوان واللثغة في الراء تكون بالغين والذال والياء والغين أقلها قبحا وأوجدها في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم.

وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء وقد ذكر ذلك أبو الطروق الضبي فقال:

(عليم بابدال الحروف وقامع ... لكل خطيب يقلب الحق باطله)

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها وكان طويل العنق جدا وفيه قال بشار الاعمى:

(مالي أشايع غزالا له عنق ... كنقنق الدو إن ولى وان مثلا)

(عنق الزرافة ما بالي وبالكم ... أتكفرون رجالا أكفروا رجلا)

فلما هجا واصلا وصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين وقال:

(الارض مظلمة والنار مشرقة ... والنار معبودة مذ كانت النار)

وكان واصل بن عطاء غزالا وزعم ان جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله فقيل له: وعليٌّ أيضا؟ فأنشد:

(وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذى لا تصحبينا)

قال واصل بن عطاء عند ذلك: أما لهذا الملحد الأعمى المشنف المتكنى بأبي معاذ من يقتله؟! أما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفله، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عقيلي أو سدوسي.

قال إسماعيل بن محمد الأنصاري وعبد الكريم بن روح الغفاري: قال أبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمري: ألا تريان كيف تجنب الراء في كلامه هذا وأنتما للذي تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام، ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث، جعل المشنف بدلا من المرعث والملحد بدلا من الكافر وقال: إن الغيلة سجية من سجايا الغالية ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الراء وقال: لبعثت اليه من يبعج بطنه، ولم يقل: لأرسلت إليه، وقال: على مضجعه، ولم يقل: على فراشه.

وكان اذا أراد ان يذكر البر قال القمح والحنطة والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر أفصح ممن قال قمح أو حنطة".

النموذج الثاني:

قال أبو عثمان: أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا، وإذا سمعتموني أذكر العوام فإني لست أعني الفلاحين الحشوة والصناع والباعة ولست أعني الأكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار، ولست أعني من الأمم مثل البير والطيلسان ومثل موقان وجيلان ومثل الزنج وأمثال الزنج، وإنما الأمم المذكورون

من جميع الناس أربع العرب وفارس والهند والروم والباقون همج وأشباه الهمج وأما العوام من اهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وادبنا واخلاقنا فالطبقة التي عقولها واخلاقها فوق تلك الامم ولم يلبغوا منزلة الخاصة منا على ان الخاصة تتفاضل في الطبقات أيضا، ثم رجع بنا القول الى بقية كلام بشر بن المعتمر والى ما ذكر من الاقسام قال بشر: فان كانت المنزلة الاولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسنح لك عند اول نظرك وفي اول تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر الى قرارها والى حقها من اماكنها المقسومة لها والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والنزول في غير اوطانها فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك احد وان انت تكلفتها ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا محكما لسانك بصيرا مما عليك او مالك عابك من انت اقل عيبا منه ورأى من هو دونك انه فوقك فان ابتليت بان تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع في اول وهلة وتعصى عليك بعد إجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك أوسواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة او جريت من الصناعة على عرق فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك واخفها عليك فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب والشيء لا يحن الا الى ما يشاكله وان كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لان النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة فهكذا هذا.

وقال ينبغي للمتكلم ان يعرف اقدار المعاني ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني ويقسم اقدار المعاني على اقدار المقامات واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات فان كان الخطيب

متكلما تجنب الفاظ المتكلمين كما انه ان عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا او مجيبا او سائلا كان اولى الالفاظ به الفاظ المتكلمين اذ كانوا لتلك العبارات أفهم والى تلك الالفاظ أميل واليها أحن وبها أشغف...

... وقبيح بالخطيب ان يقوم بخطبة العيد او يوم السماطين او على منبر جماعة او في سدة دار الخلافة او في يوم جمع وحفل إما في اصلاح بين العشائر واحتمال دماء القبائل واستلال تلك الضغائن والسخائم فيقول كما قال بعض من خطب على منبر ضخم الشان رفيع المكان ثم ان الله عز و جل بعد ان أنشأ الخلق وسواهم ومكن لهم لاشاهم فتلاشوا ولولا ان المتكلم افتقر الى ان يلفظ بالتلاشي لكان ينبغي ان يؤخذ فوق يده وخطب آخر في وسط دار الخلافة فقال في خطبته واخرجه الله من باب الليسية فأدخله في باب الايسية وقال مرة اخرى في خطبة له هذا فريق ما بين السار والضار والدفاع وقال مرة اخرى فدل ساتره على غامره ودل غامره على منحله فكاد ابرهيم ابن السندى يطير شفقا ويتقد غيظا هذا وابراهيم من المتكلمين والخطيب لم يكن من المتكلمين، وانما جازت هذه الالفاظ في صناعة الكلام حين عجزت الاسماء عن اتساع المعاني.

... وكما لا ينبغي ان يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي ان يكون غريبا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي.

وكلام الناس في طبقات كما ان الناس أنفسهم في طبقات فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسميح والخفيف والثقيل وكله عربي وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا قال زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم ذكروا الغيبي والبكي والحصر والمفحم والخطل والمسهب والمتشدق والمتفهق والمهماز والثرثار والمكثار والمهماز ولم ذكروا الهجر والهذر والهذيان والتخليط وقالوا رجل تلقاعة وتلهاعة وفلان يتلهيع في خطبته وقالوا فلان يخطىء في جوابه ويحيل في كلامه ويناقض في خبره ولولا

ان هذه الامور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الاسماء.

وانا أقول انه ليس في الارض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق ولا ألذ في الاسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الاعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا الا أني أزعم ان سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعاني وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم ومن الالفاظ الشريفة الكريمة المعاني كما ان النادرة الباردة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا وانما الكرب الذي يخيم على القلوب ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا هي باردة وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط وانما الشأن في الحار جدا والبارد جدا.

... ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الاعراب فاياك وان تحكيها الا مع إعرابها ومخارج ألفاظها فانك ان غيرتها بان تلحن في اعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك وأن تستعمل فيها الاعراب او ان تتخير لها لفظا حسنا او تجعل لها من فيك مخرجا سريا فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها.

ثم اعلم ان اقبح اللحن لحن اصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم وأقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الاسواق ولاهل المدينة السنة ذلقة والفاظ حسنة وعبارة جيدة واللحن في عوامهم فاش وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب واللحن من الجواري الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر وربما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف ولكن اذا كان اللحن

سجية سكان البلد وكما يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة فاذا أسنت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح وربما كان اسم الجارية غليم وصبية وما اشبه ذلك فاذا صارت كهلة جزلة وعجوزا شهلة وحملت اللحم وتراكم عليها الشحم وصار بنوها رجالا وبناتها نساء فما أقبح حينئذ ان يقال لها يا غليم كيف أصبحت ويا صبية كيف أمسيت ولأمر ما كنت العرب البنات فقالوا فعلت ام الفضل وقالت ام عمرو وذهبت ام حكيم نعم حتى دعاهم ذلك الى التقدم في تلك الكنى وقد فسرنا ذلك كله في كتاب الاسماء والكنى والالقاب والانباز، وقد قال مالك بن أسماء في استملاح اللحن من بعض نسائه...

منطق صائب وتلحن أحيانا ... وأحلى الحديث ما كان لحنا

ثانيًا- من كتاب "سِرّ صناعة الإعراب":

المؤلِّف: أبو الفتح، عثمان بن جني(ت ٣٩٢هـ)

الكتاب: سر صناعة الإعراب. تحقيق د. حسن هنداوي. دار القلم. دمشق. الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

النموذج:

اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يُعْصَر له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت فتجد له جرسا ما فإن انتقلت منه راجعا عنه أو متجاوزا له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول وذلك نحو الكاف فإنك إذا قطعت بها سمعت هناك صدى ما فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين.

وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا لأن

الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجتذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول اك اق اج وكذلك سائر الحروف إلا أن بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها ألا تراك تقول في الدال والطاء واللام اد اط ال فلا تجد للصوت منفذا هناك ثم تقول اس اص از اذ اث اف فتجد الصوت يتبع الحرف وإنما يعرض هذا الصويت التابع لهذه الحروف ونحوها ما وقفت عليها لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها فيتمكن الصويت فيظهر فأما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها مما سنبينه في أماكنه إن شاء الله فإنك لا تحس معها شيئا من الصوت كما تجده معها إذا وقفت عليها وذلك نحو يصبر ويسلم ويزلق ويثرد ويفتح وإنما كان ذلك كذلك من قبل أن أخذك في حرف آخر وتأهبك له قد حالا بينك وبين التلبث والاستراحة التي يوجد معها ذلك الصويت وسترى ذلك ملخصا بمعونة الله تعالى.

فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتدا حتى ينفد فيفضي حسيرا إلى مخرج الهمزة فينقطع بالضرورة عندها إذ لم يجد منقطعا فيما فوقها... ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصدائها ما شبه بعضهم الحلق والفم بالناي فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين عمله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة.

ونظير ذلك أيضا وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك

أصداء مختلفة إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزا ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته وضعفه ورخاوته فالوتر في هذا التمثيل كالحلق والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب وإن لم يكن هذا الفن مما لنا ولا لهذا الكتاب به تعلق ولكن هذا القبيل من هذا العلم أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم فقد ثبت بما قدمناه معرفة الصوت من الحرف وكشفنا عنهما بما هو متجاوز للإقناع في بابهما ووضحت حقيقتهما لمتأملهما... اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توام كوامل قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض وذلك قولك يخاف وينام ويسير ويطير ويقوم ويسوم فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتدادا وذلك نحو يشاء ويداء ويسوء ويهوء ويجيء ويفيء وتقول مع الإدغام شابة ودابة ويطيب بكر ويسير راشد وتمود الثوب وقد قوص زيد بما عليه أفلا ترى إلى زيادة الامتداد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن وهن في كلا موضعيهن يسمين حروفا كوامل فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفا صغارا بأبعد في القياس منه.

ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه وذلك نحو فتحة عين عمر فإنك إن

أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت عامر وكذلك كسرة عين عنب إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة ولذلك قولك عينب وكذلك ضمة عين عمر لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوا ساكنة وذلك قولك عومر فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعة لها.

ويزيد ذلك وضوحا لك أن جميع حروف المعجم غير هؤلاء الثلاثة الأحرف لك أن تأتي بكل حرف منها بعد أي الحركات شئت ولا تجد مع ذلك نبوا في اللفظ ولا استكراها سواكن كن الحروف أو متحركات وذلك نحو اللام من سلم وسلم وسلمى وكذلك العين من سعد وسعد وسعلاة وسعاد وسعيد وسعود فأما استكراههم الخروج من كسر إلى ضم بناء لازما فليس ذلك شيئا راجعا إلى الحروف إنما هو استثقال منهم للخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه وأنت لو رمت أن تأتي بكسرة أو ضمة قبل الألف لم تستطع ذلك البتة وكذلك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح وذلك نحو فعل من القول والطول أصله أن تقول قول وطول ثم تستثقل ذلك فتقلب الواو للكسرة قبلها ياء فتقول قيل وطيل وقد قالتهما العرب مقلوبين هكذا ونحوهما ميزان وميقات وميعاد كل هذه من الواو في وزن ووقت ووعد وكذلك قالوا موسر وموقن وأصلهما ميسر وميقن فكرهوا الياء بعد الضمة فأبدلوها واوا وكذلك إن انكسر ما قبل الألف أو انضم قلبت للكسرة ياء وللضمة واوا وذلك الياء في قراطيس إنما هي بدل من الألف في قرطاس والواو في ضويرب إنما هي بدل من الألف في ضارب.

وإنما قلبت هذه الحروف بعد هذه الحركات لأنك إذا بدأت بالكسرة فقد جئت ببعض الياء وآذنت بتمامها فإذا تراجعت عنها إلى الواو فقد نقضت أول قولك بآخره وخالفت بين طرفيه وكذلك إذا بدأت بالضمة ثم جئت بعدها بالياء فقد جئت بأمر غيره المتوقع لأنك لما جئت بالضمة توقعت الواو فإذا عدلت إلى الياء فقد نقضت بآخر لفظك أوله إلا أن ذلك وإن كان مستثقلا فليس بمستحيل

في الطاقة والطوع كاستحالة مجيء الألف بعد الكسرة أو الضمة فإن قلت فما بالك تقول الغير والعيبة والطول والعوض فتأتي بالياء بعد الضمة وبالواو بعد الكسرة، فالجواب أنه إنما جاز ذلك من قبل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح فجازت مخالفة ما قبلهما من الحركات إياهما وكذلك قولهم اجلوذ اجلواذا واخروط اخرواطا فتصح الواو الأولى في اجلواذ واخرواط من قبل أنها لما أدغمت في التي بعدها قويت وضارعت الحروف الصحاح فجاز ثباتها مع انكسار ما قبلها وكذلك قالوا قرن ألوى وقرون لي فصححوا الياء الأولى وإن كانت ساكنة مضموما ما قبلها من قبل أنها قويت بالإدغام فحصَّنها عن القلب.

ثالثًا– من كتاب "ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب":

المؤلف: أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري(ت٣٥٠هـ).

الكتاب: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية بيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

"...وبناء هذا الكتاب على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يتمثل بها ويكثر في النثر والنظم وعلى ألسن الخاصة والعامة استعمالها كقولهم غراب نوح ونار إبراهيم وذئب يوسف وعصا موسى وخاتم سليمان وحمار عزير وبردة النبي محمد

...وكقولهم في الاستعارات رأس المال ووجه النهار وعين الشمس وأنف الجبل ولسان الحال وناب النوائب وأذن الحائط وقلب العسكر وكبد السماء وصدر الأمر.

وقد خرجتها في أحد وستين بابا ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولا ويفصح عن الاستشهاد وسياقه المراد آخرا وما منها إلا ما يتعلق من المثل

بسبب ويوفى من اللغة والشعر على طرف ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسم ويجيل في خصائص البلدان والأماكن قدحا ويجرى في أعاجيب الأحاديث شوطا ..."

"الباب الأول فيما يضاف إلى اسم الله تعالى عز ذكره:

أهل الله . بيت الله . رسول الله . كتاب الله . خليل الله . روح الله . أرض الله . أسد الله . سيف الله . قوس الله . رمح الله . كلب الله . نار الله . شمس الله . ظل الله . سعد الله . ناقة الله . نهر الله . خاتم الله . رحمة الله . ستر الله . يد الله . عمال الله . سبيل الله . باب الله . نور الله . حراس الله . أمان الله . ميزان الله . خالصة الله . موائد الله . عين الله . أمر الله . طراز الله . خلافة الله . لعنة الله . سجن الله . بنيان الله . صبغة الله . وفد الله .

الاستشهاد:

١- (أهل الله) كان يقال لقريش في الجاهلية أهل الله لما تميزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم والفضائل والخصائص التى هى أكثر من أن تحصى؛ ...ولما جاء الله تعالى بالإسلام وبعث منهم خير خلقه وأفضل رسله محمدا رسول الله تظاهر شرفهم وتضاعف كرمهم وصاروا على الحقيقة أهلا لأن يُدْعَوْا أهلَ الله فاستمر عليهم وعلى سائر أهل مكة وعلى أهل القرآن هذا الاسم حيث قال النبي (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) وقال لعتاب بن أسيد لما بعثه إلى مكة: هل تدرى على من استعملتك استعملتك على أهل الله.

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه نافع بن عبد الحارث الخزاعى حين قدم عليه من مكة من استخلفت على مكة قال ابن أبزى قال أتستخلف على أهل الله مولى؟ قال إنه أقرؤهم لكتاب الله تعالى، قال إن الله تعالى يرفع بالقرآن أقواما.

قال بعض السلف حسبك من قريش أنهم أهل الله وأقرب الناس بيوتا من بيت الله وأقربهم قرابة من رسول الله ...".

٢- (بيت الله) كما أن أهل مكة أهل الله والحجاج زوار الله، فالكعبة بيت الله الذى جعله الله مثابة للناس وحطة للخليل وحلة للذبيح وقبلة لسيد ولد آدم وخاتم الأنبياء وكعبة لأمته التى هى خير الأمم، وقد كانت العرب في الجاهلية لا تبنى بنيانا مربعا تعظيما للكعبة وقد كانت تحلف ببيت الله كما قال زهير:

(فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم)

... وقال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾.

٣- (رسول الله) قال الله عز وجل: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ وممن تمثل به فأحسن جدا ابن الرومى حيث قال في التمثيل لتفضيل الولد على الوالد:

(قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم ... كلا لعمرى ولكن منه شيبان).

(وكم أب قد علا بابن ذرا شرف ... كما علا برسول الله عدنان).

وقال آخر في تفضيل الأخير على الأول:

(كذاك رسول الله آخر مرسل ... وما مثله فيما تقدم مرسل)...

٤- (كتاب الله) قال ابن الرومى متمثلا به:

(وكأنما يمناى حين تناولت ... يمناك إذ صافحتنى بكتاب).

(أخذت كتاب الله وهو مبشر ... بكرامة الرضوان يوم حساب).

٥- (خليل الله) اتخذ الله إبراهيم خليلا واتخذ محمدا حبيبا والحبيب أخص من الخليل في الشائع المستفيض من العادات ...ويؤكده أنه تعالى لا يحب أحدا ما لم يؤمن بمحمد ويتبعه، ألا تسمعه يقول: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ

تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

٦- (روح الله) قال تعالى في ذكر عيسى عليهم السلام: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾ فلذا قيل له روح الله كما قيل لإبراهيم خليل الله ولموسى كليم الله عليهم الصلاة السلام، الأرواح كلها منه وله وإنما أضيفت روح الله إليه على سبيل الاختصاص، ومما يستملح لأبى أحمد بن أبى بكر الكاتب قوله لعلي بن عيسى الوزير ويروى لابن بسام وهو بقوله أشبه:

(لست روح الله عيسى ... إنما أنت ابن عيسى).

(كلم الناس فإن الله ... قد كلم موسى).

٧- (أرض الله) قد أكثر الناس في الحث على السير في الأرض لطلب الرزق ... وقال سعيد بن محمد الطبرى:

(سأغنى بالهبيد وباللبيد ... وبالفلوات عن قصر مشيد).

(فأرض الله واسعة أمامى ... إذا ضاق الفضاء على البليد).

ومعنى الهبيد الحنظل واللبيد الجوالق، أى: أستغنى بالحنظل ومرعى البر عن استصحاب زاد، وكأن أحسن ما قيل من ذلك مقتبس من قوله عز ذكره (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها).

٨- (أسد الله) كان يقال لحمزة بن عبد المطلب أسد الله لتقدم قدمه في الحرب وشدة إقدامه على أعداء رسول الله، ولما قال حمزة يوم حرب بدر: أنا أسد الله وأسد رسول الله قال له عتبة بن ربيعة: أنا أسد الحلفاء...".

٩- (سيف الله) خالد بن الوليد بن المغيرة أبو سليمان سماه النبى سيف الله لحسن آثاره في الإسلام وصدقه في قتال المشركين...".

وكان الحجاج يقول لأبناء المهلب: هم سيوف من سيوف الله.

وكتب بعض البلغاء ما ظنك بسيوف الله تعالى في أيدى أوليائه وقد نصره من سمائه على أعدائه.

١٠- (قوس الله) هى التى يقال لها قوس قزح ويشبه بها ما يقل لبثه ولا يدوم مكثه كما قال العلوى الحمامى:

(فشبهت سرعة أيامهم ... بسرعة قوس يسمى قزح).

(تلون معترضا في السماء ... فما تم ذلك حتى نزح).

وفى الخبر لا تقولوا قوس قزح ولكن قولوا قوس الله فإن قزح من أسماء الشياطين ويجوز أن تكون سميت بهذا الأسم وأضيفت إلى الله تعالى لأنها من فعل الله وسائر القسى من برى الناس وفعلهم ...".

١١- (رمح الله) كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا ذكر الكوفة قال: هى رمح الله وفيها جمجمة العرب وكنز الايمان كأنه أراد أن أهلها سلاح على أعداء الله في المحاربة.

١٢- (كلب الله) قال الجاحظ يروى أن النبي قال لعتبة بن أبى لهب (أكلك كلب الله) فأكله الأسد وفى هذا الخبر فائدتان:

إحداهما أنه ثبت بذلك أن الأسد كلب الله.

والثانية أن الله تعالى لا يضاف إليه إلا العظيم من جميع الأشياء من الخير والسر أما الخير فقولهم بيت الله وأهل الله وزوار الله وكتاب الله وأرض الله وخليل الله وروح الله وأشباه ذلك وأما الشر فكقولهم دعه في لعنة الله تعالى وسخطه وأليم عذابه ودعه في نار الله وسقره.

١٣- (نار الله) قال الجاحظ كل شيء أضافه الله تعالى إلى نفسه فقد عظم شأنه وشدد أمره وقد فعل ذلك بالنار فقال (نار الله الموقدة)...".

١٤- (شمس الله) عهدي بالأمير السيد أدام الله تأييده ينشدنى فائية ديك

الجن من أولها إلى آخرها وهى فائقة رائقة يزداد حسنها لجريها على لسانه وتكتسى شعارا أنيقا من عباراته ومنها:

(وصفراوين من جلب الأمانى ... إذا جليت ومن حلب القطاف).

(أدرا منهما فلكا وشمسا ... وشمس الله مسرجة الغلاف).

١٥- (ظل الله) يروى عن النبي أنه قال (السلطان ظل الله في أرضه) وأنشدنى أبو الفتح على بن محمد البستى لنفسه:

(يا قوم أرعونى أسماعكم ... حتى أؤدى واجب الفرض).

(أشهد حقا أن سلطانكم ... ليس بظل الله في الأرض).

١٦- (سعد الله) قال الأصمعى من أمثال العرب:

(أسعد الله أكثر أم جذام ...).

وهما حيان بينهما فضل بين لا يخفى إلا على جاهل لا يعرف شيئا قال الشاعر:

(لقد أفحمت حتى لست تدرى ... أسعد الله أكثر أم جذام)

وضمن الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد معظم هذا البيت شعرا له كتب به في صباه إلى بعض إخوانه فمنه:

(كتبت وقد سبت عقلى المدام ... وساعدنى على الشرب الندام).

(وأسرفنا فما ندرى لسكر ... أسعد الله أكثر أم جذام) ...

١٧- (ناقة الله) النوق وغيرها من المخلوقات كلها لله ولكن هذه الناقة لما كانت آية من آيات الله تعالى ومعجزة لنبيه صالح عليه السلام خصت بالإضافة إلى الله تعالى كما قال (ناقة الله وسقياها) وذلك أن ثمود قالوا لصالح إن أردت أن نؤمن لك فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء تبرك بين ايدينا وتمخض كما تمخض النوق الحوامل

وتنتج سقبا منها فصلى صالح ركعتين ودعا الله تعالى فانشقت الصخرة عن ناقة عظيمة الخلق حسنة الصورة فبركت بين أيديهم وتمخضت ونتجت سقبا مثل أمه في عظم الخلقة فقال لهم صالح عن الله تعالى ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ فاقتسموا الماء فكان لهم يوم وللناقة يوم فإذا كان يوم الناقة توسعوا في اللبن ما شاءوا وإذا كان يومهم لم يكن للناقة ماء فنفسوا عليها بشرب يومها وتآمروا في عقرها فقال لهم صالح ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ فانبعث أشقاها وعقرها بأمر ثمود فرفع السقب رأسه إلى السماء ورغا بحنين وأنين فقال لهم صالح عليه السلام ﴿ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ﴾ ثم جاءهم العذاب في اليوم الرابع وأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وصارت ناقة الله مثلا سائرا على وجه الدهر وربما قيل لها ناقة صالح وصار عاقرها مثلا في الشقوة والشؤم وهو أحمر ثمود وصارت ثمود مثلا في الفناء والهلاك.

ومن ظريف التمثيل بهذه القصة قول والى اليمامة في خطبته: أيها الناس لا تجترئوا على الله فإنه لا يقر على المعاصى عباده، ولقد أهلك أمة عظيمة من أجل ناقة قيمتها ثلاثمائة درهم. فسمى مقوِّم الناقة.

وقد أكثر الناس من ضرب المثل بهذه الناقة ومن مليح ذلك قول بعضهم في العتاب والاقتضاء:

(حوائج الناس كلها قضيت ... وحاجتى لا أراك تقضيها).

(أناقة الله حاجتى عقرت ... أم نبت الحرف في حواشيها).

وضرب بها ابن الرومى المثل فقال وهو يصف إنسانا بشدة الأكل:

(رفقا بزاد القوم لا تفنه ... يا ناقة الله وسقياها).

رابعًا- من كتاب "أدب الكاتب":

المؤلف: أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قُتيبة (ت ٢٧٦هـ).

الكتاب: أدب الكاتب . تحقيق محمد الدالي . مؤسسة الرسالة . د. ت.

هذا كتاب تقويم اللسان:

"باب الحرفين اللَّذَين يتقاربان في اللفظ وفي المعنى ويلتبسان فربما وضع الناسُ أحَدَهما موضع الآخَرِ":

(والْجُهْدُ) الطاقة تقول (هَذَا جُهْدِي) أي: طاقتي (وَالْجَهْد) المشقة تقول(فَعَلْتُ ذَلِكَ بِجَهْدٍ) وتقول(اجْهَدْ جَهْدَكَ) ومنهم من يجعل الْجُهْدَ والْجَهْدَ واحداً ويحتج بقوله الله تعالى:(والَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلا جُهْدَهُمْ) وقد قُرِئَ (جَهْدَهم) (والْكُرْه) المشقة يقال: (جِئتُك عَلَى كُرْهٍ) أي:على مشَقَّة ويقال:(أَقَامَنِي عَلَى كَرْهٍ) إذا أكرهَكَ غيرُك عليه ومنهم من يجعل الكُرْه والكَرْه واحدًا.

(وعُرْضُ الشَّيْء) إحدى نَوَاحيه (وعَرْضُ الشَّيْء) خلافُ طولِهِ.

(والْغَبْن) في الشراء والبَيع (والْغَبَن) في الرأي يقال (في رأيه غَبَن) (وقَدْ غَبِنَ رَأيه) كما يقال (سَفِهَ رَأْيَهُ).

(والْحَمْل) حَمْل كلِّ أنثى وكُلِّ شجرة قال الله عز و جل : (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا) (والَحِمْلُ) ما كان على ظهر الإنسان

(وفُلاَن قَرْنُ فُلاَنٍ) إذا كان مثلَه في السِّن (وقِرْنُه) إذا كان مثله في الشدة

(وعَدْل الشَّيْء) بفتح العين- مِثْلُه قال الله سبحانه وتعالى: (أو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً) (وعِدْلُ الشَّيْء) بكسر العين- زِنَتُه.

(وجِئْتُ في عُقْبِ الشَّهْرِ) إذا جئتَ بعد ما مضى (وجِئْتُ في عَقِبِهِ) إذا جئتَ وقد بَقِيَتْ منه بقية.

(والقُرْحُ) يقال : إنه وجَع الجراحات (والقَرْح) الجراحات بأعيانها.

(والذَّبْح) مصدرُ ذَبْحتُ (والذِّبْحُ) المذبوح.

(والرَّعْى) مصدرَ رَعَيْتُ (والرِّعْىُ) الكَلأَ.

(والطَّحْن) مصدرُ طَحَنْتُ (والطِّحْن) الدقيق.

(والغَسْلُ) مصدرُ غَسَلْت (والغِسْلُ) الْخَطْمِيُّ وكلُّ ما غُسِل به الرَّأسُ (والغُسْلُ) بالضم – المَاء الذي يُغْتَسَل به.

(والسَّبْق) مصدر سَبَقْتُ (والسَّبَق) الخَطَرَ.

(والقَدُّ) مصدر قَدَدْتُ السير (والْقِدُّ) السير.

(والضُّر) الهُزَال وسُوءُ الحال (والضَّر) ضد النَّفَع.

(والْجِرْمُ) البَدَن (والْجُرْمُ) الذّنْب.

(والسِّلْم السَّلْم) الصُّلح (والسَّلَمُ) الإستسلام.

(والوَرِق) المال من الدّراهم (والوَرَق) المال من الغنم والإبل.

(والنُّصْب) الشر قال الله عزّ وجل: (بِنُصْبٍ وَعَذَاب) (والنُّصُبُ) ما نُصِب قال الله عز و جل : (كَأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) وهو النُّصْب أيضاً (والنَّصَب) التَّعَب قال الله تعالى: (لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا).

(والْخَلْفُ) الردىء من القول ومنه قولهم في المثل: (سَكَتَ أَلفاً وَنَطَقَ خَلْفاً).

ويقال (هذا خَلْفُ سواء) قال الله عز وجل: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْف) (وهذا خَلَفٌ من هذا) إذا قام مَقَامه.

(والشَّقُّ) الصَّدْع في عُود أو زُجَاجة (والشِّقُّ) نصف الشيء وهو أيضًا المشقة.

(والسَّدَاد) في المنطق والفعل بالفتح وهو الإصابة (والسِّداد) بكسر السين– كل شيء سددت به شيئاً مثلَ سِداد القارورة وسِداد الثَّغْر أيضاً ويقال (أصبت سِدَاداً من عيش) أي: ما تَسُد به الخَلّة ن (وهذا سِداد من عَوَزٍ).

(والقَوَام) العَدْل قال الله عز وجل: (وكَانَ بَيْنَ ذلِكَ قَوَامًا).

(وقَوَام الرجل) قامته (والقِوام) بكسر القاف- ما أَقَامَكَ من الرزق ويقال (أصبت قِوَاماً من عيش) (وما قِوَامِي إلا بكذا).

(والوَلاية) ضد العداوة قال الله عز وجل (ماَ لَكُمْ مِنْ وَلاَيَتهِمْ مِنْ شيء) (والوِلاية) من وَلِيتُ الشيءَ.

(وعَلاَقَةُ) الحُب والخصومة بالفتح (وعِلاَقة) السَّوط بالكسر.

(والمِرْوَحَة) التي يُتَرَوّح بها (والمَرْوَحَة) التي تخترق فيها الريح قال الشاعر:

(كَأَنَّ رَاكِبَهاَ غُصْنٌ بِمَرْوَحَةٍ ... إِذَا تَدَلَّتْ بِهِ أَوْ شَارِبٌ ثَمِلُ).

(والْجَدُّ)- بفتح الجيم- الحَظُّ يقال منه: رجل مَجْدُود وفي الدعاء: (ولا ينفع ذا الْجَدّ منك الجدّ) (والْجَدّ) عظمة الله من قول الله عز وجل: (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) أي عظمة ربنا (والْجِدُّ) الاجتهاد والمبالغة.

خامسًا- مقدمة ابن خلدون:

المؤلف: ولي الدين، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون(ت ٨٠٨هـ).

الكتاب: مقدمة ابن خلدون . تحقيق عبد الله محمد الدرويش . دار يعرب . دمشق . الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

الفصل الثاني والعشرون- في لغات أهل الأمصار:

"اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية، وإن كان اللسان العربي المضري قد فسدت ملكته وتغير إعرابه. والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم، والدين والملة صورة للوجود وللملك. وكلها مواد له، والصورة مقدمة على المادة، والدين إنما يستفاد من الشريعة، وهي بلسان العرب، لما أن النبي صلى الله عليه وسلم عربي، فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها.

واعتبر ذلك في نهي عمر رضي الله عنه عن رطانة الأعاجم، وقال: إنها خب، أي مكر وخديعة. فلمَّا هَجَر الدينُ اللغاتِ الأعجمية، وكان لسانُ القائمين بالدولة الإسلامية عربيًّا، هُجِرَت كلُّها في جميع ممالكها، لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه. فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب. وهجر الأمم لغاتهم، وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك. وصار اللسان العربي لسانهم، حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم، وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة. ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض أحكامه وتغير أواخره، إن كان بقي فى الدلالات على أصله، وسمي لساناً حضريًا في جميع أمصار الإسلام.

فبقيت لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء، وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجام شيئًا فشيئًا. وسميت لغتهم حضرية منسوبة إلى أهل الحواضر والأمصار، بخلاف لغة البدو من العرب، فإنها كانت أعرق في العروبية. ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق، وزناتة والبربر بالمغرب، وصار لهم ملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية، فسد اللسان العربي لذلك، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين، وصار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة المضرية من الشعر والكلام، إلا قليلاً بالأمصار، عربية. فلما ملك التتر والمغول بالمشرق، ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجح، وفسدت اللغة العربية على الإطلاق، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية، بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر، وبلاد الشمال، وبلاد الروم، وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام، إلا قليلاً يقع تعليمه صناعياً بالقوانين المتدارسة من علوم العرب، وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك. وربما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر والشام والأندلس والمغرب، لبقاء الدين طالبًا لها، فانحفظت بعض الشيء. وأما في ممالك العراق وما وراءه، فلم يبق له أثر ولا عين، حتى إن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي، وكذا تدريسه في المجالس. والله أعلم

بالصواب. والله مقدر الليل والنهار. صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا دائماً أبداً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثاني والثلاثون- في صناعة الغناء:

هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة، بتقطيع الأصوات على نِسَبٍ منتظمة معروفة، يوقع على كل صوت منها توقيعاً عند قطعه فيكون نغمة. ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب، وما يحدث عنه من الكيفية فى تلك الأصوات... وقد يساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع أصوات أخرى من الجمادات، إما بالقرع أو بالنفخ في آلات تتخذ لذلك، فتزيدها لذة عن السماع. فمنها لهذا العهد بالمغرب أصناف: منها المزمار ويسمونه الشبابة، وهي قصبة جوفاء بأبخاش في جوانبها معدودة، ينفخ فيها فتصوت. ويخرج الصوت من جوفها على سدادة من تلك الأبخاش. ويقطع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعاً على تلك الأبخاش وضعاً متعارفاً، حتى تحدث النسب بين الأصوات فيه، وتتصل كذلك متناسبة، فيلتذ السمع بإدراكها للتناسب الذي ذكرناه...

... ومن أحسن آلات الزمر لهذا العهد البوق، وهو بوق من نحاس، أجوف في مقدار الذراع، يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه في مقدار دور الكف في شكل بري القلم.

... وإذ قد ذكرنا معنى الغناء، فاعلم أنه يحدث في العمران، إذا توفر وتجاوز حد الضرروي إلى الحاجي، ثم إلى الكمالي، وتفننوا فيه، فتحدث هذه الصناعة. لأنه لا يستدعيها إلا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره، فلا يطلبها، إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تفننًا في مذاهب الملذوذات. وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زاخر في أمصارهم ومدنهم. وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به، حتى لقد كان لملوك الفرس اهتمام بأهل هذه الصناعة، ولهم مكان في دولتهم، وكانوا يحضرون

مشاهدهم ومجامعهم ويغنون فيها. وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل أفق من آفاقهم، ومملكة من ممالكهم.

وأما العرب فكان لهم أولاً فن الشعر، يؤلفون فيه الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها... وهذا التناسب الذي من أجل الأجزاء والمتحرك والساكن من الحروف، قطرة من بحر من تناسب الأصوات، كما هو معروف في كتب الموسيقى. إلا أنهم لم يشعروا بما سواه، لأنهم حينئذ لم ينتحلوا علمًا ولا عرفوا صناعة... وربما ناسبوا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة، كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيره. وكانوا يسمونه السناد، وكان أكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحلوم. وكانوا يسمون هذا الهزج، وهذا البسيط، كله من التلاحين هو من أوائلها، ولا يبعد أن تتفطن له الطباع من غير تعليم شأن البسائط كلها من الصنائع.

ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم. فلما جاء الإسلام، واستولوا على ممالك الدنيا، وحازوا سلطان العجم، وغلبوهم عليه، وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدته في ترك أحوال الفراغ. وما ليس بنافع في دين ولا معاش، فهجروا ذلك شيئًا ما. ولم يكن الملذوذ عندهم إلا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي كان دينهم ومذهبهم. فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ. وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا إلى الحجاز وصاروا موالي للعرب، وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والزمامير، وسمع العرب تلحينهم للأصوات ولحنوا عليها أشعارهم.

وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب وحائر مولى عبد الله بن جعفر، فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر. ثم أخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريج وأنظاره. وما زالت صناعة الغناء تتمزّج إلى أن كملت أيام بني العباس عند إبراهيم بن المهدي، وإبراهيم الموصلي وابنه إسحق وابنه

حماد. وكان من ذلك في دولتهم ببغداد، ما تبعه الحديث بعده به وبمجالسه لهذا العهد، وأمعنوا في اللهو واللعب، واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والأشعار التي يترنم بها عليه. وجعل صنفًا وحده، واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج، وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب، معلقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان، ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويتثاقفون، وأمثال ذلك من اللعب المعد للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو.

وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق وانتشر منها إلى غيرها. وكان للموصليين غلام اسمه زرياب، أخذ عنهم الغناء فأجاد، فصرفوه إلى المغرب غيرة منه، فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس. فبالغ في تكرمته، وركب للقائه وأسنى له الجوائز والإقطاعات والجرايات، وأحله من دولته وندمائه بمكان. فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف. وطما منها بإشبيلية بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدوة بإفريقية والمغرب. وانقسم على أمصارها، وبها الأن منها صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها. وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لأنها كمالية في غير وظيفة من الوظائف، إلا وظيفة الفراغ والفرح. وهي أيضًا أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه. والله أعلم.

الفصل التاسع والثلاثون- في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه:

اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات. وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخًا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات. وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه. واختلفت طرقهم في تعليم

القرآن للولدان، باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات. فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعًا عن العلم بالجملة.

وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب، في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة. وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره. فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم. وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم. إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم. فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب.

ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة، وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما، وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة، لو كان فيها سند لتعليم العلوم. لكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم، ولا يحصل بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول. وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد إذا وجد المعلم.

وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه، وعنايتهم بالخط تبع لذلك. وبالجملة فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل

الأندلس، لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس، واستقروا بتونس، وعنهم أخذ ولدانهم بعد ذلك.

وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا، ولا أدري بِمَ عنايتهم منها. والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة، ولا يخلطونه بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده، كما تعلم سائر الصنائع، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان. وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة، ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه، ويبتغيه من أهل صنعته.

فأما أهل إفريقية والمغرب، فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها. وليس لهم ملكة في غير أساليبه، فلا يحصل لصاحبه ملكة فى اللسان العربي، وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام وربما كان أهل إفريقية في ذلك أخف من أهل المغرب، لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه، فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المِثْل بالمِثْل، إلا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة، لما أن أكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله.

وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل وممارسة العربية من أول العمر، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي. وقصروا في سائر العلوم، لبعدهم عن مُدَارَسَةِ القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها. فكانوا لذلك أهل خط وأدب بارع أو مقصر، على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا.

ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التعليم، وأعاد في ذلك وأبدأ، وقدم تعليم العربية والشعر على سائر

العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس. قال: "لأن الشعر ديوان العرب ويدعو إلى تقديمه وتقديم العربية في التعليم ضرورة، فساداً للغة، ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى درس القرآن، فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة" ثم قال:"ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره، يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر، غيره أهم عليه منه". قال: " ثم ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه". ونهى مع ذلك أن يخلط في التعليم علمان، إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط. هذا ما أشار إليه القاضي، أبو بكر رحمه الله، وهو لعمري مذهب حسن، إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك بالأحوال ووجه ما اختصت به العوائد، من تقديم دراسة القرآن، إيثارًا للتبرك أو الثواب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم، فيفوته القرآن، لأنه . ما دام في الحجر. منقاد للحكم. فإذا تجاوز البلوغ وانحل من ربقة القهر، فربما عصفت به رياح الشبيبة، فألقته بساحل البطالة، فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن له لئلا يذهب خلواً منه. ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم، وقبوله التعليم، لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب والمشرق. ولكن الله يحكم ما يشاء، لا معقب لحكمه سبحانه.

الفصل الأربعون– في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم:

وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مُضِرّ بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقًا، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه أو منزله.

وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين. وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف، واعتبره في كل من يملك أمرة عليه. ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به. وتجد ذلك فيهم استقراء. وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى إنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالخرج، ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد، وسببه ما قلناه. فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدوا عليهم في التأديب. وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه، الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين:"لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً". ومن كلام عمر رضي الله عنه: "من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله". حرصًا على صون النفوس عن مذلة التأديب، وعلمًا بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له، فإنه أعلم بمصلحته.

ومن أحسن مذاهب التعليم، ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده. قال خلف الأحمر: بعث إلي الرشيد في تأديب ولده محمد الأمين فقال: " يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن وعلمه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم، إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد، إذا حضروا مجلسه. ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه، فتميت ذهنه. ولا تمعن في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه. وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة. انتهى".



ملخّص الوحدة السابعة

قدّمنا عددًا من المقولات التي تتردَّد في مجال التأليف اللغوي، وبعضها مقولات مرجعية لا يمكن لأي لغوي ألا يعرفها، وألا يعرف المصدر الأصلي الذي وردت فيه. وبعضها يؤرِّخ لبعض الآراء اللغوية التي كان يُبديها علماؤنا العرب في بعض القضايا التي ما زالت تفرض نفسها على الواقع اللغوي الآن. وسوف اخترنا عددًا من النماذج من الكتب الآتية:

١) من كتاب البيان والتبيين:

النموذج الأول: يتكلّم فيه عن فضل البلاغة والبيان وأن مدار الأمر على البيان والتبيين وعلى الإفهام والتفهيم، وكلما كان اللسان أبيَنَ كان أفضل. كما يعطي نصائح للخطيب في أن يكون سليمًا من العيوب الصوتية حتى يكون مُفْهِمًا للناس،فإذا كان ذا عيب صوتي فإنه يجب أن يكون ماهرًا في عدم ظهور هذا العيب، كما ذمَّ الخطباء الذين يتقعّرون في خطابهم.

النموذج الثاني في مراعاة المقام والأحوال. يمتدح فيه مَن يبتعد عن الألفاظ الوحشية والساقطة والسوقية، واستشهد فيه بصحيفة بشر بن المعتمر، كما يدعو الخطباء إلى عدم التكلّف، كما دعوهم إلى مراعاة أقدار المستمعين، كما ذمَ الخطأ في اللغة(اللحن)، وأنه إذا كان مقبولا من الأعراب، ومن اجواري فإنه لا يمكن أن يُقبل من الخطباء والكُتّاب.

٢) من كتاب سرّ صناعة الإعراب: واخترنا منه نموذجًا يتكلم فيه عن كيفية إنتاج الصوت الإنسانيّ وما يحدث في الحلق والفم والشفتين مما يؤدي إلى اختلاف الصوت المنطوق، كما يشبّه عملية إنتاج الأصوات بعملية إنتاج الأنغام من وتر العود، كما أشار إلى العلاقة بين الحركات القصيرة وحروف المدّ.

٣) كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: نموذج في أشياء مضافة

ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يتمثل بها ويكثر في النثر والنظم وعلى ألسن الخاصة والعامة استعمالها، واخترنا **الباب الأول فيما يضاف إلى اسم الله تعالى عز ذكره مثل:** أهل الله . بيت الله . رسول الله . كتاب الله . خليل الله . روح الله . أرض الله . أسد الله . سيف الله . قوس الله . رمح الله . كلب الله . نار الله . شمس الله ...

٤) **من كتاب أدب الكاتب: واخترنا منه نموذجًا** بعنوان: "باب الحرفين اللَّذَين يتقاربان في اللفظ وفي المعنى ويلتبسان فربما وضع الناسُ أحَدَهما موضع الآخَرِ" **جمع فيه ابن قتيبة عددًا من الألفاظ التي يختلف معناها باختلاف الحركة، مثل:** (الْجُهْدُ) و(الْجَهْد)، (الْكُرْه) و(الكَرْه)، و(العَرْض) و(العُرْض)...

٥) **مقدمة ابن خلدون: وقد اخترنا منه ثلاثة نماذج:**

الفصل الثاني والعشرون: في لغات أهل الأمصار: تكلَّم فيه عن ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي، وبالنفوذ السياسي للحكم الإسلامي، وأنهما يجعلان الأمم تهجر لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية لأنها هي لغة الدين الإسلامي والحكّام المسلمين، وأنه بالرغم من ضعف الحكم الإسلامي بقيت اللغة العربية لأنها مرتبطة بالقرآن الكريم.

الفصل الثاني والثلاثون: في صناعة الغناء: في صناعة الغناء : عرَّف فيه القراء ببعض أصول هذه الصناعة، وبأدواتها، وكيفية خروج الأنغام منها، وقرر أن الغناء يروج وقت ازدهار العمران؛ إذ فيه يتجاوز الإنسان حدّ الحاجة، ويبدا في الاهتمام بالكماليات؛ ومنها الغناء.

الفصل التاسع والثلاثون: في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طُرُقِه، وأن هناك أكثر من طريقة لتحديد المعارف التي يجب أن يبدأ بها تعليم الأولاد؛ فهناك من يرى البدء بتعليم الولدان القرآن والاقتصار عليه فقط، وهناك مَن يبدأ بتعليم القرآن دون الاقتصار عليه، بل يضيفون إلى ذلك

رواية الشعر وقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب، وهناك من يخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه. وهناك من يخلطون في التعليم لكنهم لا يخلطونه بتعليم الخط، وهناك من قدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم ، وقد اهتمّ ابن خلدون ببيان ما تتميز به كل طريقة.

الفصل الأربعون: في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم، بيّن فيه كيفية التعامل التربوي مع الأطفال وضرورة أخذهم باللين والرحمة وعدم الشدّة.

أسئلة على الوحدة السابعة

س١: ما مقصود الجاحظ من إيراد قوله تعالى:" أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين"؟

س٢: اشرح النص الآتي: "والناس لا يعيرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز وهم يذمّون الحصر ويؤنِّبون العَيّ فإن تكلَّفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرةَ البلغاء تضاعفَ عليهما الذمُّ وترادف عليهما التأنيبُ".

س٣: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

" ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء مع سماحة التكلف وشنعة التزيد أعذرُ من عَيٍّ يتكلف الخطابة"

س٤: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"وإن كان رسول الله قد قال (أبغضكم الي الثرثارون المتفيهقون).

س٥: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وعن أي شخصٍ يتكلَّم؟

"ألا تريان كيف تجنب الراء في كلامه هذا وأنتما للذي تريان من سلامته".

س٦: فصّلِ القول في مشكلة" واصل بن عطاء" كما قدَّمها الجاحظ.

س٧: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وعن أي شخصٍ يتكلَّم؟

"وكان اذا أراد ان يذكر البر قال القمح والحنطة ... وهو يعلم أن لغة من قال بر أفصح من قال قمح او حنطة".

س٨: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا".

س٩: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ... فلا تُكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها".

س١٠: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات".

س١١: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"... ولولا أن المتكلم افتقر إلى أن يلفظ بالتلاشي لكان ينبغي أن يؤخذ فوق يده"

س١٢: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"وكلام الناس في طبقات كما ان الناس أنفسهم في طبقات".

س١٣: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

" أزعم ان سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعاني".

س١٤: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"...وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك وأن تستعمل فيها الاعراب او ان تتخير لها لفظا حسنا او تجعل لها من فيك مخرجا سريا...".

س١٥: ما أقبح اللحن عند الجاحظ؟

س١٦: ما رأي الجاحظ في لحن الجواري؟

س١٧: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة".

س١٨: علام استشهد الجاحظ بهذا البيت؟

(منطق صائب وتلحن أحيانا ... وأحلى الحديث ما كان لحنا)

س١٩: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟ مع ضرب الأمثلة.

"فإن انتقلت منه راجعا عنه أو متجاوزا له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول".

س٢٠: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟ مع ضرب الأمثلة.

"إلا أن بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها".

س٢١: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

" شبه بعضهم الحلق والفم بالناي".

س٢٢: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟ مع ضرب الأمثلة.

" ونظير ذلك أيضا وتر العود".

س٢٣: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟ مع ضرب الأمثلة.

"اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين".

س٢٤: ما الذي يقصده ابن جني بـ (الحروف الصغار)

س٢٥: ما دليل ابن جني على أن الحركات أبعاض حروف المد" أجب مع التمثيل.

س٢٦: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟ مع ضرب الأمثلة.

"جميع حروف المعجم غير هؤلاء الثلاثة الأحرف لك أن تأتي بكل حرف منها بعد أي الحركات شئت".

س٢٧: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟ مع ضرب الأمثلة.

"إنما جاز ذلك من قبل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح".

س٢٨: اذكر عشرة أمثلة أوردها كتاب " ثمار القلوب"، واشرح أربعة منها.

س٢٩: ما معنى العبارات الآتية: أهل الله . روح الله . أرض الله . أسد الله . سيف الله . قوس الله . رمح الله.

س٣٠: ما موضوع كتاب"ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب"؟

س٣١: ما الفارق بين "الْجُهْد" و" الْجَهْد " كما ورد في كتاب "أدب الكاتب"

س٣٢: ما الفارق بين " الْحَمْل" و" الَحِمْل" كما ورد في كتاب "أدب الكاتب"

س٣٣: ما الفارق بين "القُرْحُ " و"القَرْحُ" كما ورد في كتاب "أدب الكاتب"

س٣٤: ما الفارق بين "الذَّبْح" و"الذِّبْحُ" كما ورد في كتاب "أدب الكاتب"

س٣٥: ما الفارق بين "الرَّعْى" و"الرِّعْىُ" كما ورد في كتاب "أدب الكاتب"

س٣٦: ما الفارق بين "الطَّحْن" و"الطِّحْن" كما ورد في كتاب "أدب الكاتب"

س٣٧: اضبط ما تحته خطّ: "(**عرْضُ** الشَّيْء) إحدى نَوَاحيه (و**عرْضُ** الشَّيْء) خلافُ طولِهِ.

س٣٨: اضبط ما تحته خطّ: (و**الْغبن**) في الشراء والبَيع (و**الْغبن**) في الرأي.

س٣٩: اضبط ما تحته خطّ: (وفُلاَن **قرنُ** فُلاَنٍ) إذا كان مثلَه في السِّن (و**قرنُه**) إذا كان مثله في الشدة.

س٤٠: اضبط ما تحته خطّ: (وعدل الشَّيْء) مِثْلُه (وعدلُ الشَّيْء) زِنَتُه.

س٤١: اضبط ما تحته خطّ: (والضر) الهُزَال وسُوءُ الحال (والضر) ضد النَّفَع.

س٤٢: اضبط ما تحته خطّ: (والْجِرْمُ) البَدَن (والْجُرْمُ) الذّنْب.

س٤٣: اضبط ما تحته خطّ: (والسلم السلم) الصُّلح (والسلم) الاستسلام.

س٤٤: اضبط ما تحته خطّ: (والورق) المال من الدّراهم (والورق) المال من الغنم والإبل.

س٤٥: اضبط ما تحته خطّ:" (والنصب) الشر (والنصب) التَّعَب.

س٤٦: اضبط ما تحته خطّ:" (والشقُّ) الصَّدْع في عُود أو زُجَاجة (والشقُّ) نصف الشيء وهو أيضًا المشقة.

س٤٧: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها".

س٤٨: اشرح فكرة من الأفكار التي أوردها ابن خلدون في باب " في صناعة الغناء".

س٤٩: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟

"اعلم أنه يحدث في العمران، إذا توفر وتجاوز حد الضرروي إلى الحاجي".

س٥٠: في أي كتاب ورد النص الآتي؟ ومن صاحب الكتاب؟ وكيف تشرح النصّ؟ مع ضرب الأمثلة.

"وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لأنها كمالية في غير وظيفة من الوظائف".

س٥١: لخِّص افكار ابن خلدون في باب "في تعليم الولدان"

س٥٢: ما مذهب أهل المغرب في تعليم الولدان؟ وما تفسير ذلك؟

س٥٣: ما مذهب أهل الأندلس في تعليم الولدان؟ وما تفسير ذلك؟

س٥٤: ما مذهب أهل إفريقية في تعليم الولدان؟

س٥٥: ما الرأي الذي اختاره ابن خلدون في تعليم الولدان؟ وما رأيك في هذا؟

س٥٦: لخِّص افكار ابن خلدون في باب" في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم"

☑ نموذج إجابة

إجابة السؤال الأول:

كان يقصد الجاحظ من ذلك أن الله تعالى ضرب مثلا لعي اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان، وذلك للتدليل على علوّ شأن البيان والفصاحة.

إجابة السؤال الثانى:

الناس لا يلومون الأخرس الذي حُرِم نعمة الكلام، كذلك لا يلومون من به عيبٌ يعوقه عن صحة التلفّظ بالكلام، لكنهم يعبون من يُحسن النطق لكنه لا يجيد الإفصاح عن نفسه، ولا يضع الألفاظ مواضعها الصحيحة،فإن تصدَّى هؤلاء للخطابة، ووضعوا أنفسهم مواضع بلغاء القوم، كان لومُهم أشدّ، واجتمع عليهم الذّمّ والتعنيف؛ لأنهم تصدَّوا لما لا يُحسنونَه.

إجابة السؤال الرابع:

ورد هذا النص في كتاب"البيان والتبيين" وصاحبه هو: الجاحظ، والنص يشير إلى فئة من الناس تترك التعبير الواضح المبين، الإفصاح عن المعنى بأوجز عبارة، فتترك ذلك، وتلجأ إلى الإعادة والتكرار؛فتعيد المعنى بعبارات أخرى، أو تلجأ إلى تعقيد التركيب فيستغلق أمره على المستمعين، فتوجّه الذمّ إلى هاتين الفئتين: الثرثارين . المتفَيْهِقين.

والمتفيْهِق هو: الذي يَتَوَسَّع في كلامِه، ويَفْتَحُ فاهُ.

الثرثار: الذي يكثر الكلام في تكلف وخروج عن الحد كذلك.

إجابة السؤال الخامس:

النص في كتاب"البيان والتبيين"، وصاحبه هو الجاحظ، ويتكلَّم عن واصل بن عطاء، الذي كان يعاني من عيب اللُّثغة، فصار يتجنّب كل لفظ يحتوي راءً، ويستبدل به لفظًا آخرَ.

إجابة السؤال التاسع:

كتاب البيان والتبيين، وصاحبه هو الجاحظ، وشرح النصّ هو: أن على الخطيب أن يحرص على أن يكون في المرتبة العليا من الخطابة، فإذا كانت إمكانمته اللغوية والإلقائية لا تمكّنه من ذلك، فعليه الاعتراف بمحدودية قدراته، وعدم إكراه نفسه على عملٍ شيء لا تُحسنه، ولو صنع هذا لكان كمَن يغتصب مكانًا ليس له، وكَمَن يُنزِل نفسه في غير وطنِه.

إجابة السؤال الرابع عشر:

كتاب البيان والتبيين، وصاحبه هو الجاحظ،ويشير فيه إلى ظاهرة تنتمي إلى علم اللغة الاجتماعي الذي لا ينظر إلى بعض الاستعمالات اللغوية نظرة دونية، بل يعترف بتعدد المستويات اللغوية، وأن كلّ مستوى يصلح لموقفٍ ما لا يصلح فيها غيره، ويضرب المثل بنكات الأعراب التي تخالف مستوى اللغة الفصيحة، فيحذِّر من تغيير مستوى لغة الأعراب ليماثل المستوى الفصيح من حيث مخارج الأصوات، أو بنية الكلمة أو الإعراب؛ لأن ذلك لو حدث فإنه يذهب بوقع النكتة وبتأثيرها في السامعين فتصبح لا طعم لها؛ لن قيمتها في أن تُحكَى كما هي.

إجابة السؤال التاسع عشر:

كتاب: "سرّ صناعة الإعراب"، ومؤلفه هو ابن جني، وابن جني في هذا النص يشير إلى اختلاف الأصوات باختلاف مخارجها، فلكل صوت مخرج مختلف عن الآخر؛ فإن جهاز النطق يتخذ مثلاً وضعًا ما لنطق الكاف بإغلاق أقصى الحنك، فإذا ترجعت نقطة الإغلاق فإن صوتًا آخر سيخرج كالقاف، فإذا تراجعت نقطة الإغلاق أكثر فإن صوتًا ثالثًا سيخرج كالهمزة ، وكذلك إذا تقدّم موضع الإغلاق، فسوف يخرج صوت الدال والتاء... وهكذا.

إجابة السؤال الحادى والعشرين:

كتاب: "سرّ صناعة الإعراب"، ومؤلفه هو ابن جني، وابن جني في هذا

النص يشبه الحَلْق الذي يستخدمه الإنسان في نطق الأصوات . بالمزمار أو الناي، قائلا إن الأصوات تختلف باختلاف مخارجها، فلكل صوت مخرج مختلف عن الآخر، وكذلك الأصوات الخارجة من المزمار؛ فإنك إذا سددت بعض الثقوب ونفخت فإن صوتًا ما سيكون مسموعًا، فإذا غيّرتَ بين هذه الثقوب فإن الصوت الناتج سيختلف... وهكذا، فما يحدث هنا مشابه لما يحدث في الحلق.

إجابة السؤال الثالث والعشرين:

كتاب: "سرّ صناعة الإعراب"، ومؤلفه هو ابن جني، وابن جني في هذا النص يتكلم عن العلاقة بين الحركات: الفتحة والضمة والكسرة، ويصرّح بأن هذه الحركات هي أبعض حروف المدّ الثلاثة، وهي بالترتيب: الألف، والواو والياء؛ فالفتحة بعض الألف، والضمة بعض الواو، والكسرة بعض الياء، والفارق في كل هذا هو الكمّ فقط، فزمن نطق الحركات أقصر من زمن نطق حروف المد المقابلة لها.

إجابة السؤال الخامس والعشرين:

اعتمد ابن جني على دليل واضح وبسيط وهو أنك إذا جئت بحرف مفتوح وأطلتَ زمن نطقه فسوف تجد أن الصوت الذي نتج عن تطويل النطق هو حرف المدّ المقابل لهذه الحركة؛ مثل: فتحة عين عَمر فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت عامر، وكذلك كسرة عين عِنب إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة ولذلك قولك عينب، وكذلك ضمة عين عُمر لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوا ساكنة وذلك قولك عومر.

إجابة السؤال الثامن والعشرين:

أهل الله . بيت الله . خليل الله . روح الله . أرض الله . ظل الله . نار الله . شمس الله . ظل الله . ناقة الله. وللدارس أن يختار أية عشرة أمثلة.

١) (بيت الله) الكعبة بيت الله الذى جعله الله مثابة للناس، وقد كانت العرب في الجاهلية لا تبنى بنيانا مربعا تعظيما للكعبة وقد كانت تحلف ببيت

الله كما قال زهير:

(فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم).

٢) (خليل الله) هو سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي تخذه ربُّنا خليلا.

لحسن آثاره في الإسلام وصدقه في قتال المشركين..."

٣) (ظل الله) يروى عن النبي أنه قال (السلطان ظل الله في أرضه) وأنشدنى أبو الفتح على بن محمد البستى لنفسه:

(يا قوم أرعونى أسماعكم ... حتى أؤدى واجب الفرض)

(أشهد حقا أن سلطانكم ... ليس بظل الله في الأرض)

٤) (نار الله) قال الجاحظ كل شىء أضافه الله تعالى إلى نفسه فقد عظم شأنه وشدد أمره وقد فعل ذلك بالنار فقال (نار الله الموقدة)..."

إجابة السؤال التاسع والعشرين:

١) أهل الله: هم قريش، كان يقال لقريش في الجاهلية أهل الله لما تميزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم والفضائل والخصائص التى هى أكثر من أن تحصى؛ ولما جاء الله تعالى بالإسلام وبعث منهم خير خلقه وأفضل رسله محمدا رسول الله زاد شرفهم وتضاعف كرمهم وصاروا على الحقيقة أهلا لأن يُدْعَوْا أهلَ الله فاستمر عليهم وعلى سائر أهل مكة.

٢) روح الله: هو المسيح عيسى عليه السلام قال تعالى (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) فلذا قيل له روح الله ، وإنما أضيفت روح الله إليه على سبيل الاختصاص.

٣) أرض الله: قد أكثر الناس في الحث على السير في الأرض لطلب الرزق ... وأحسن ما قيل من ذلك مقتبس من قوله عز ذكره (ألم تكن

أرض الله واسعة فتهاجروا فيها).

٤) أسد الله: كان يقال لحمزة بن عبد المطلب أسد الله لتقدم قدمه في الحرب وشدة إقدامه على أعداء رسول الله.

٥) سيف الله: هو خالد بن الوليد بن المغيرة أبو سليمان سماه النبى سيف الله.

٦) قوس الله: هى التى يقال لها قوس قزح ويشبه بها ما يقل لبثه ولا يدوم مكثه، وفى الخبر لا تقولوا قوس قزح ولكن قولوا قوس الله فإن قزح من أسماء الشياطين ويجوز أن تكون سميت بهذا الاسم وأضيفت إلى الله تعالى لأنها من فعل الله وسائر القسى من برى الناس وفعلهم ...".

٧) (رمح الله) كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا ذكر الكوفة قال هى رمح الله وفيها جمجمة العرب وكنز الايمان كأنه أراد أن أهلها سلاح على أعداء الله في المحاربة.

إجابة السؤال الحادى والثلاثين:

(الْجُهْدُ) الطاقة (وَالْجَهْد) المشقة تقول (فَعَلْتُ ذَلِكَ بِجَهْدٍ) وتقول: (اجْهَدْ جَهْدَكَ) ومنهم من يجعل الْجُهْدَ والْجَهْدَ واحداً ويحتج بقوله الله تعالى: (والَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلا جُهْدَهُمْ) وقد قُرِئَ (جَهْدَهم).

إجابة السؤال الرابع والثلاثين:

(والذَّبْح) مصدر ذبحَ فهو يعني الحدَث، وأمّا (الذِّبْحُ) فهو المذبوح أي مَن وقع عليه الذَّبْح.

إجابة السؤال السادس والثلاثين:

(والطَّحْن) مصدُ للفعل طَحَنْتُ، فهو يعني الحدَث، وأمّا (الطِّحْن) فهو الدقيق، أي الناتج من عملية الطَّحْن.

إجابة السؤال السابع والثلاثين:

اضبط ما تحته خطّ: "(**عُرْضُ** الشَّيْء) إحدى نَوَاحيه (و**عَرْضُ** الشَّيْء)

خلافُ طولِهِ.

إجابة السؤال الثامن والثلاثين:

اضبط ما تحته خطّ: (و**الْغَبْنِ**) في الشراء والبَيع (و**الْغَبَنِ**) في الرأي.

إجابة السؤال التاسع والثلاثين:

اضبط ما تحته خطّ: (وفُلاَن **قَرنُ** فُلاَنٍ) إذا كان مثلَه في السِّن (و**قِرنُه**) إذا كان مثله في الشدة.

إجابة السؤال الأربعين:

اضبط ما تحته خطّ: (وعَدْل الشَّيْء) مِثْلُه (وعِدْلُ الشَّيْء) زِنَتُه.

إجابة السؤال الرابع والأربعين:

اضبط ما تحته خطّ: (والوَرِق) المال من الدّراهم (والوَرَق) المال من الغنم والإبل.

إجابة السؤال الخامس والأربعين:

اضبط ما تحته خطّ:" (والنُّصْب) الشر (والنَّصَب) التَّعَب.

إجابة السؤال السادس والأربعين:

اضبط ما تحته خطّ:" (والشَّقُّ) الصَّدْع في عُود أو زُجَاجة (والشِّقُّ) نصف الشيء وهو أيضًا المشقة.

إجابة السؤال السابع والأربعين:

الكتاب: مقدمة ابن خلدون، يشير في هذه النص إلى ظاهرة تتعلق بغلبة لغةٍ على أخرى، فيشير إلى عنصر القوة والسلطة والدّين، وتأثير ذلك على تغلُّب لغةٍ من اللغات، وأن وجود عنصر القوة يحمي اللغة من الزوال، ويمثِّل لذلك بلغة العرب؛ فاللسان العربي المضرى . حتى وإن قد فسدت ملكته وتغير إعرابه . إلا أنه فرض نفسه على الناس، والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من التغلُّب على الأمم الأخرى، وكذلك ارتباط هذه الأمم على اختلاف ألسنتها بالدين

الإسلامي، والدين يؤخَذ من الشريعة، وهي بلسان العرب،فكان على هذه الأمر والحفاظ على لغة العرب التي هي لغة الدين.

إجابة السؤال الثامن والأربعين:

سأعرض هنا فكرتين، وللدارس اختيار إحداهما، أو يختار من بين الأفكار الأخرى في النصّ الوارد في الكتاب.

الفكرة الأولى: يصف هذه الصناعة بأنها تلحين الأشعار الموزونة، بتقطيع الأصوات على نِسَبٍ منتظمة معروفة، ولها أدوات؛ منها: المزمار، وهو قصبة جوفاء بأبخاش [ثقوب] في جوانبها ، ينفخ فيها فتصدر صوتًا. ويخرج الصوت من جوفها لما سُدَّ أو تُرِك من هذه الثقوب، ويُقَطَّعُ الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعًا على تلك الأبخاش وضعًا متعارفًا، حتى يحدث الانسجام والإيقاع بين الأصوات، فيستمتع السامع بإدراكها للتناسب الذي ذكرناه.

ويقول إن من أحسن آلات الزمر لهذا العهد البوق، وهو بوق من نحاس، أجوف في مقدار الذراع، يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه في مقدار دوران الكفّ في شكل بري القلم.

الفكرة الثانية: إن صنعة الغناء، تحدث في العمران، وهو يرمز إلى رفاهية المجتمع، فهو لا يزدهر إلا بعد تلبية حاجات المجتمع الضرورية ، من مأكل وملبس ومسكن، وغيرها من الضروريات، فإذا تجاوز المجتمع ذلك، فإنه يتجه من الضروريات إلى الكماليات،ويتفنَّن فيها ، ومن ذلك صنعة الغناء، فالمجتمع لا يستدعيها إلا إذا فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره.

إجابة السؤال الثانى والخمسين:

مذهبهم: الاقتصار على تعليم القرآن فقط، والاهتمام برسم المصحف ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، كما يعلمونهم بعض متون الأحاديث. فصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات.

وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخًا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات. وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبني عليه. واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان، باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات.

ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يصبح ماهرًا فيه أو ينقطع عنه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعًا عن العلم كلِّه.

وهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم.

إجابة السؤال الثالث والخمسين:

مذهب أهل الأندلس في تعليم الولدان هو تعليمهم القرآن والكتاب، ولما كان القرآن هو أساس كل شيء، وهو منبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم. غير أنهم لا يقتصرون عليه فقط، بل يمزجون في تعليمهم للولدان روايةَ الشعر، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخطّ والكتابة، وهم يعتنون بالخط عنايةً كبرى، إلى أن يصل الولد إلى عمر الشباب، وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما، وبرز في الخط والكتاب، وحصَّل مجموعةً من المعارف العامّة.

إجابة السؤال الرابع والخمسين:

أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآنَ بالحديثِ في الغالب، ومدارسَة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن، واستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه، وعنايتهم بالخط تأتي تابعةً لذلك. وطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس، لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين أخذوا العلم عن تغلب النصارى في شرق الأندلس، واستقروا بتونس، وعنهم أخذ ولدانهم بعد ذلك.

إجابة السؤال الخامس والخمسين:

تبنّى ابن خلدون . على حذَرٍ. مذهب القاضي أبو بكر بن العربي في تعليم الولدان؛ وهو: تقديم علم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس؛ لأن الشعر ديوان العرب ، ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يحسن تطبيق قواعده، ثم ينتقل إلى درس القرآن، وينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه.

وهو يرفض أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره، يقرأ ما لا يفهم ، كما نهى أن يخلط في التعليم علمان، إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط. وقد وصفه ابن خلدون هذا المنهج بقوله :"وهو لعمري مذهب حسن" غير أنه يعترض فيه على تأخير تعليم القرآن الكريم؛ ذلك أنَّ في تقديم دراسة القرآن، إيثارًا للتبرك أو الثواب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم، فيفوته القرآن، فالولد في صغره منقادٌ للحُكم. فإذا تجاوز البلوغ فربماعصفت به رياح الشبيبة، فيخرج عن الطاعة، لذلك يفضِّل ابن خلدون اغتنام فترة الصبا في تعليم القرآن وتحصيله لئلا يذهب الغلامُ خلوًا منه. لكن لو حصل اليقين باستمرار الصبي في طلب العلم، وقبوله التعليم، لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى في تعليم الولدان.



رقم الإيداع :
٣٢٠٨
٢٠١٤
I.S.B.N : 978-977-403-653-3

١- عنوان الموقع الرئيسي للمركز: **http://www.ou.cu.edu.eg**

٢- عنوان قناة البث المباشر على الموقع و **youtube** :

www.youtube.com/user/openedu2013

٣- عنوان الإيميل الشخصي لمدير مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح :

stusupport@ou.cu.edu.eg

ملحـوظـة: **رجاءً كتابة اسم الدارس ورقم التسجيل داخل الإيميل حتى يتم الـرد على شكاواهم والعمـل على حلـها ...**